

مسخرة التاريخ

حقيقة مسلسل

الجماعة

جمال البنا

الْفَصْلُ الْإِبْرَاقُ

أقلامنا ٠٠ بيد من ؟

الْفَصْلُ الثَّانِي

ماذا قال الشارع ؟

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

بعض العوامل التي أثرت على معالجة المسلسل

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

التحول من الدين إلى السياسة

- (١) نحن وطنيون ٠٠ لا سياسيون ٠٠ ولا حزبيون
- (٢) قاتل الله السياسة
- (٣) بين قوانين الحرية .. وقيود الاستبداد
- (٤) خطاب مفتوح من المرشد العام للإخوان المسلمين إلى دولة صدقي باشا

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

النظام الخاص

الْفَصْلُ السَّادِسُ

دور الإخوان المسلمين في فلسطين

- (١) شهادة سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين
- (٢) شهادة سعادة اللواء أحمد فؤاد صادق باشا
- (٣) شهادة سعادة اللواء أحمد على المواوي بك
- (٤) شهادة الصاغ محمود بك لبيب
- (٥) شهادة الأستاذ محمد حامد أبو النصر
- (٦) شهادة الحاج حسن حسني المنياوي

الْفَصْلُ السَّابِعُ

العنف في تاريخ الإخوان المسلمين

الْفَصْلُ الثَّانِي

الذين أنصفوا الإخوان المسلمين

- (١) أحمد حسين رئيس (مصر الفتاة) الحزب الاشتراكي

(٢) الأستاذ إحسان عبد القدوس ينصف الإخوان المسلمين ويعلن ما يمكن أن نطلق عليه «وصية كاتب مسلم»

(٣) الإخوان المسلمون أول حركة اجتماعية حديثة بقلم : ايفيزا لوبن

(٤) قالوا عن حسن البنا

الفصل التاسع

كيف نحل مشكلة الإخوان المسلمين

مقدمة

أراد الله لي أن أنشأ في بيت الدعوة الإسلامية، بين أب عكف على التأليف ونذر حياته لتصنيف أعظم موسوعة في الحديث النبوي «مسند أحمد بن حنبل الشيباني»، وشقيق أكبر نذر حياته لإبداع فهم جديد للإسلام ونشره بحيث يؤمن به مئات الألوف من المصريين وأمثالهم في الخارج، ولكن الله لم يقسم لي أن أدخل «الكتاب» أو أحفظ القرآن، لأن الأسرة انتقلت من المحمودية الجميلة إلى أزقة القاهرة الضيقة، فدخلت المدرسة الأولية ثم الابتدائية ثم الثانوية، وبهذا كان تعليمي «مدنيًا»، ولكن عوامل عائلية وعاطفية، وكذلك لأنني رفضت المجتمع البورجوازي بشهادته ووظائفه، وبالطبع لم أكن قد تزوجت، فكان لدي من الفراغ ما وثق علاقتي بالأب والشقيق أكثر من بقية الأخوة، بحيث تأثرت تأثيراً عميقاً بروحهما الرسالية، وبفضل هذه الوشيجة العائلية بالإمام الشهيد تعرفت على الإخوان دون أن أكون عضواً ملتزماً منتظماً، ذلك لأن دراساتي المدنية وميولي الفكرية لم تكن مركزة وقتئذ وبوجه خاص حول الإسلام، ولكن على أجواء الثقافة الأوروبية الحديثة، وتاريخ الحركات الشعبية والجماهيرية فيها والأفكار الاشتراكية والحركات النقابية والنسائية وتاريخ المكتشفين والمخترعين الذين رسموا التقدم، والأدباء والفنانين الذين أعطوا الأوربيين «الوجدان»، باختصار سر قوة الحضارة الأوروبية، وكانت هذه الاتجاهات تبعدني عن الإخوان، ولكن الجذر العائلي الإسلامي بالإضافة إلى رعاية الإمام الشهيد لي جعلاني أسهم في صنوف من النشاط الإداري للإخوان كإدارة المطبعة، وسكرتارية تحرير مجلة «الشهاب»، وبهذا تعرفت على الإخوان دون أن أنوب فيهم، وقد تقبلوني على هذا الأساس أيضاً ولأنهم أدركوا أن رعاية الإمام البنا لي لا بد أن لها ما يبررها.

وبعد ثلاثين عاماً من البحث وبعد أن توفي الوالد والشقيق بوقت طويل عدت إلى نقطة البداية.. إلى الخط الإسلامي، ذلك لأنني وجدت - بفضل الثقافة الأوروبية الحديثة - في الإسلام كثيراً من أبرز عناصر قوة الحضارة الأوروبية، وبوجه خاص الإنسان والحريات وقيم المساواة، بل إنني رأيتها في الإسلام بتكليف ووضع أفضل مما هي عليه في الحضارة الأوروبية، فبدأت نشاطاً إسلامياً برؤية جديدة اعتبرت في رأي البعض - الأكثرية - هدماً لمبادئ الإخوان المسلمين، بينما رأى البعض - القلة - أنها تكملة لرسالة إخوان ولاحتمال ما كان يمكن أن يصل إليه الإمام البنا لو ترك ليبلغ التسعين، بدلاً من أن يعاجل في الأربعين.

* * *

وإذا كنت أنتقد مسلسل «الجماعة» فإن ذلك ليس دفاعاً بوجه خاص عن الإخوان، ولكن دفاعاً عن الحقيقة، لأن الإخوان المسلمين بدأوا دوراً مجيداً كان يمكن أن يتقدم بالبلاد، لولا أنها اصطدمت بظروف طارئة، فلم يتحقق ما كانت تريده، إن هذه الحقيقة - التي تعود إلى أسباب - طارئة أكثر مما

هي أسباب كامنة - لا تبرر إهالة الادعاءات وإطلاق الأكاذيب، لأن الجماعة رغم كل شيء نجحت في كثير مما أرادت، فأحلت الإسلام المحل الذي يجب أن يشغله في المجتمع المصري، لأنه أعظم مقومات هذا الشعب وضميره، وتاريخه، ولغته.

لقد بدأت مصر تاريخها الحديث بانتفاضة ١٩١٩م، الانتفاضة التي تمثل فيها أمل مصر الذي كان مكبوتاً عبر القرون، فأرادت «الاستقلال التام أو الموت الزؤام»، وحولها هذا من انتفاضة إلى ثورة لها «نظريتها» الخاصة، وتريد تغييراً شاملاً، وبالطبع تحركها الجماهير، ومن المؤسف أن انحرفت الظروف بالثورة وشعارها، وحدث هذا على يدي البطل الذي اختارته الجماهير عندما أخذ بالمفاضات وليس الاستقلال التام، والمفاوضات ترتبط بالسلطة آونة، ولا يمكن أن تحقق الأمل.

فقدت ثورة ١٩١٩م «ثوريتها» على أنها كانت من القوة بحيث أجبرت المحتل أن يترك لها شطراً كبيراً من الحرية بحيث ظهر المجتمع الليبرالي وظهر دستور ١٩٢٣م الذي كان رغم أنه أخذ من فم الاحتلال المفترس ومن هيمنة القصر الطاغية - الملك فؤاد الذي كان خصماً لدوداً للدستور - استطاع ثروت أن يقدم صياغة ممتازة قرر بها المسؤولية الوزارية أمام المجلس المنتخب، وصد سعد زغلول بصلابته كثيراً من عدوان الملك ولكنه للمرة الثانية خان الثورة عندما اغتيل السير لي ستاك قائد جيش الاحتلال وأراد كرومر فرض شروط جائزة أسوأها الهيمنة على السودان، كان سعد زغلول رئيس الوزارة وبطل الشعب، ولو أنه قال لا وقاد الشعب لعادت ثورة ١٩١٩م مرة أخرى، ولكنه قبل الشروط ثم استقال.

أن الثورة التي أرادها الشعب لم تتحقق تماماً، ولكن تحقق جزء كبير من الحرية كان كافٍ لإقامة كل أمجاد مصر الحديثة: الجامعة، طه حسين وتوفيق الحكيم.. شوقي وحافظ.. أم كلثوم وعبد الوهاب.. إلخ، فصدرت فيها الصحف والكتب وتكونت الجمعيات والهيئات حتى اعتبرت مصر ملاذاً لكل الأحرار العرب ولكل الحركات التحررية في الشرق، ولكل طامح في الشهرة.

ولكن كان في الثورة نقص لم يلتفت إليه الشعب وهو في غمرة المطالبة بالاستقلال، ذلك أن هذا المجتمع الليبرالي لم يحل الإسلام محله في المجتمع، مع أن كل دعاة التحررية جاءوا من قادة إسلاميين من رفاة رافع الطهطاوي «إمام البعثة» حتى جمال الأفغاني حتى محمد عبده الذي أنجب كادراً كان أبرزه سعد زغلول وقاسم أمين ورشيد رضا.

نقول رغم هذا لم يأخذ الإسلام محله، فحدث «خلل» في المجتمع وظهر هذا الخلل في الإبقاء على وصمات اجتماعية واقتصادية جاء بها الاحتلال مثل الدعارة المنظمة، ومثل بيع الخمر عند البقالين، ومثل انحطاط الفنون قبل أن يتفدها سيد درويش، وكان المرابي اليوناني يحجز على آنية وحيوانات الفلاح ويبيعهها، وكان الاقتصاد كله في أيدي الأجانب، وكانت فواتير المياه والنور تكتب بالفرنسية، بل إن المفتشين على عربات الترام والأتوبيس كانوا أجانب، ولم يكن في شارع «فؤاد» شركة مصرية سوى شركة بيع المصنوعات المصرية التي أسسها طلعت حرب، وظهر الفساد الحزبي وأصبحت السياسة

مسرحةً للصراع ما بين الوفد المفتون بدعم الشعب القديم وإيمانه بسعد زغلول رغم أنه كان الذي خان الثورة مرتين وما بين أحزاب الأقليات التي لم يمنحها الشعب تأييداً فالتهمت التأييد في قصر الدوبارة حيناً وقصر عابدين حيناً آخر.

بدد هذا الجو التراث الإسلامي التنويري للشيخ رفاعه رافع ولجمال الأفغاني ولمحمد عبده ولرشيد رضا، ووجد فراغ في المجتمع المصري لم ينتبه معظم الباحثين إلى أن سببه هو غياب الإسلام، ذلك أن الإسلام هو أعظم مقومات الشعب، فإذا أحسن فهمه نهض بالمجتمع وإذا أسئى فهمه أو إذا غُيِّب وهن وضعف المجتمع، ودق ذلك على الباحثين لأن معظمهم كان يبحث برؤية أوروبية، لا تأبه للدين ولا تعطيه أهمية.

في هذا الوقت ظهر حسن البنا وبدا وكأنه هو - على وجه التحقيق - البطل المنشود بعد أن هياه الله تعالى من طفولته ليكون داعية وتلاقت في يده الخيوط، خيط رفاعه رافع المستنير المسلم، وخيط جمال الأفغاني الثوري، وخيط محمد عبده الفقيه العقلاني، وخيط رشيد رضا الذي وضع السلفية الميسرة وصنع من هذه الخيوط سبيكة ذهبية محكمة هي الإخوان المسلمين، وإنما تمكن من هذا لأنه كان موجهاً من ميلاده لهذا، فهو ابن ثورة ١٩١٩م وغنى أهازيجها وهو فتى، ولأنه فهم سر التصوف الذي انغمس فيه في يفاعته ثم تركه، ولأنه درس بدار العلوم مدرسة العربية والإسلام، فأخذ من جمال الأفغاني القسمة الجهادية للإسلام، وأضر بين جنبيه التجديد العقلاني للفقيه محمد عبده، ولكنه بدأ حيث انتهى رشيد رضا من وضع سلفيته الميسرة، لأنها هي التي تتجاوب مع مستوى الجماهير، وكان هو الوحيد بين عباقرة الإصلاح الذي أشرنا إليهم الذي استطاع أن ينقل هذه المفاهيم إلى الجماهير العريضة كائناً من كانوا عمالاً أو فلاحين وركز على الشباب لأنه يعلم أنهم يمثلون المستقبل، وكان له مرونة عجيبة وقدرة على صهر التناقضات في حميا فكره، كما كان زاهداً بطبعه وحفظه الله من فتنة النساء، إذ تزوج زوجاً موفقاً في سن مبكر، وكان هم الدعوة الشاغل يشغله عما يشغل الناس.

مثل هذا الرجل لا يمكن أن يقارن بالباشوات، الذين كانوا قادة المجتمع، ولم يكن فيهم لا الثقافة، ولا الكفاح الحقيقي، ولا مقومات القيادة، وإنما هي المناصب والألقاب، وهو ما أدركه أحد الشخصيات العامة عندما قيل له الإخوان قتلوا النقراشي، فقتل السعديون حسن البنا، فقال على البديهة وبسليقة «ولكن حسن البنا لا يعوض».

كان في دعوة الإخوان قصور تنبعت إليه من أيامي الأولى، وأسباب هذه القصور يعود إلى سببين: الأول: أن حسن البنا كان قائد جماهير، وكانت مهمته أن يوصل الفكرة لهذه الجماهير الغفيرة، ومع أن قائد الجماهير يقودها ويدفعها إلى الأمام إلا أنه مقيد بالمستوى الفكري لهذه الجماهير، فكانت الجماهير تمسك القائد من أن ينطلق بها لأنها لا تطيق ذلك، وأعتقد أن الإمام البنا - رحمه الله - كان عالماً بهذه الحقيقة ولكن لم يرفضها لأنه - وهذا هو السبب الثاني - كان يعمل بطريقة المراحل وبتقديم الأهم على المهم، وبتأجيل ما لم يمكن علاجه في مرحلة إلى مرحلة أخرى، وكان هذا من حقه لأنه أنجز

الجانب الأعظم من عمله في عشرين عاماً، وكان ينتظر أن يعيش عشرين أخرى، وعشرين ثالثة بحيث يمكن ان يستدرك ما فاتته، ولكن وأسفاه، لقد عوجل وهو في الأربعين في عز العطاء.

وإلى هذا التكليف تعود ظاهرة أن الإخوان المسلمين رغم إيمانهم بمرشدهم المؤسس، فإنهم لم يقوموا بحقه، ولم يحتفظوا بتراثه، وعندما أدلهمت الأمور بعد مقتله، وظهر فكر آخر مناهض له - فكر سيد قطب - أخذوا بهذا الفكر بعد أن حاولوا نقضه لأن المناخ الموجود وقتئذ - مناخ عبد الناصر - كان مناخ عنف لا مناخ منطوق، فتوارت «نحن دعاة.. لا قضاة».. أمام الحاكمية الإلهية.

ولكن الجميع كانوا أبرياء، وإنما هي الظروف التي فرضت نفسها، والرياح التي لا تأتي بما تشتهي السفن، فما كان يمكن التملص من ضرورة الكفاح في فلسطين، وفي القتال، ثم جاء عهد عبد الناصر وصراعاته، وهذه كلها انحرفت بالإخوان إلى ما لم يريدون بها، ولم تكن من صنع أيديهم، ولكنها أحداث التاريخ فرضت نفسها عليهم، وهم أحق الناس بما قال الشاعر:

لا يلم بعضكم على الخطب بعضاً أيها القوم كلكم أبرياء

* * *

لا جدال أن هذه المعاني كلها دقت على مؤلف المسلسل، فهذا عالم بعيد عنه، لا يقربه ولا يفهمه، ولهذا جاء تصويره لحسن البنا هزلياً ساقطاً يكاد يكون سخرية من الواقع، ومع هذا فإنه ما فتأ يقول أتحدى أن يكون في المسلسل ما يخالف التاريخ، متصوراً أنه لن يجد من يرد تحديه.

أظن أن القارئ ألمّ بالسبب الذي دفعني لكتابة هذا الكتاب، فما كان لقاء تليفزيوني أو عرض صحفي ليفي به.

كان لابد من هذا الكتاب حتى نرد على تحديه حتى ونصلح العوار الذي أشاعه مسلسل «الجماعة»، وما كان لقاء تليفزيوني أو عرض صحفي ليفي به.

القاهرة في
ذو الحجة ١٤٣١ هـ
نوفمبر ٢٠١٠ م

الفصل الأول

أقلامنا .. بيد من ؟

دأبت الصحف - على اختلافها - على الإشارة إلى مسلسل الجماعة باعتباره عمل عظيم باهر، استحق الأولوية على كل ما عرض في رمضان، وسالت الأقلام مديحاً في مؤلفه الأستاذ الكبير القدير رب الدراما وحيد حامد الذي قدم عملاً درامياً رائعاً بحرفية ومهارة نادرة.. إلخ.. إلخ.

ولما كان هذا يخالف مخالفة تامة الواقع والحقيقة، ولأني آمنت أن المسلسل هو أسوأ ما قدم في رمضان، وأن معظم ما عرض مثل همام، وكليوباترا والملكة نازلي كانت أكثر توفيقاً، فقد جعلني هذا أتساءل عن السبب الذي جعل الأقلام تتحو هذا المنحى الذي كاد أن يأخذ شكلاً جماعياً.

إن المسلسل لم يقدم دراما أصلاً، لا حسنة أو سيئة، فالدراما سرها أنها تصور صراعاً بين قوتين ينتهي بنهاية فاجعة، فمدام بوفاري لجوستاف فلوبيير، وأنا كارنينا لتلستوي، تمثل صراع بطلتي الروائيتين ما بين حبهما المشبوب وما بين الأوضاع والتقاليد وأحكام الزواج، وكيف أنهما لم يستسلما.. أو يخضعا، ولكن مضيا بحبهما إلى النهاية التي أدت إلى موتهما في مشهد درامي مؤثر، كما أن التراجيديا اليونانية تقوم معظمها على الصراع ما بين إرادة الفرد ومشية القدر، وتبلور قضية الحرية، وكلها لها أبطال.. وبطلات.. وموضوع.. وحبكة أو عقدة ونهاية مأساوية.

ليس في مسلسل «الجماعة» شيء من هذا، إنه عرض هزيل لأحداث واجتماعات مختلفة، قد يكون لبعضها أصل، ولكن المؤلف يعطيها الطابع الخاص الذي يريده، إما بتصويرها في شكل معين، أو بإضافة كلمات من وضعه هو، ولم تحدث في الحقيقة، وإذا كان فهي إثارة عملية المفرقات وتدبير اغتيالات التي عرضت بالصورة المحرفة المزورة التي أرادها المؤلف.

كان الاحتمال الوحيد ليكون المسلسل عملاً درامياً هو ما أشار إليه الكاتب صلاح عيسى في مقال بجريدة القاهرة (٢١/٩/٢٠١٠م) «فإن مشكلة مسلسل «الجماعة» مع «الجماعة» تكمن في رسالته الأساسية وهي جوهر أي عمل فني وأي تقييم تاريخي، وهي رسالة تقول وبوضوح إن حسن البنا أقرب ما يكون إلى بطل تراجيدي، حقق نصره التاريخي حين أسس جماعة كبيرة تسعى بدعوة المسلمين للالتزام بأصول دينهم وأداء فرائضه، والالتزام بأدابه حتى وصل إلى القمة، لكنه - ككل بطل تراجيدي - وقع في خطئه التاريخي حين أقحم جماعته في السياسة ليقوده ذلك إلى استخدام العنف في الصراع السياسي، فيؤسس الجهاز الخاص الذي كان أقرب ما يكون إلى جيش كامل، يمارس كل ما تمارسه الجيوش، ويملك الكثير من الأدوات والإمكانات والمؤسسات التي تملكها، إلى أن جاء الوقت الذي فقد فيه سيطرته على هذا الجيش، الذي شعر بقوته وأنه مصدر كل ما حققته الجماعة من هبة ونفوذ، فبدأ يقوم

بعمليات لحسابه ولحماية نفسه، وليس لحساب الجماعة أو حتى لهدف تحقيق الفكرة الإسلامية، لينتهي هذا بحل جماعة الإخوان المسلمين، ثم باغتيال حسن البنا نفسه».

ولكن الأستاذ صلاح عيسى - بحكم عدد كبير من العوامل التي ترتفق على الكاتب الذي يكتب عن موضوع سياسي ويحكم أنه أحد أفراد الأنتلجنسيا التي سنوضحها في فقرة تالية أساء تكييف دور النظام الخاص وناقض نفسه - عندما قال بعد الكلمات السابقة «تلك هي الرسالة التي أراد المسلسل أن يوجهها إلى جماعة الإخوان المسلمين، وهي استخلاص تاريخي صحيح ودرس ينبغي أن يعيه الإخوان، لأنه لمصلحتهم ولمصلحة الوطن ولمصلحة الإسلام».

وإنما قلنا إنه ناقض نفسه لأن مؤلف المسلسل لم يحقق الشرط الأول من المعادلة التي افترضها صلاح عيسى أن يكون «حسن البنا بطلاً تراجيدياً حقق نصره التاريخي حين أسس جماعة كبيرة تسعى بدعوة المسلمين للالتزام بأصول دينهم وأداء فرائضه، والالتزام بأدابه حتى وصل إلى القمة»، إن مؤلف المسلسل صن على حسن البنا «بشخصية التراجيديا التاريخية»، لأنه أبداه شخصاً هزلياً، انتهازياً، ضعيفاً يسعى لينال عطف المسؤولين ويعمل لخدمة الملك.. إلخ، ومن هنا فإن عقدة «التراجيديا» لم تتحقق.

على أن كلام الأستاذ صلاح عيسى ما كان يمكن أن يتحقق حتى عند عدم تحامل المؤلف، ذلك لأن العنصر البارز في كل دراما أن أبطالها من خلق المؤلف الذي أبدع هذه الشخصيات واختارها بعناية ثم جعلها تؤدي أدواراً وتقول أقوالاً، ثم وصف العوامل الاجتماعية في المجتمع خلال عرضه للأحداث التي أبدعها وقوة هذه العوامل التي تعارض الحب الذي سيطر على البطله بحيث لا يكون هناك حل سوى النهاية المأساوية، كما في روايتي «مدمام بوفاري وأنا كارنينا»، فإن مؤلفها غاصا في أعماق الشخصية كما غاصا في أعماق المجتمع، وكان لديهما من الثقافة والذكاء ما يجعل ذلك يعمق الإحساس، وابتدعا المواقف والحوارات التي تحقق ما أرادا أن يكون عملهما درامياً، فالمؤلف خلق شخصياته، وبفضل هذا انفسح المجال لعبقريته في إبداع الشخصية، والمواقف، والحوار لأنها كلها من خلقه وإبداعه.

هذا ما يمكن أن نفهمه من دراما مثل «مدمام بوفاري» أو «أنا كارنينا».

ويمكن أن يقال هذا على التراجيديا اليونانية التي تمثل صراع الإنسان ضد القدر، فقد وضع مؤلفوها اليونانيون كهنة يمثلون القدر وبهذا كانوا أحراراً في تحريكهم وتقويلهم ما يشاءون.

وهذا كله لا يمكن أن يتحقق عندما يكون موضوع المسلسل هيئة معينة لها فكر معين ويرأسها شخص تاريخي له وجوده الخاص ووخلائقه ومواهبه.. إلخ، إن المؤلف لا يمكن أن يكون حراً، فإما أن يصورهم كما هم ويكون عملاً تسجيلياً، ليس فيه فن أو دراما، وإما أن يعرضهم بصورة مخالفة لحقيقتهم ويعرض رئيسها بصورة مناقضة، فهذا تزييف للتاريخ، وهو مرفوض بكل المعايير، ولا يمكن الاعتذار عنه بأي ادعاء «درامي»، فليس من مهمة الكاتب الدرامي تزييف التاريخ وتضليل الأجيال.

كان باستطاعة السيد وحيد حامد أن يخلق هيئة، وليطلق عليها جماعة المؤمنين، وليضع على رأسها رجلاً من إبداعه، ويرسم له الطريق الذي يسلكه.. إلخ، في هذه الحالة لا يمكن الادعاء عليه بأنه زيف التاريخ، لأنه إنما تحدث عن شخصيات ليس لها وجود عملي، وإنما هي من إبداعه الخاص، ويدع للمشاهدين حكمهم على مدى انطباق هذا على الإخوان.

بل إن السيد وحيد حامد كان يمكن أن يؤلف دراما حقيقية لو أنه صور الصراع بين هيئة شعبية جماهيرية.. وبين السلطة، وما حفل به هذا الصراع طوال ثمانين عاماً بأبناء من السجون والاعتقالات، وما أدى إلى تفجيرات واغتيالات، وآثاره وانعكاساته على حاضر المجتمع ومستقبله، فهل هناك ما هو أفضل من هذا لتصوير دراما ظلت لأكثر من ثمانين سنة؟ ولكن هذا كان يتطلب «تولستوي» ليضع «الحرب والسلام»، وليس ليؤلف «الإرهاب والكباب» أو «طيور الظلام».

وهكذا يتضح أن المسلسل الذي أذيع في رمضان، والذي استقبل من الصحافة استقبالاً كما لو كان إنجازاً، وسيقت كلمات المديح للمؤلف القدير والأستاذ المتمكن وبرهن على ذلك أنه رزق أعظم مشاهدة، ولكن فات الذين ذكروا ذلك أنه لم يكن لسواد عيون المؤلف.. والممثلين.. وأدائهم، ولكن لأن موضوع المسلسل هو جماعة الإخوان المسلمين، ولأن بطلها هو حسن البناء، وكل المجتمع المصري معني بأن يعرف أي شيء عن الجماعة، خاصة وأن جماعة الإخوان المسلمين لم تستطع أن تعلن عن نفسها لأنها سلخت المدة من ١٩٥٢م حتى الآن وهي «محظورة» محاربة.

لهذا كان شوق الناس عظيماً لمعرفة هذا الموضوع الجديد، ولأن الناس إما مؤيد وإما معارض، وكل واحد يهمه أن يعرف كيف سيسلك المسلسل سبيله في هذا الوضع الحساس.

وأشهد الله إنني لم أر فيما قدمه السيد وحيد حامد إلا مجموعة من الشبان المهوسين وكمية هائلة من الطرايبش رديئة الصنع، لا أدري من أي «كانتو» جمعوها، ويبدو أنه ليس لديهم فكرة عما كانت عليه الطرايبش، أو أنهم تعمدوا هذه الرداءة، كما تعمدوها أيضاً في صورة العمائم التي وضعوها على رؤوس بعض الإخوان وقد أقحم المؤلف وجهاً نساءياً حتى يلين من جفاف المشاهد، ولكنه ما كان يمكن أن يقدمه بالصورة التي تكسب إعجاباً، وجاء تمثيل السيد أياد متكلفاً في الحركات والأقوال، للاتجاه الخسيس الذي أريد به إسقاط صورة حسن البناء إلى مستوى الابتدال السوقي، وظهر وهو يتحدث عن الملك، كما لو كان واعظاً من وعاظ الأوقاف، وصورت صلاته بالحكام كما لو كانت استجداء، كما ظهر منهاراً نادماً بمجرد ظهور الحل، كما لو أن كل شيء قد انتهى^(*).

* * *

(*) مما يدخل في التزييف ما ذكرته كاتبة في «الأهرام» (٢٥/٩/٢٠١٠م) تحت عنوان إياد نصار: لم أقدم حسن البناء ولكني جسدت أفكاره، وكانت أجمل شهادة اعتراف من جمال البناء الشقيق الأصغر لحسن البناء الذي أشاد بجمال أداء إياد والذي قلته هو أن إياد كان في بعض المشاهد عندما يقف مبتهلاً وواضعاً الطربوش يبدو فيه بعض شبه من الإمام الشهيد، أما عندما خلع الطربوش فكان شخصاً آخر مختلف تماماً، لأن الإمام البناء كان أصلع، بينما ظهر إياد بشعر كثيف كشعر شاب في العشرين.

هذا التفارق الشاسع بين الحقيقة وبين ما فاضت به الصحف وأجهزة الإعلام من ثناء ومدح جعلنا نتساءل أقلامنا بأيدي من؟ فهذا هو ما يجلي الموقف.

• هناك «كتاب الحكومة» ويدخل فيهم معظم الذين يحررون الصحافة الحكومية، ومعظم الذين يهيمنون على الإذاعة والتلفزيون، فهؤلاء «موظفون» لدى الدولة، وطبيعي أن يمثلوا اتجاهاتها، ومن غير المعقول أن يمثلوا هيئة تعتبرها الحكومة ألد أعدائها، بصورة منصفة أو عادلة، فإذا كان الظرف ظرف انتخابات تتحفز فيها كل القوى لتحقيق التغيير، فلا يكون معنى لأن تشتري الحكومة المسلسل وتدفع فيه أكثر من عشرين مليوناً وتذيعه أكثر من مرة كل يوم، إلا أن الحكومة أرادت أن تعلن حرباً شعواء على أقوى خصومها، ولعل الدكتور عبد المنعم سعيد أن يكون استثناءً بحكم ثقافته وتمكنه واعتزازه بنفسه، وعندما وضعت الدولة على رأس «الأهرام» فإنها جعلته يؤدي دوراً «درامياً» يحاول فيه الحفاظ على الأمانة العلمية، والحيلولة دون خيانة الكلمة أو تزييف الحقيقة، ولكنه في الوقت نفسه لا يمكن الجهر بما يخالف سياسة الحكومة، ولهذا فإنه في كتاباته عن «الجماعة» تفادى تماماً الحديث عن الجماعة وتحدث عن الإخوان المسلمين كهيئة ودورها في المجتمع ودور الدعوات الإسلامية في ماليزيا وتركيا بالمقارنة وتصرفات المرشد العام (الأستاذ عاكف).. إلخ، بمعنى أنه تفادى بلباقة الحديث عن مسلسل الجماعة رغم أن عنوان المقال كان حديث عن جماعة الإخوان المسلمين (٢٣/٨/٢٠١٠م)، وعاد مرة أخرى (٢٠/٩/٢٠١٠م) للحديث عن التجربة الإسلامية في الحكم وركز حديثه على ما قاله الدكتور محمد بديع المرشد العام للجماعة خلال حفل الإطار السنوي بمدينة طنطا في ١٧ أغسطس ٢٠١٠م إن الجماعة تتمسك بشعار «الإسلام هو الحل» بعد أن فشلت الحكومة في تقديم البديل وقادت البلاد إلى الفساد والخراب، فيقول «بعيداً عن الاستنتاج الذي توصل إليه المرشد عن «خراب دولة يوجد في بنوكها ٩٠٠ مليار جنيه، ولديها من الاحتياط العام في بنوكها قرابة ٣٥ مليار دولار، ويحتفظ فقراءها في دفاتر البريد ما يتجاوز ٦٨ مليار»، فهو هنا يذكر جانباً حسناً، ولكنه يتغاضى عن المؤامرة على زراعة القمح الذي حاربت في سبيله الأستاذة سكيمة فؤاد حرباً متصلة وإعلانها مشروع الدكتورة زينب الديب عن زرع التقاوي المحسنة التي تجعل الفدان يغل ٣٥ طناً، ويمكن تعميمه في الصحراء بأساليب علمية تكفل إتاحة الكفاية من القمح، فلا نضطر لشراء ملايين الأطنان من القمح السيئ المغشوش أو الغالي أو بشروط عسيرة، ولا يتحدث عن الخصخصة التي أتت على مصانع البلاد، فما أن تتم خصخصة مصنع حتى يوقف المستثمر الإنتاج ويسرح العمال ويبيع أرض المصنع باضعاف ما دفعه، أو جريمة المبيدات المسرطنة التي أصابت الملايين بأمراض الكلي والسرطان، أو وئد مشروع تربية العجول لحساب مافيا استيراد اللحوم، أو نهب أرض مصر بالآلاف الفدادين كما في «مدينتي» وغيرها، أو الفساد والرشاوي في كل مرفق، أو تهلوي التعليم، أو اختلاط الصرف الصحي بمياه الشرب، أو إنحطاط الأجور إزاء الارتفاع المستمر للأسعار، أو البطالة المستشرية، أو الدين القومي والدين الأجنبي الذي جاوز النسبة المأمونة، أو مؤامرة أصحاب أعمال يقيمون المصانع في دولة خارجية فيصرفون عليها من مال مصر، ولكنهم يودعون أرباحها في البنوك الأجنبية لحسابهم، ولم يتحدث عن ارتفاع حالات الانتحار هرباً من الفقر، أو

حالات الهجرة في قوارب إلى إيطاليا أو اليونان حتى وإن انتهى بالغرق، لأن الموت في البحر أفضل من الحياة في مصر، أو الاعتقالات والتعذيب التي في أقسام البوليس، كل هذه البلاوي التي «خربت» فعلاً البلد لا يذكرها محامي الحكومة الذكي»، بل يذكرنا بما في أيدي الرأسمالية أو البنوك من أموال الشعب الذي يعيش في المقابر والعشش ولا يجد قوت يومه.

فهذه هو حال أفضل وأذكى كتاب الحكومة، أما البقية فلا يعرفون إلا الزلفى والتملق للرئيس، والحديث عن الجنين الذي ينتخب الرئيس في بطن أمه.

● **ثانياً:** اليساريون والاشتراكيون والعلمانيون وفلول الناصرية والقومية العربية، وهي قبيلة كبيرة تضم خريجي المدارس والجامعات الأمريكية أو البعثات إلى الدول الأوروبية، وكل الذين يستلهمون الثقافة الأوروبية ويعودون إليها ويحتكرون العمل في الصحافة والإذاعة والتلفزيون ومختلف وسائل التأثير في الرأي، وهؤلاء بصفة عامة إما أنهم أعداء للفكر الديني عامة ولل فكر الإسلامي خاصة، وإما أنهم لا يعتقدون أصلاً بالدين لأنهم «دنيويون» وهي التسمية الصحيحة لتعبير «العلمانية»، وكل هؤلاء يضيقون بأي اتجاه إسلامي، فإذا كتبوا فإنهم يبرزون النواحي السلبية أو التقليدية.

وإذا كان فيهم - رغم هذا - من يؤمن بالإسلام فهو يؤمن به باعتباره عبادة وهو يصلي ويصوم ويحج لأنها شعائر الإسلام، أما المجتمع فهذا عالم آخر لا علاقة له بالإسلام.

إن معظم الأعلام هي في أيدي هذه القبيلة، كما أنها تهيمن على التلفزيون والإذاعة.

● **ثالثاً:** الكتاب الفنيون الذين يتحدثون عن السينما والمسرح والغناء والموسيقى، ومن الطبيعي أن يجامل هؤلاء زميلاً لهم متمكناً فهم زوج تليفزيونية بارزة وأب لمخرج وسيناريست لعدد من أبرز الأفلام مثل «الإرهاب والكباب»، و«طيور الظلام».. إلخ، خاصة وأنهم بحكم ميولهم وعملهم لا يضمرون حباً أو تأييداً لاتجاهات دينية.

* * *

وهكذا نفهم كيف أن معظم الصحف - باستثناء - الدستور التي ذكرت أن «الجماعة» هي الأقل مشاهدة، أخذت تكيل الثناء لوحيد حامد وترفع إلى عنان السماء المسلسل، فهذا هو ما توجهه الزمالة في المهنة.

ومع هذا فقد كتب الدكتور رفيع حبيب تحليلاً منصفاً للمسلسل ونشرتها «الدستور» (يوم ٢٠١٠/٩/١١م)، ونحن نعيد نشرها هنا لأنها تحدثت بصراحة عن المسلسل:

[أثار مسلسل الجماعة جدلاً واسعاً، جعل جماعة الإخوان المسلمين حاضرة في المشهد السياسي قبيل الانتخابات البرلمانية بقوة، وهو حضور اجتماعي وسياسي، بين مؤيد ومعارض لها، وككل التيارات الفاعلة والمؤثرة، نجد لجماعة الإخوان المسلمين مؤيدين لها ولمشروعها، ومؤيدين لمشروعها دون تأييد الجماعة وتنظيمها، ومعارضين لها ولمشروعها، وهي حالة تتسم بالحيوية والطبيعية، تجعل الجماعة حركة فاعلة في الشارع، لها إيجابيات وسلبيات، وتحقق انتصارات وإخفاقات، هكذا أصبحت

الجماعة حاضرة في مسلسل رمضاني، جعل اسم الجماعة يتردد في وسائل الإعلام لتصبح مادة النقاش الرمضاني، وغاب اسم المحظورة، فالمسلسل جعل لجماعة الإخوان المسلمين اسم شهرة جديدًا، وهو «الجماعة».

ولكن المسلسل جاء وسط مشهد سياسي، وفي قلب خصومة سياسية محتدمة بين النظام الحاكم وجماعة الإخوان المسلمين، أي الجماعة، وكل الجدل المثار حول المسلسل، أوضح حقيقة أن المؤلف الأستاذ وحيد حامد، له موقف من التيار الإسلامي، وهو موقف لم يخفه من قبل، ومن المتوقع أن يقدم المسلسل من خلال موقفه الفكري، ولا يفترض أو يتوقع أن يقدم عملاً موضوعيًا بعيدًا عن موقفه، يمكن أن ينتج صورة تخالف تصورات الشخصية، أما عرض المسلسل علي شاشات التلفزيون الحكومي، فقد كان كاشفًا عن تحيز المسلسل ضد الجماعة وضد حقيقتها التاريخية، لأن التلفزيون الحكومي لا يمكن أن يقدم حقيقة الجماعة، بعيدًا عن خصومة النظام الحاكم معها، ولم نعرف عن خصم سياسي يقدم معارضية بموضوعية ويعرض رؤيتهم وحقيقتهم للناس، ويتطوع بنشر حقيقة تاريخهم نيابة عنهم، لذا أصبح تحيز المؤلف ضد التيار الذي تنتمي له الجماعة، وتحيز وسيلة النشر الأساسية وهي التلفزيون الحكومي ضد الجماعة، سببًا كافيًا للقول بأن المسلسل جاء لا ليعرض تاريخ الجماعة، بل ليعرض رؤية مخاصمة لها، تفسر تاريخها حسب تحيزها السياسي.

والمشكلة الأولى في هذا العمل، تتعلق بمدى إمكانية وضع التفسيرات السياسية علي لسان أبطال الحدث التاريخي، حتى يقدم البطل نفسه دليل إدانته التي يحتاج لها الخصم السياسي حتى يثبت موقفه منه، أو حتى يحقق انتصارات سياسية عليه، ففي المسلسل مشاهد من التاريخ، أضيفت لها تعبيرات وكلمات لتدين صاحبها، وأعيد ترتيب الحدث أو تصويره حتى يحمل إدانة للجماعة من داخل تصرفات وكلمات قيادتها وأعضائها، فأصبح النقد الذي يراد توجيهه للجماعة، ينطق به البطل نفسه، أو حسن البنا مؤسس ومرشد الجماعة الأول، وغابت معايير مهمة في تناول التاريخ، فالحدث لا يخضع لرأي المؤلف، بل يخضع لما هو مسجل تاريخيًا، بعيدًا عن الآراء والمواقف السياسية، ولكن مسلسل الجماعة جاء كعمل سياسي في قالب فني، له أهداف سياسية واضحة.

والمشكلة الثانية في مسلسل الجماعة، هي غلبة استخدام الإعلام من النخبة الحاكمة والنخب العلمانية المعارضة للمشروع الإسلامي، بدرجة جعلت البعض يتصور أن الإعلام قادر على خلق الحقيقة أو تغييرها أو تشويهها، فأصبحت اللعبة السياسية هي لعبة إعلام في المقام الأول، وهو تصور خاطئ، لأنه يغلب ما يحدث في بيئات أخرى مثل الغرب، حيث يسود الإعلام ويخلق تصورات الناس، وحيث تغلب صورة المشاهد الجالس أمام التلفزيون مستسلمًا لما يشاهد، لدرجة تجعل الإعلام هو صانع الرأي العام الأول، ولكن الوضع في المجتمع المصري، مثل غالب المجتمعات العربية والإسلامية، يختلف عن ذلك، حيث إن صانع الحقيقة هو الواقع، وهو الرأي السائد بين الناس، ووسيلة الإعلام الأولى، والتي تحظى بأكبر درجة تأثير في المجتمعات العربية والإسلامية، أي المجتمعات التقليدية المحافظة، هي شبكة العلاقات الاجتماعية، فالرأي الذي ينبع من المعاشرة والمعرفة المباشرة، والذي يتم نقله بين الناس،

من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية والتي تستند علي قواعد الثقة، هو الذي يكتسب مصداقية بين الناس، والناس التي تعرف الجماعة وتعاشر أعضائها وتتعامل معهم، تعرف حقيقتهم، سواء كانت تؤيدهم أو تعارضهم، ولا تحتاج لمن يقول لها ما الحقيقة، وهنا خطأ إعلامي يتكرر من قبل النخبة الحاكمة، لأنها تحاول صنع الواقع إعلامياً بصورة تختلف عن الواقع الفعلي، وتتصور أن الناس يمكن أن تصدق هذا، وهذا الخطأ يتكرر مرة أخرى مع الجماعة، حيث يحاول المسلسل تقديم صورة لحسن البناء، تختلف عن الحقيقة بشهادة الشهود والتاريخ المسجل، بل ومعظم المراجع التي استخدمت في المسلسل أيضاً .

والمشكلة الثالثة هي الطريقة التي قدم بها حسن البناء، والكيفية التي أريد بها لصق تهم التطرف والعنف والانشغال بالزعامة والمكاسب السياسية، فهذا الأسلوب يعني أن الخصومة التاريخية بين النظام والجماعة، تتغلب حتى علي أهمية وضع شخصية بحجم حسن البناء في مكانها التاريخي المناسب لها، فحسن البناء يمثل علامة في التاريخ المصري، حيث جعل لمصر دوراً محورياً في العالم الإسلامي، وأصبح من ضمن القوى الناعمة لمصر، التي ترفع وضعها الريادي، في وقت غاب التأثير الريادي لمصر علي يد النخبة الحاكمة، ولكن خصومة المؤلف والمسلسل لم تتوقف علي الجيل الراهن، بل امتدت للتاريخ، فجعلت التاريخ جزءاً من خصومات السياسة، وهو عادة تكررت مع كل الأنظمة الحاكمة بعد ثورة يوليو، حيث بات التاريخ ضحية لخصومات النخبة الحاكمة.

والمشكلة الرابعة تتمثل في عدم القدرة علي تقديم الجماعة علي حقيقتها ونقدها، وتلك مشكلة أساسية في كل الحملات الحكومية، أو حملات النخب العلمانية، صحيح أن بعض السياسة لا تعرف الأخلاق، وتبرر كل الوسائل في الخصومة السياسية، ولكن قدرة أي طرف علي هزيمة خصم ترتبط بقدرته علي تقديم حقيقة هذا الخصم ونقدها، لأنه إذا نجح في تقديم صورة خصمه الحقيقية وأقنع الناس بالبعد عنه، عندئذ يكون قد حقق انتصاراً عليه، ولكن تشويه صورة الخصم ثم نقده، يؤدي إلى رفض بعض الناس لتلك الصورة المشوهة، ولكن موقفهم يتغير بمجرد معرفتهم بالصورة الحقيقية، كما أن معرفتهم بالحقيقة تظهر حقيقة من خدعهم وشوه صورة خصمه علي خلاف الواقع، وكما فشل خصوم الجماعة في عرض صورتها بدون تزوير، وإقناع الناس بعدم تأييدها، اتضح أن صورة الجماعة في حد ذاتها جاذبة للجماهير، وأن خصوم الجماعة يشوهون صورتها حتى لا تعرف الجماهير حقيقتهم ويقبل الكثير منهم علي تأييد الجماعة.

والمشكلة الخامسة تتمثل في البديل، ففي الهجوم علي الجماعة في الأعمال الفنية، نجد أحياناً هجوماً على النظام، فهو ليس البديل المناسب، ولكن صورة البديل تظل حائرة في تلك الأعمال، فكل عمل سوف يقدم البديل في رؤية إسلامية معتدلة، سوف يجد نفسه يروج لمشروع الجماعة، حتى وإن لم يروج للجماعة نفسها، والغالب أن أي ترويج للمشروع الإسلامي، حتى وإن كان بتصورات تختلف عن تصورات الجماعة، يُعد ترويجاً لمشروع الجماعة ضمناً، وتقوية لجماهير التيار الإسلامي، لذا نجد أن البديل الذي يظهر خجلاً أمام الصورة المشوهة للجماعة ولكل التيار الإسلامي، ليس إلا التحرر بالمعني

الليبرالي، فتظهر الحرية الفردية، والتحرر من قيود الدين الجامد، حتى نصل للرسالة الواضحة للبديل، فنجد أنه التحرر علي النمط الغربي، والخروج من التقاليد وحكم الدين، ويصبح الفهم المستنير للدين، هو الفهم الذي لا يعيق حرية الفرد ويسمح له بكامل الحرية، فيصبح الدين شأنًا فرديًا، وليس للمجتمع علاقة به، حتى يتحرر نظام المجتمع من الدين، وهنا تفشل كل رسائل تشويه الجماعة، عندما يتضح أن البدل هو الخروج من النمط الشرقي المتدين المحافظ، الذي ظل النموذج المميز للحضارة العربية الإسلامية، فتصبح الحرية الشخصية أولاً وقبل الدين] انتهى.

كما كتب قطب القضاء المستشار محمود خضيرى كلمة في «المصري اليوم» (٢٠١٠/٩/١٩م) تحت عنوان «جماعة وحيد حامد»:

«كنت أتمنى مشاهدة جميع حلقات مسلسل الجماعة لا رغبة في معرفة تاريخها فإنى أعرف منه ما يكفي للحكم عليها سواء عن طريق القراءة أو عن طريق معايشة بعض رجالها أو عن طريق سماع بعض الروايات ممن أتاحت لهم فرصة معايشة بعض الأحداث أو رؤية ومجالسة الإمام حسن البنا من غير الإخوان المسلمين، ومن هنا فإن عجبى الشديد من تصوير شخصية حسن البنا فى المسلسل، فحسن البنا بكل المقاييس كان زعيماً، لديه كل مؤهلات الزعامة التى تزيد كثيراً عن مؤهلات الكثير ممن كان يعاصره من الوزراء ورؤساء الوزارات الذين عاصروهم والذين أظهر المسلسل وحلقاته الأخيرة حسن البنا أمامهم على أنه أقل شخصية، فليس حسن البنا الذى يبكي كالأطفال أمام وزير الداخلية بعد قرار حل الجماعة ويحاول وزير الداخلية تهدئته ومنعه من البكاء، وليس حسن البنا بالشخص التافه الذى يظل يضرب رأسه فى المنضدة طوال حلقة كاملة بعد تنفيذ قرار حل الجماعة والقبض على أعضائها، حسن البنا الذى أنشأ جماعة استعصت على القضاء عليها طوال أكثر من ثمانين عاماً رغم الضربات التى تلقتها، والتى تنهار أمامها الدول، ليس بالشخص العادي أو الضعيف الذى ينهار ويضرب رأسه فى المنضدة، كما ظهر فى المسلسل .

أمر آخر أظهره المسلسل أثار استغرابى واستغراب الكثيرين غيرى وهو عدم إظهار نشاط الإخوان وبلانهم فى حرب فلسطين رغم أنه نشاط كفاح لا يستطيع أحد مهماً، كان عداؤه لهم، إنكاره، والمسلسل رغم أنه لم يظهر هذا الكفاح حاول أن يشوه صورته بالادعاء على لسان أحد أعضاء الجماعة أن هذا الجهاد ضد اليهود فى فلسطين لم يكن نابغاً عن حب الجهاد، بل كان نابغاً من محاولة لفت نظر الناس بعيداً عن حادث مقتل القاضي الخازندار، فأحد أعضاء الجماعة نبه المرشد حسن البنا إلى أن رد الفعل الشعبى ضد مقتل الخازندار يمكن القضاء عليه عن طريق إعلان الجهاد ضد اليهود فى فلسطين، وبذلك ينشغل الناس بهذا ويبتعدون عن مناقشة قضية قتل الخازندار^(١)، وهذا فى الحقيقة ظلم للمجاهدين ما بعده ظلم، وهو على أى حال ظلم دنيوي لأن جزاء المجاهدين المتكفل به الله سبحانه وتعالى الذى يعلم السرائر ويجازي كل إنسان بقدر نيته .

(١) كان مقتل الخازندار فى مارس سنة ١٩٤٨م، بينما بدأ الإخوان فى الدعوة لفلسطين من سنة ١٩٣٨م. (جمال البنا)

وجهة نظر المباحث العامة أن من قام بتفجيرات المحال اليهودية مثل هانو وصيدناوي وعمر أفندي هم الإخوان انتقاماً من اليهود، وقد قتل فيها الكثير من المصريين، أما وجهة نظر بعض المؤرخين فهي أن من قام بهذه التفجيرات هم الإسرائيليون، لأن يهود مصر لم يُقبلوا على الهجرة إلى إسرائيل، فأراد بعض زعماء إسرائيل إرغامهم على ذلك، فقاموا بهذه التفجيرات حتى يعطوا اليهود المصريين انطباعاً بأنهم مستهدفون في مصر ويدفعوهم إلى الهجرة إلى إسرائيل، لا يوجد مصري عاقل يفكر في تفجير هذه الأماكن لأن ذلك يلحق الضرر بالاقتصاد المصرى والشعب الذى سيكون الضحية الأولى لهذه التفجيرات، سلاح الإخوان لم يكن الهدف منه محاربة الحكومة حتى وإن كانت موالية للاستعمار، كما كان شأن أغلب الحكومات قبل الثورة، ولكن كان يستهدف جهتين: الأولى اليهود في فلسطين، والثانية الإنجليز فى القناة، وعدم الاعتراف بذلك كمن ينكر الشمس وقت طلوعها، وبلاء الإخوان فى الاثنين يعرفه الجميع، وبالتأكيد يعرفه الأستاذ وحيد حامد، ولكن صورّه على أنه محاولة للفت نظر الناس عن الأخطاء التى يرتكبها الإخوان لا حباً فى الجهاد والتضحية، لأن هذا يرفع من شأن الإخوان ويمنع إذاعة المسلسل على القنوات التليفزيونية الحكومية، والكاتب والمنتج فى أشد الحاجة لذلك .

فى واقعة شهدتها بنفسى فى السنوات الأولى فى عمر الثورة وكان سنى وقتها لا يتعدى الثالثة عشرة واصطحبني أحد أقاربي لسماع حديث الثلاثاء فى المقر العام للإخوان المسلمين، كان المتحدث وقتها الأستاذ سعيد رمضان، وكان - رحمه الله - متحدثاً لبقاً مفوهاً، وكانت الثورة الجزائرية على أشدها، والكفاح المسلح فيها محتدماً بين الجزائريين والفرنسيين، وفى آخر الخطبة دعا إلى تكوين كتبية من مائة متطوع للذهاب للقتال فى الجزائر وفور سماع هذا النداء توجه قريبي هذا لقيد اسمه مع المتطوعين، إلا أنه عاد بعد برهة حزينة لأنه وجد أن قائمة المائة متطوع قد اكتملت وطلب منه الانتظار حتى إعداد كتبية أخرى، طبعاً لو أن أحد رجال المباحث العامة أراد أن يفسر ذلك لقال إن الكتبية فى الحقيقة لم تكن للقتال فى الجزائر ولكنها كانت لقتال الحكومة المصرية.

التاريخ.. يا أخى الفاضل الأستاذ وحيد حامد، لا يؤخذ من وجهة نظر واحدة لأن فى ذلك الكثير من الظلم لمن تكتب عنه والتاريخ والأعمال التاريخية يجب أن تستقى من مصادر عدة.

إذا أخذنا بمعيار أن سلاح الإخوان موجه إلى الحكومة المصرية وليس إلى إسرائيل وإنجلترا، فإننا بنفس المعيار سنقول إن سلاح المقاومة الإسلامية حماس موجه إلى الجارة مصر وإلى منظمة التحرير وليس إلى إسرائيل، وهذا بالضبط ما تقوله أجهزة الإعلام الحكومية عندنا، كما أن سلاح حزب الله ليس موجهاً إلى إسرائيل ولكن للسيطرة على لبنان لحساب إيران، كما أن حماس وحزب الله لم ينتصرا فى حربهما على إسرائيل نظراً للدمار الكبير الذى لحق بلبنان وغزة، وينسى هؤلاء أنه لا توجد حرب بلا خسائر بشرية ومادية، وأن العبرة فى النهاية بتحقيق أهداف الحرب وهى بلا شك قد تحققت بدليل التحقيق الذى أجرته إسرائيل عقب حربها مع حزب الله وأداء قادة هذه الحرب، كما أن إسرائيل فى حربها على غزة كان هدفها الأول تحرير الجندي الأسير، وقد فشلت فى تحقيق هذا الهدف الصغير .

عندما أستعرض تلاميذ حسن البنا لأتعرف على شخصيته ومدى تأثيره، وأعلم أن من بينهم من يعيشون بيننا ونعتز وننفاخر بهم مثل الشيخ القرضاوي، ونترحم عليهم ونستفيد بعلمهم مثل الشيخ

الغزالي والشيخ سيد سابق والأستاذ سيد قطب، ومن كنا نود أن يكونوا بيننا الآن ليعلمونا كيفية الكفاح والنضال ضد إسرائيل مثل الشيخ فرغلي بعبع الإنجليز، كل هؤلاء وغيرهم كثير من تلاميذ الإمام حسن البنا، لعرفنا مدى قامته وشخصية وعلم هذا الرجل الذي لم يكن ليبيكي كالأطفال في حضرة وزير داخلية يستمد مكانته من الكرسي، أو يخبط رأسه على المنضدة كما يفعل المتخلفون، إن كان حسن البنا ساهم في اغتيال الخازندار والنقراشي سواء كان هذا بأمر منه أو بعلمه أو لم يكن، إلا أنني لا أعتقد أنه قال إنه في قابل أيامه سيبتعد عن السياسة، لأن الدين الإسلامي دين ودولة وإلا أصبح الإخوان مثلهم مثل الطرق الصوفية لا هم لهم إلا العبادة على الطريقة التي تروق لهم، أو مثل الجماعات السلفية التي تبتعد عن الجهاد، وهذا بالضبط ما تريده النظم الحاكمة في كل البلاد الديكتاتورية حتى تكون في مأمن من منازعتها على السلطة وتستريح الحكومات وتطمئن إلى بقائها أبد الدهر وتسعى في الأرض فسادًا، كما يحدث الآن.

لا عيب في السعي إلى السلطة مادمت تسعى إليها بالطرق الشرعية، وهو ما تفعله المعارضة الآن، ولكن العيب كل العيب في السعي إليها بطرق غير مشروعة، كما يفعل الحزب الوطني اليوم .

لا تعجبني فكرة محاربة الأعمال الفنية عن طريق اللجوء إلى المحاكم لعدم جدواها، ولأنها قد تعطي العمل الفني قيمة ليست له تلفت النظر إليه أكثر، ولكني من أنصار الرد بعمل فني كبير وقيم يُترك أمر إعداده ليس للإخوان المسلمين، ولكن لمؤرخين محايدين حتى لا يكون العمل رد فعل، وأن يراعى الحسنات والسيئات، لأنه لا يوجد بشر ليس له أخطاء، فهذا هو الرد الطبيعي على أي عمل فني، وأعتقد أنه في الأعمال الفنية الحسن منها يطرد السيئ كما في العملة، وأذواق الناس وإحساسهم هو الحكم في النهاية وهو حكم لا يخطئ، ومطلوب من الإخوان عدم التعجل سواء في الكتابة أو الإخراج لأن العمل كبير ومنتظروه كثيرون» انتهى.

وفي جريدة «الدستور» (٢٧-٢٨/٩/٢٠٢٠م) نشرت الكاتبة اللاذعة الأستاذة نواردة نجم:

أود أن أعبر عن صدمتي، وتحطم كل آمالي على صخرة واقع مسلسل الجماعة، أو مسمم المجاعة، لقد كان أملي، كل أملي، أن نكتشف حقيقة كل ما حدث لنا من أهوال، وبيع للبنى التحتية، وهدم للأساسات الوطنية، وسرقات، وحرائق، وسوابق، وحزن ساكن فينا ليل نهار وأنه يعود لمؤامرة ضد مصر، أو لدسياسة، أو خيانة في صفوف، أي صفوف، المهم أن يتم تفسير هذا الخراب الهذيان الذي حل بنا، لكن كل هذه الخيالات انهارت بعد متابعتي مسلسل الجماعة، والذي تم تأليفه بتوكيل وتمويل من الدولة، والإشراف عليه من قبل أمن الدولة «الناس تحكي وتتحاكي في الوسط الفني عن الضباط الذين يحضرون المونتاج»، بهدف «فضح جماعة الإخوان المسلمين»، و«كشفها للجميع»، و«إظهار حسن البنا وتاريخه المخزي على حقيقته»، بالمختصر كده، الهدف كان الهجوم على جماعة الإخوان المسلمين، وهدم أي صورة إيجابية قد تكون علق بذهن أحد المواطنين عنها... لماذا؟ لأن الدولة تكره الإخوان المسلمين.

ماذا لو كان صناع المسلسل يرغبون في تجنيد الشعب بأكمله للإخوان المسلمين ؟ لا والإخوان بيشتغلونا وعاملين أنفسهم زعلانين لقد انبهر الناس بشخص حسن البناء، وانتشرت «مذكرات الدعوة والداعية» بين أيدي الناس وعلي كمبيوتراتهم، ولم تسفر مقالات الأستاذ وحيد حامد التي أنطق بها الممثل عزت العلايلي سوى عن الكركعة، حيث إن الجزءين المعاصر والتاريخي في المسلسل يتكاملان ليشكلا نموذجًا لـ «التضاد الساخر بين الحوار والصورة» الذي يستخدم عادة في الأفلام الكوميديّة، يضع الكاتب هجومه علي جماعة الإخوان المسلمين على لسان القاضي الذي يقوم بدوره عزت العلايلي، ثم يعود بالتاريخ ليدلل على صحة هذا التقييم، فإذا بالجزء التاريخي الذي يجسد حياة حسن البناء يناقض تمامًا ما قيل عن الجماعة من عشرين ثانية بس.

«بيتاجروا بالأم الناس».. وألقي لك حسن البناء قاعد ليل نهار مع الفقراء والفلاحين والمعوزين، «حسن البنّا زي حسن الصباح زعيم الحشاشين».. ثم ينتقل إلى حسن البنّا وهو يلقي موعظة تنضح بالعلم والبشاشة، وما زاد الطين بلة، أن يقوم إياد نصار بدور حسن البنّا ! الممثلون من نوعية إياد نصار، وخالد الصاوي من العرب، وجاك نيكلسون وآل باتشينو من العالميين، يحبون الشخصية التي يؤدونها ويغوصون في تقمصها، فتنلبسهم مثل الجن، ويتمكنون من إقناع المشاهد بها ولو كان يجسد أحدهم الشيطان، معروف هذا النوع من الممثلين ومشخص، وغالبًا بيبقي مخهم مفوت شوية .

هكذا يتصدى النظام لعدوه الأمضي، مع الإخوان في بيتها، المصيبة أن النظام المصري «يعادي» إسرائيل بنفس الطريقة، وأنا الآن أصدقه حين يقول إنه يعاديه، والدليل أنهم يعطونها غازنا، أيوه، كي يأخذوا من حسنات إسرائيل ويعطوها سيئاتهم فتفاجأ إسرائيل بأنها دخلت النار يوم القيامة، وطلعوا بيجبونا، أمال خراب البيوت ده كله منين ؟ ليتهم يكرهون مصر كلها كما يكرهون الإخوان، وتاني مرة:

(١) يراعي اتساق الأحداث مع الحوار.

(٢) لو حتعمله كوميدي نبه من الأول.

(٣) لا تستعن بممثل لديه كاريزما إلا إذا كنت تنشد تعاطف المشاهد.. الراجل أقتعنا بكل أفكار حسن البنّا.

(٤) وإنّ نازل ابقي انزل على السلم ما تنزحلقش.

وكتب الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود تحت عنوان «فكرة لتجار المسلسلات الأمنية»:

يجب على جماعة الإخوان المسلمين أن توجه الشكر والعرفان للنظام المصري على إنتاج مسلسل «الجماعة» وإذاعته على القنوات الأرضية والفضائية، الحكومية والتجارية ؛ في شهر رمضان الماضي ١٤٣١هـ (أغسطس/ سبتمبر ٢٠١٠م)، فلو أنفق الإخوان وبقية الجماعات الإسلامية، وجماعات حقوق الإنسان مليارات الدولارات، للتعريف بالإسلام والإمام الشهيد حسن البناء، وكشف وحشية النظام المصري الفاشل على مدى ٨٠ عامًا ؛ ما استطاعوا أن يحققوا ما حققه المسلسل البائس، الذي كتبه مؤلف شاطر وماهر وبارع، استطاع بكتابة المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية والأفلام السينمائية أن ينتقل من

مستوى إلى مستوى، ومن وضع إلى وضع ؛ حتى فاق أستاذه الذي رعاه، وقاد خطواته الأولى، حتى صار كاتباً محترفاً يكسب الملايين، وتوجهه السلطة كي يصفى حساباتها، ويروج لبضاعته الفاسدة.

ومع أن هذه السلطة قهرته كي لا يتمادى في تشويه الإسلام والدعاة وجماعة الإخوان وبترت مسلسله وحذفت منه حلقتين، كان يفترض أن يقدم فيهما مشاهد المؤامرة على الإمام الشهيد، ثم مصرعه، وتواطؤ الأجهزة في النكوص عن إنقاذ حياته، ومشهد جنازته التي حضرها والده والزعيم المسيحي مكرم عبيد ومجموعة من نساء الأسرة ؛ فإن المسؤولين لن يسمحوا له بالعمل في الجزء الثاني الذي قيل أن سيعرض لاحقاً.. ذلك أن تأثير ما أذيع كان خارقاً، اخترق كل البيوت التي تنطق العربية أو تفهمها، وعرفت مئات الملايين وخاصة الأطفال والشباب في أرجاء العالم الإسلامي بشيء اسمه الإسلام والدعوة الإسلامية، والإمام الشهيد حسن عبد الرحمن البنا وجماعة الإخوان المسلمين، كما اخترق الذهنية الثقافية المهيمنة على الحالة الثقافية، والمعادية بطبيعتها للإسلام، وفرض عليها أن تقف لأول مرة موقف الدفاع عن النفس، بعد أن كانت تهاجم، ثم إن الاختراق الأهم كان توجيه الملايين لقراءة ما كتبه حسن البنا، وما يتعلق بالدعوة الإسلامية والعقيدة الإسلامية، وهذا فضل من الله كبير أعاد الإسلام إلى دائرة الضوء، بوصفه هوية الأمة، ومستقبلها، وأملها المتجدد .

لن أناقش المسلسل من الناحية الفنية فهذا يحتاج إلى مجال آخر، ولن أتناول التشوهات التي صنعها كاتبه، فالمجال لا يُحتمل، ولكني أحب أن أقدم إليه فكرة لمسلسل جديد، سيكون مهماً للغاية ؛ لأنه يعني النخب الثقافية المهيمنة، ويتقاطع مع توجهاتها ونشاطاتها وماضيها وحاضرها ومستقبلها أيضاً، ولكن قبل أن أطرح الفكرة، أتساءل: ألم تكن لدى الكاتب فرصة ليلتقط أنفاسه، ويجعل نهاية المسلسل الأمني المبتور معقولة ومقبولة بدلاً من هذا القطع الدامي ؟

إن المسلسل بدأ من العصر الراهن، ومن نقطة القصة المملفة لما يسمى «العرض العسكري» الذي قدّمه طلاب الإخوان في جامعة الأزهر عام ٢٠٠٦م ؛ تأييداً للمقاومة الإسلامية في فلسطين المحتلة، وأخذ يتناول قصة الإخوان عن طريق وكيل النيابة ووالد خطيبته (المستشار)، وهو الذي يقود خطأ الأول لمعرفة التاريخ الخاص بالجماعة، ويفترض أن يكون البناء الفني دائرياً، أي يقوم الكاتب بإعادة الأحداث الماضية إلى الوكيل والمستشار، وينتهي بهما لنعرف رأيهما وما استقرّ عليه تجاه الأحداث الماضية، ولكن البتر الإجباري جعل النهاية تنتهي في الماضي وليس في الحاضر.. بالطبع لا يشفع للمؤلف القول إن هناك جزءاً ثانياً، فهذا الجزء الثاني لن يأتي أبداً وهو يعرف ذلك للأسباب التي قلّتها عليه».

وختم مقاله بأن اقترح على المؤلف المحترم أن يضع مسلسلاً عن «هنري كوربييل» اليهودي الغامض الذي اغتيل في باريس سنة ١٩٨٧م وكان قبلها يقود الحركة الشيوعية المصرية حتى بعد تركها إلى الخارج، ولا جدال أن شخصية «هنري كوربييل» شخصية تصلح تماماً لدراما تاريخية حافلة بالأحداث والتقلبات والمتناقضات حتى ميته الغامضة، ولكن فاتته أن مؤلف مسلسل «الجماعة» لا يبحث عن موضوع صالح، وإنما أراد أن يقوم بمهمة معينة بعيدة كل البعد عن عالم الفن.

وفي جريدة «المصري اليوم» (١٨ أغسطس ٢٠١٠م) عمود «أحوالنا» كتبت الأستاذة نعم الباز تحت عنوان «الخائفون من جثمان حسن البنا»: «مسلسل الجماعة أثار لدى ذكريات كثيرة مليئة بالتناقضات من شجن وألم إلى كفاح ونضال.. أحداث عاصرتها ونقشها الزمن على جدار ذاكرتي، ولم تطمسها أى أحداث أخرى.. كنا فى الحلمية.. وكان سكان الحلمية فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات يعتبرون يوم الثلاثاء يوماً لمصر كلها وليس لهم، حيث تفرش الجماهير الشوارع المحيطة بالمركز العام للإخوان المسلمين حتى شارع محمد علي وعند المساء يتوقف الترام تماماً لأن ناس مصر أغلقوا المكان وافتروشوا الأرض، أتى الإخوان من كل مكان يستمعون إلى المرشد العام حسن البنا، ولم أكن أعلم أن الرجل فى الأربعينيات من العمر، فقد كانت صورته وقوره وعينه نافذتين تتناغم فيهما القوة بالحنان.

وكان أبى صديقاً لمعظم أعضاء مكتب الإرشاد ولكنه لم يكن إخوانياً فكان التزامه بالإسلام المستتير.. أبى علمنا أن تكون مصر هى الأساس حتى لا تأخذنا عصبية الالتزام بتنظيم معين أو حزب معين وتضيع طاقتنا فى الدفاع عن مبادئ الحزب أو التنظيم، فقط نلتزم بأخلاقيات الفرسان وتعميق حب الوطن ليس بالأغاني، ولكن بتهيئة أنفسنا لنشارك فى البنیان ونؤكد أننا أصحاب الوطن، ولأنه كان كذلك فقد اكتفى بصدافتهم ومساعدة أسرهم أثناء اعتقالهم.. لهذا كان فى بيتنا أيام الاعتقالات زوجات وأبناء الكثيرين من أقطاب الإخوان وأعضاء مكتب الإرشاد.

وكنت صغيرة فى الرابعة عشرة من عمرى حينما اغتيل حسن البنا وقد وصل الخبر إلى بيتنا فور وصول جثمانه إلى منزله بالحلمية وفوجئنا عند الفجر بمجيء سيدة فاضلة هى حرم عضو مكتب الإرشاد الأستاذ عبد الحليم الوشاحي جاءت تحمل رسالة من والد حسن البنا إلى والدي، بالتوجه فوراً إلى مسجد قيسون بشارع محمد علي حتى يجتمع للصلاة على جثمان الشيخ حسن البنا وحتى يكتمل العدد إلى عشرين رجلاً وهو الحد الأدنى لصلاة الجنازة وكان هذا عرفاً !

وأذكر أنها قالت ليلتها وهى تغالب البكاء والنحيب: لقد جاءوا بالجثة إلى البيت وقالوا لوأده: «ادفنه قبل أن يظهر النهار !!!»، وتم غسل الجثمان بسرعة ونزلوا بالعربة وأرسل والده بعض السيدات ليخبرن أعضاء مكتب الإرشاد الذين بقوا خارج المعتقلات بحضور صلاة الجنازة ونزل أبى ومعه شقيقاي جمال طالب الطب فى ذلك الحين ومأمون طالب الحقوق.

وبكت أمى وسألت هل يمكن أن تصلى النساء، ولكن الوالد رفض وقال لها اقرئى يس والرحمن والواقعة، وعاد أبى بعد الصلاة مع أخوى على جثمان الشهيد حسن البنا وحكى لنا كيف أن المسجد كان محاطاً بالجنود وكبار الضباط وكأنهم مقبلون على معركة كبرى من معارك الأمن.

ترى هل يحقق مسلسل الجماعة هذه الجزئية ؟

لا أعتقد فمازالت الجماعة تحوي الهلع للنظام رغم افتقارها لرجل مثل حسن البنا الذى كان يمضى الصيف فى مدينة دراو بأسوان فى درجة حرارة تصل إلى خمسين درجة.

رجل استطاع أن يحدث تغييراً من خلال التمسك بالعقيدة، واستطاع أن يكتشف بعيني جواهر جي مجموعة من الرجال كانت تقضي حياتها في المعتقلات حتى الرmq الأخير.. رجل تعيش الجماعة على كفاحه وسيرته.

فكرت أن أحكي هذه الحكاية للكاتب العظيم وحيد حامد ولكن مثل حياتنا كلنا الآن تضيق منا أهم التفاصيل في تأمل أحوالنا التي تتحدر نحو مصب لا نعرفه ولكنه حتماً مخيف.

* * *

وقرأت في «الأهرام» (الأثنين ٤ أكتوبر ٢٠١٠م) كلمة الدكتور جابر عصفور بعنوان «مسلسل الجماعة»، ويبدو أنه سيواصل الكتابة لأنه أشار لمقاله هذا برقم (١) مما ينبئ أن هناك ما بعده، على أن مقاله الأول أسفر عن روجه العامة، وهي الروح التي لا يمكن أن تتحرر من مربع الثقافة الأوروبية وأحد الخصائص البارزة فيها إغفال الدين، فندرس الظواهر الاجتماعية والتطورات التاريخية.. الخ، بعيداً عن الدين وكأنه ليس موجوداً، لأن الحضارة الأوروبية وثنية، ورثت الوثنية من المكونين الأصليين لها، وهما الحضارة الإثنية والحضارة الرومانية، وكلاهما وثني، وكل الدراسات الأوروبية امتداد لهما، ولم يستطع أحد من كتابنا المعاصرين التحرر من هذه التبعية، ولو جاز لكان يجب أن يكون جابر عصفور نفسه لأنه كاتب محقق ومطلع، ولأن تحقيقه وإطلاعه لم يكن بحيث لا يجوز عليه ادعاءات مؤلف المسلسل فهو يقول عند حديثه عن الفترة الزمنية التي غطاها المسلسل «تبدأ من طفولة حسن البنا وتنتهي بموته المعنوي الذي يتمثل في انفضاض المجتمع من حوله»، فكيف انفض الجميع وقد كانوا أسرى الاعتقال، وحتى موته الفعلي «الاستشهاد الأسطوري» فإنه دفع الجماعة وأعطاه قوة، وقد كان اسم حسن البنا والاعتراف به - بعد الفترة الأولى - أعظم مما كان في الفترة الأولى وظل حتى الآن، وتحدث عن هذا الانفضاض كما لو «أجمع عليه الخصوم والأنصار وكان بمثابة حكم الإعدام المعنوي الذي سبق حادثة اغتياله»، فهو فاته أن الأوراق التي طويت في عهد الملك، فتحت أيام حركة ٢٣ يوليو، وهل ينكر أن اغتيال حسن البنا كان أبرز العوامل التي هيأت الشعب لقبول حركة ٢٣ يوليو، وهو ما قاله عبد الناصر وهو يقف على قبر الإمام الشهيد، إن كلام الكاتب المحقق الكبير قد أخذ بما كان ذائعاً في العهد وما ظهر زيفه وبطلانه للحكم الملكي.

وتحدث الكاتب الكبير والباحث النحري عن العلاقة بسلطات الاحتلال البريطاني والدعم السعودي عن طريق الشيخ محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ورأى في هذا «وقائع تاريخية ثابتة»، فهل يعلم الدكتور جابر عصفور أن رشيد رضا رهن بيته بعد أن هدده أحد أصحاب الورق ببيع بيته، وإن كان في كل الأعداد الأخيرة يناشد القراء دفع الاشتراك، وهل يعرف أن محب الدين الخطيب لم يستطع أن يواصل إصدار مجلة «الفتح» الأسبوعية بجعلها نصف شهرية، وهل يعلم أن السعودية في هذه الفترة كانت دولة فقيرة، وأن وزرائها كانوا يعملون مطوفين، وأنها كانت تعيش على «التكية» المصرية في مكة والمدينة، لقد قرأت للأستاذ عبد الرحمن البنا في أحد أعداد مجلة الإخوان المسلمين مقالاً «كيف نأكل

وسكان الرسول جياع»، وصورة واحد يحمل صندوقاً كتب عليه «تبرعوا لسكان المدينة المنورة»، وهل فاتته وهو المؤرخ أن الحكم الديكتاتوري الذي بدأه النقراشي بإعلان الأحكام العرفية، وأنهى به المرحلة الليبرالية هو المسئول عن كل حالات العنف، وأنه ما أن يفرض الحكم استبداداً حتى تبدأ عمليات الاغتيال والتفجير.

أما كل ما ساقه د. جابر عصفور من تمجيد للمؤلف، فليس إلا انسياقاً مع الكورس، أو قياماً بواجب المجاملة للزملاء في الفكر والاتجاه.

وعاد د. جابر عصفور في في ١١/١٠/٢٠١٠م ما بدأ به في وأشرنا إليه، وحتى لا أظلمه فإني سأورد كلامه بنصه:

[بنى وحيد حامد البناء الدرامي على خطين كتوازيين خصوصاً في النصف الأول من المسلسل، الخط الأول خاص بالزمن المعاصر، ويبدأ بمظاهرة استعراض القوة التي قام بها طلبة الإخوان في جامعة الأزهر، وذلك في السياق الذي يقود أحد وكلاء النيابة الشباب إلى البحث والتقصي عن أصل هذه الجماعة وظروف نشأتها، حتى يكون على علم وبينة بالخلفية التاريخية التي أسهمت في تأسيس الجماعة، وأسهمت في صياغة أفكارها ومعتقداتها والتأويلات الدينية التي تورثتها أجيال الجماعة وولاية الأمر فيها ويوازي هذا الخط المعاصر الخط الدرامي الخاص بجسنا البناء ابتداء من ظروف ولادته ونشأته وتكوينه الأخلاقي والديني الموروث والمكتسب في إطاره الاعتقادي والثقافي الذي تربة فكرياً على أصوله، وذلك على نحو باعد بينه وأفكار الفلاسفة المسلمين التي بعثها جمال الدين الأفغاني في القرن التاسع عشر وأفكار المعتزلة التي انحاز إليها تلميذه الإمام محمد عبده.

وتتصاعد الدراما ما بين الخط الأول والخط الثاني، ولكن على نحو يواجها فيه الخط المعاصر بتعريفه درامية عبر شخصيات ومواقف وأحداث لأسباب الفساد الذي نعيش فيه، والتسلط الذي يأخذ بخناقنا، والتخلف الذي لا يفارقنا وتتوجه الإدانة إلى الجميع، وذلك على نحو يشير في جسارة درامية تتميز بها إبداعات وحيد حامد إلى أسباب ما نعانيه من ناحية، وما يعمل على زيادة دعوات الإسلام السياسي وانتشارها بين الشباب من ناحية موازية، ولذلك نسمع في الحوار الدرامي عبارات من قبيل «إن الحكومات تصنع آلام الشعوب، والأحزاب والإخوان تتاجر بها»، و «إن فرار الفئران المتزايد علامة على الطاعون القادم».

وبقدر ما نتعرف على النماذج الاجتماعية المعاصرة لعينات الشباب الذي يجذب إلى جماعات الإسلام السياسي، وعلى رأسها الإخوان، على نحو مباشر يلقي اللوم دائماً على أشكال الفساد المعاصر والأزمات الطاحنة التي يعانها الشباب اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وسياسياً، فإن اللوم المضمحل لا يفلت النظام التعليمي الثقافي وضعف المؤسسات الدينية الرسمية وانغلاق أفقها، والدعاة الجدد وتحولهم إلى ظاهرة هي في حد ذاتها علامة على انحدار المحيط الاجتماعي الثقافي الذي يؤدي إلى ظهورهم وإلى نجاحهم في تحويل الدعوة الدينية إلى تجارة رائجة توازي صناعتها صنعة نجوم السينما والإعلام و تنتقل

ما بين الماضي والحاضر، في حالات كثيرة بواسطة القاضي المتقاعد عزت العلايلي الذي بدأ إخوانياً ولكنه انصرف عن الجماعة عندما استبدلت بالمجادلة والتي هي أحسن المجادلة والتي هي أقمع، ولا غرابة أن تكون المصادر التي يقدمها ممثل عدالة أمس إلى ممثل عدالة اليوم هي الزاد المعرفي الذي لا بد أن يعرفه الجيل الجديد عن الجماعة التي صاغها مؤسسها حسن البنا الذي كان شخصية استثنائية بكل معنى الكلمة].

في هذا المقطع يحاول الدكتور جابر عصفور أن يشير إلى الفساد المستشري والأزمات الطاحنة التي يعانيها الشباب.. إلخ، محاولاً أن يبين «موضوعية» وحياد الأستاذ وحيد حامد، وأنه لم يخفي فساد المجتمع، بل أشار إليه، ولكن النقطة أنه جهز هذه الفرصة ليدس السم في الدسم فيربط ما بين هذا التخلف والإخوان المسلمين، وهو يؤدي هذا الدور بمهارة، لأن هذه هي المهمة الرئيسية في المسلسل، ويجب أن تكون في شكل مضمهر حتى لا يتهم المؤلف بأنه يعادي الإخوان، وهو ما جاز أو ما تقبله مختاراً الدكتور جابر عصفور.

ينتقل الدكتور جابر عصفور بعرض أهم نقطة في المسلسل شخصية حسن البنا، فيقول بالحرف الواحد:

[وينجح وحيد حامد إلى حد كبير في صياغة شخصية حسن البنا درامياً، وذلك بقدر كبير الصدق الفني الي جعل الكثيرين يزدادون إعجاباً بهذه الشخصية التاريخية الفريدة ويرجع ذلك إلى أنه لم يقع في فخ تقديم البنا على نحو نمطي أو كرتوني، بل على نحو لا يخلو من الإعجاب والتقدير والفهم العميق لدوافع الحركة في سلوكه ولحسن الحظ أجاد المخرج التقدير محمد ياسين اختيار الطفل الذي قام بأداء دور حسن البنا الطفل وحسن البنا الكبير، وذلك إلى الدرجة التي قيل معها إن الممثل الأردني إيباد نصار حجب إلى الناس شخصية حسن البنا ولم يفرها منه، والواقع أن الهدف لم يكن إثارة الحب أو الكره، وإنما الفهم، فالبطل الدرامي في المسلسل كان ينطوي على حلم قرية إسلامية فاضلة طفلاً، ودولة إسلامية خيرة، تملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، في أول نضجه، وخلافه إسلامية تعيد العصر الذهبي للخلافة الإسلامية بعد أن اكتمل وعيه، ولكن الصراع كان يدور بداخله دائماً حول أسلوب الدعوة: (الرحمة والموعظة الحسنة أم التخويف والعنف)، وواضح أن هذا الصراع هو الذي تكشف عنه شخصية حسن البنا الداعية الصغير في قرينته].

هنا أيضاً نجد نفس «التكتيك» أن يعرض صورة حسنة لحسن البنا عبر مواقف مشوهة، ويقول كلاماً لم يفعله ويفتعل حوادث لم تحدث كلها لتؤثر على ما اضطر إلى الاعتراف به لحسن البنا يصوره كطفل شرير، لا كطفل يريد تحطيم تمثال المرأة العارية وينذر صاحبها بالجحيم.. إلخ، في حين أن هذا لم يحدث، كما صورة والده وهو البعيد تماماً عن عالم الدنيا، والعاكف على أوراقه ليل نهار بصورة سيئة سترد، ويكفي تصويره «لعالم الضياع والنهاية» و «الموت الأدبي»، وهذه كلها لا أصل لها، فكما قلنا إن الإمام الشهيد كتب ردّاً مسهباً فند فيها كل دعاوى عبد الرحمن عمار التي بنى على أساسها حل الجماعة،

كما أنه عندما سألته جريدة «المصري» يوم ١٩٤٩/١/٩م عما إذا كانت الدول العربية ستعمل مثل مصر فتحل هيئات الإخوان بها ؟ استبعد هذا تماماً، بل إنه ذكر أن العوامل الخاصة هي التي أدت إلى الحل، وسيعود كل شيء إلى ما كان عليه.

إن عبقرية وحيد حامد هي أنه أعطى المشاهد صورة مضادة تماماً لما حدث بحكم ما قدم لها من مشاهد مفتعلة، وأنه في إثر كل مشهد حسن كان يحيطه بمشاهد يفصلها ليمحو الأثر الحسن، أو وليؤوله تأويلاً سيئاً، ورغم أنه نجح في أن يؤثر على جابر عصفور فإنه لم يستطع أن يؤثر على رجل الشارع الذي يعرف حسن البناء حق المعرفة، ولا ينظلي عليه تحايلات وحيد حامد.

* * *

وتقصى د. إبراهيم البيومي غانم بعض تزييفات المسلسل في مقاله لجريدة «الشروق» (١١/١٠/٢٠١٠م، ص ٦، فذكر أن البناء قال:

«من يفشى سرّاً من أسرار النظام الخاص يحل قتله، وأنه لا مكان لوجود خائن في صفوف التنظيم الخاص.. الخائن يقتل، وقتله مباح شرعاً» (الحلقة رقم ٢٠ من المسلسل).

وإظهار الشيخ البناء في المسلسل فرحاً راضياً عن مقتل الخازندار والنقراشي، وإصاق تهمة اغتيال أحمد ماهر إلى الجهاز الخاص بإيماءات بين البناء والسندي تشير بإصبع الاتهام إلى توجيه البناء له باغتياله (الحلقة رقم ٢٤)، ثم بنسبة قاتله سرّاً للجهاز الخاص، وللحزب الوطني علناً، واختلاق رواية تقول إن محمود عساف مستشار النظام الخاص هو الذي اقترح على الشيخ توجيه أعمال النظام سنة ١٩٤٨م ضد الإنجليز والصهاينة بعيداً عن القتل الداخلي (!)، وكأن النظام قام ليقتل المصريين، لا الإنجليز والصهاينة أصلاً (الحلقة ٢٥).

وتصوير قرار حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨م على أنه رد فعل حكومي على أعمال عنف للجماعة واكتشاف السلاح المخبأ في عزبة الشيخ فرغلي (الحلقة ٢٦)، وليس استجابة لضغوط الاحتلال الإنجليزي والتدخلات الأمريكية والفرنسية، تلك الدوائر التي أزعتها أخبار قوة متطوعي الجماعة في حرب فلسطين، وضغطوا على النقراشي لقبول الهدنة التي رفضها الإخوان، ثم تصوير البناء وهو يخبط رأسه في المكتب ويكي بعد سماع قرار الحل (الحلقة ٢٧)، ويعترف بأن جماعته ملأت البلد بالعنف (الحلقة ٢٨)، وكل ذلك لا أساس له في مصادر التاريخ ووثائق تلك المرحلة، وهي مشاهد من صنع مؤلف السيناريو اعتماداً على تهويمات رفعت السعيد وعبدالعظيم رمضان أساساً.

الفصل الثاني ماذا قال الشارع؟

من رحمة الله، ومن نعم العصر الحديث أن وسائل التعبير لم تقتصر على الكتابة في الصحف، أو الحديث عبر الإذاعة، أو الظهور على شاشة التلفزيون، فهذه وسائل يمكن أن تضيق برجل الشارع، ولكنها امتدت إلى «الإنترنت»، وهي شاشة مفتوحة يمكن للجميع إبداعها وفتحها لمن شاء أن يعبر عن نفسه وبلغته سواء كانت عامية أو عربية.

ومن الطبيعي أن تكون هذه الأداة تمثيلاً صادقاً لرجل الشارع وما يحفل به من مفارقات تكشف تناقضات المجتمع المصري، كما يمكن أن نعثر فيه على لمحات ذكية، كما لا نعدم سقطات مزرية، فهذا هو المجتمع المصري، وهو ما يعطي صورة صادقة عنه.

ولما كان موضوع «الجماعة» من الموضوعات المثيرة شعبيًا، فإنه شغل صفحات عديدة من بعض المدونات وأبرز هذه المدونات هي:

- (١) موقع مصريات
- (٢) مدونة العدل والحرية
- (٣) موقع الأخبار
- (٤) موقع الحياة الإسلامي
- (٥) موقع قنطرة حول العالم، بالإضافة إلى تعليقات أحادية.

واستأثر موقع «مصريات» بأكبر عدد من التعليقات وصل إلى ١٩١ تعليقاً، استأثر بمعظمها مجموعة أثرت فيها أكاذيب وحيد حامد، بل وتغلغت فيها بحيث أصبحت إيماناً وعلماً، وأن الإخوان سذج تسيطر عليهم الغفلة والأناية والجهالة والرغبة في الاغتيال، وفي جعل مرشدهم نبياً كالبهائيين.. إلخ، وإن لم تعدم تعليقات عاقلة هادئة.

التعليق الأول كان من قريب وحيد حامد، وجاء ردًا على تعليق سابق نشره الموقع بعد ذكر عدد كبير من التعليقات وجاء به:

إلى صاحب التعليق «وحيد حاض» الذي يقصد كلمة حامض احب اقولك انا قريبه جدا وبلدياته وبتقابل معاه على الأقل مرتين فى السنه هذا الرجل فلاح واخلاقه مصرى صميم أحسن بكثير من اخلاقك يا من تدعى الإسلام يا تابع للأخوان الذين يدعوا انهم مسلمين ووحيد حامد كل مؤلفاته وكتاباته ما كانت تكون ابدا الا لمصلحة مصر ومصلة الشعب المصرى وليس لمصلحه أمنيه او حزبيه كما يدعى تخلفكم الفكرى .

ولولا أنك إنسان تافه ولا وزن لك فى عقلي ولا ضميري لكنت قد تحاورت معك بالتى هي أحسن لكن مجرد أن كلماتك الوضيعة مثل وحيد حامض مره وتدعيه بالعجل مرة أخرى ثم تتهمه بالغباء فإني

أستنتجت أنها عنوان شخصيتك المتدنية والغبية والتي كان من الممكن النزول لمستواك والرد عليك مثلاً وكيف تعرف أنه عجل إلا إذا كان في عائلتك عجل؟ وكان من الممكن التريقة والتهكم على حسن البناء ونسبته مثلاً حسن الحداد ولا العجلاتي ولا السمكري، يعني سكة أبو زيد كلها مسالك، فعيب عليك طولك وعرضك وخليك مؤدب، دا لو كان فيه حد حاول يربيك!

تحت عنوان «موعدنا يوم القيامة» نجد تعليقاً موجهاً لأحمد سلامة يحتمل أن يكون هو التعليق الذي أثار أحمد سلامة وأوردناه آنفاً، مع أنه كما هو واضح لا يثير بالضرورة هذا الغضب إلا إذا كان قلبه قد تشرب تماماً بأكاذيب وحيد حامد، أو كان هو نفسه أحد الكارهين للإسلام الذين يضيقون به وبأي كلام عنه:

(بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد.. لقد اختلفنا كثيراً وتبادلنا التهم والتشويه ولم يحسم الأمر بعد لأنكم ليس لديكم أي استعداد لقبول الآخر أو الانصياع للحق، فأنتم لا ترون الحق إلا معكم وأما غيركم فأهل تكفير وأهل فساد، وكأنكم اتفقتم فيما بينكم على الجمود و صد أي دعوة للحوار البناء الذي يبحث فيه جميع الأطراف على نقط الالتقاء، لقد دعوناكم لبدء حوار محترم يليق بسنكم ومراكزكم ووضعكم الثقافي، ولكنكم رفضتم وأخذتم تكيلون التهم وترمون الشبهات دون أي دليل، أسلوبكم للأسف لا يليق بالوضع الذي أنتم فيه من سن ومركز ووضع اجتماعي مرموق على حد قولكم، بالله عليكم ترفعوا عن هذا الأسلوب في الحوار وابتحوا عن الحق لمجرد الحق لا تبحث عن نصر لموقفك والله والله ثم والله لو كان الحق معكم لاتبعناكم وسرنا علي خطاكم ولكن للأسف لا تملكون إلا الشبهات وترديد الكلام، وأخيراً خير الكلام ما قل ودل موعدنا يوم القيامة بين يدي الله ولا تنسى يا أستاذ أحمد سلامه أنت لعنت الإخوان المسلمين، وكأنك توزع لعنات الله وتقسمها، فأثق الله فيما تقول ولا تتكبر على مراجعه نفسك إذا أخطئت فاللعنة أمر ليس بالهين، تحياتي من جديد لكل من شارك في هذا الحوار دون تجريح أو استهزاء).

يأتينا رد د. أحمد سلامة:

(اخرس قطع لسانك أنت وجماعة الإخوان الملاعين بتوعك، كلامك هايف ومرفوض، ومش أنت ياللي لسه بتعملها على روحك جاى تفهمني القيامة واللعن، وما أدراك ما اللعن، لعنة الله عليكم ناس قتله. انصح نفسك وبس يا إخواني صعلوك، وخليك في حالك يا درويش إخواني، ومره تانية هقولك: يا قلم ياللي بتبني أمم وبتزلزل عروش بلاش تشكي الرمم من سكان القبور والتوابيت والنعوش عشان هما موتى ما بيسمعوش، ولو كانوا أحياء هي هي برضه ما بي فهموش).

يدخل الخط سيدة مهندسة تدعى إيثار مرتجي هي سيدة الحلبة و«كابتن» الفريق في «ماتش الكورة»، ويبدو أن أحد الميالين للإخوان كتب اسمها مغلوطة وبطريقة ساخرة، وأنه ذكرها أنه امرأة، فجن جنونها وعلقت:

(أمر غريب جدًا فى هذه الجماعة المنبوذة والكومبارس التابعين ليها ، الناس دى يا إما عبيطة يا إما بتستعبط.. يا إما مجانين يا إما مجالليين ، مش عارفه والله إيها حكايتهم بالضبط؟ أنا والله كل ما بقرأ كلامهم ده بموت على روجي من الضحك لأنى بحس إن بشوف ناس عايشين فى جزر لسه ما نزلتش على الخريطة! أنا مش فاهمه إيها اللي كتبه الأفندي ده فى رسالة موجهه ضدى، ثم رسالة نفاق واستجداء للآخرين؟ فعلا الناس دي لو أنا كنت مبالغه فى أنهم مجانين ولا بيستعبطوا وغالبًا ما أكون أنا على حق، فعلى الأقل أو أقل ما يقيل أنهم بالفعل مرضى بالفصام وحينها يمكن إلتماس العذر ليهم ، لكن يبقى السؤال هل هذا هو آخر المطاف؟ هل مفيش عذر ليهم تانى؟ لا طبعا فيه!

العذر الأخير بقى ليهم إن يكونوا مستوردين فكرهم من قبائل المتخلفين الطالبانيين فى أفغانستان، وأعتقد أن ذلك هو الأرجح لأن بالفعل عقليتهم عليها صداء وجنزرة تحتاج الى جهاز إزالة الصداء من أطنان الحديد اللي معانا فى الشغل هنا وإن كنت واثقه أنه سيعجز عن إزالة الصداء من عقولهم ، فماذا يقول عنى ذلك المخبول؟

أولاً: أنه لم يجد تهمة يدافع بها عن نفسه كي يرد عليها.. لول، وأقول له هو فيه تهمة أكبر من كونك إخواني؟ هىء هىء هىء.. فلا تقل أن ليس لديك تهمة، بل قل إن من حسرتك على غياب فكركم لم يعد أمامك سوى الدفاع عن الغباء والتخلف، وهذا أمرًا غير معقول بالطبع، ثم ماذا يقول سيدنا الحكيم أفندي؟

ثانياً: بيقول لم أجد غير السب والقذف والا استهزاء.. (يقصد منى أنا)، إذن لما كتب عنى بدلاً من الباشمهندس كلمة الباشمئذ.. ما بقاش ده سب ولا قذف ولا استهزاء؟ ولما كتب عنى بدلاً من إيثار مرتشي بدلاً إيثار مرتجي مضيفاً هنا معنى أبعد من القذارة والحقارة اتهاماً بالرشوة)، بالطبع يقصد كما قالوا لآخرين إني مرشية من الحكومة).. ما بقاش ده سب ولا قذف ولا استهزاء؟ لكن لما رديت عليه بأسلوبى اللي أنا حرة فيه زي ما كان حر فى أسلوبه.. بقى كده أنا كلامي سب وقذف واستهزاء! وعجبنى! وأنا أسفة جدًا إنى أعطي لمثل هذا المجهول أى اهتمام، وربما يلومني أحد بأني نزلت إلى مستواه، لكن أود التنبيه بأن الأمر ليس كذلك وليس متعلق بشخصه النكرة وإنما فقط كي أؤكد للجميع إن هذه جماعة إرهاب فكري دون أدنى شك تريد أن تسود وحدها بفكرها الوضيع وتضع الحذاء فى فم كل من حولها، وبقول لهم دا بعدكم يا عجر.

نجي بقى للنقطة الأهم جدًا جدًا، وماذا يقول لي هذا المخبول؟

ثالثاً: يقول لي للمرة الثانية: لا تنسي انك امرأة ألفاظك يا استاذة، أيوااااا أنا امرأة.. وليا الشرف أن أكون امرأة.. بس امرأة بستين راجل من بتوع زمان مش من اللي زيك بتوع النهاردة يا فافى وأشك إن أمثالك عندهم ذره من الرجولة، أنا امرأة مهندسة معمارية معايا ٢ دكتوراه وماجستير ودبلومة وعندى ٥٢ سنة.. وعندى أولاد ضباط وبنات شهادات عليا وزوجى منصب كبير جدًا فى القوات المسلحه.

أنا امرأة أتعودت على الرجولة والجدية والحياة القاسية وربيت أولادي على كده وبشتغل ليل نهار.. طول الليل سهرانه مع رسومات التصاميم وبالنهار من طلعة الشمس لحاد الغروب واقفة مع العمال

والمهندسين لابسة خوذة على رأسي زي زيهم مش زيك يا عاطل بالوراثة الإخوانية، تلافيك دلوقتي قاعد يا ولدك في الجامع مع شلة عاطلين زيك في غير أوقات الصلاة تفأروا وتقولوا الله حي مدد يا سنتنا أم هاشم زي اللي بيحصل في السيدة والحسين، طبعاً هنا أنا عارفة هتقول عليا إيه ؟ هتقول دي مش مسلمة وعلمانية وكافرة ووو.. إلخ، من كلامكوا السفيه إياه ده، قول اللي انتوا عايزينه ! بس بقولك طظظظظظظ فيك وفي جماعتك .

وبقولك حاجة تانية كمان.. إنت عارف لو مجرد الفكرة دي جت في دماغك ولا دماغ غيرك أنا بقولها أهه وبالفم العريض: يبقى لعنة الله عليك وعلى جماعة الإخوان المتأسلمين بتاعتك دي في آن واحد وربنا ياخدكم عزيز مقتدر ويجحلكم في نار جهنم لأنني أنا المسلمة الحق اللي والله الحمد حاجه بيت الله ومتممة ديني على أكمل وجه.. بس للأسف ما فيش معايا سيف ولا خنجر وهي دي الحاجه الوحيديه اللي ناقصاني.

وأخيراً.. اسمع.... أنا بقولك أهه.. لست أنا من يستساخ لحمها.. إبعد عنى خالص واحترم نفسك معايا لأنني والله وإلا.. و٣ ! إنني أحذرك.. لو عدت أوصلك هوصلك فإبعد يابني أحسن ومالأكش دعوة بيا خالص عشان وقتي اللي ضيعته في الرد عليك ده ثمين جداً وساعتها والله العظيم ما أنا متنازلة إلا ما هاخذوا منك أضعاف مضاعفة يا محظور أفندي وقد أعذر من أنذر).

وليس هذا هو كل ردها، لأن الرد استغرق ثلاث صفحات، وإنما هو أبرز ما فيه، وسترد مرة ثانية وثالثة كل مرة في عدد من الصفحات وبالمعاني السابقة.

ووسط حرارة المعركة التي جعلها نوعاً من الردح نجد تعليقاً هادئاً عاقلاً يقول:

(السلام عليكم جميعاً بمختلف توجهاتكم.. الشيخ حسن البنا مهما اختلفنا حوله يظل أحد أعلام هذه الأمة خلال العصر الحديث حيث نجح في تكوين أكبر جماعة إسلامية كنا معها أو ضدها إلا إن الثابت أن هذه الجماعة كان لها كبير الأثر في التكوين الفكري والعقدي إن لم يكن لكل الشباب العربي فلأغلبهم وإن حادت الجماعة عن الطريق قليلاً أو كثيراً، كما يعتقد البعض فإن في تعامل الطرف الآخر معها سبب مباشر في توجيهها نحو العنف والتكفير، فهذا النوع من الأفكار دخل على الجماعة بعد التعذيب والتكبل الذي وجدته الجماعة من أعداءها ولكم مني جميعاً السلام).

ويتلوه تعليق يماثله:

(إلى كل من شارك في هذا الحوار.. السلام عليكم ورحمه الله وبركاته السادة المحترمين الأخوة الأفاضل.. دعونا نرقى بحوارنا ولنترك السب والشتم لغيرنا فجميعنا لسنا أهلاً لها إن شاء الله تعالى نتحاور دون كراهية أو حقد فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدال العقيم الذي يعقبه كراهية وإفساد بين المسلمين ولنترك ما مضى من مناقشات كانت أشبه بساحة القتال، هيا نتحاور ولكن

«بشرطان» أو إن شئتم طلبان الأول^(١) ألا يسخر واحدًا من الآخر أو يستهزء به، الثاني ألا يتحدث أحدنا بتهمة إلا بدليل أو برهان إذا اتفقنا، فعلى بركة الله نبدأ، وإن لم نتفق فجزاكم الله خيرًا.. تحياتي).

إلى الأخ مجهول الذى يوجه إلى شخصي رسالة :

من أنت حتى تسدي إلى هذه النصائح ؟ ولصالح من ؟ بدلاً من أن يزعم أنه من جماعة ما أنزل الله بها من سلطان.. جماعة على رأي واحد آل عملت من حسن البنائى البهائيين بالضبط.

أولاً : كل ما لك عندى فقط أن أقول لك و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثانياً: أنا لم أوجه لك كلام حتى تتكلم معي فى موضوع أنا قلت أنني بحل من مجرد أن أشغل به

عقلى .

ثالثاً: من أنت حتى تسدي إلى هذه النصائح ؟ ونصائح على إيه ؟ فين الغلط عندي عشان سعادتك

توجه لي هذا الكلام ؟ والله إن كنت شايف حضرتك إن فيه غلط يبقى شيل من أدامك المراية اللي أنت حاططها مش هتلاقى غلط تانى ، المسلم الحق لا يخطئ أبداً ياللى بتنصحنى وإن أخطاء فيرفع من شأنه أن يعترف بخطأه بدلاً ان يزعم أنه من جماعة ما أنزل الله بها من سلطان، جماعة على رأي واحد آل عملت من حسن البنائى زي البهائيين بالضبط لما عملوا من بهاء نبي، وقالوا دين جديد وشوية شوية هيعدلوا فى الإسلام حسب هواهم .

أنا بكرر وأؤكد إنني لم أعرفكم على حقيقتكم إلا فى هذه الأيام فقط وما كنت يوماً ما أشغل بالى

بيكم رغم أنني نادراً ما أسمع أي تأييد ليكم فى شتى المجالات، بل رفض شعبي جارف وتخوف من أن يأتى يوم تمسكوا فيه الحكم ساعتها تحصل حرب أهلية وهتبقوا بغنائكم العتيق ده انتوا السبب.

انتوا للأسف مش فاهمين دنيا ولا دين انتوا بس زى الأطفال اللي ماسكين الكبريت وبتلعبوا بيه

وأخرتها هتتحرقوا نفسكم و هتتحرقونا معاكم وساعتها مش هنسيبكم والله العظيم، بل هنقطعكم تقطيع، لأننا من الآن وفيه ناس بتقول من زمان أنكم شوية عيال طايشة.

وبعدين كيف تنتقد المهندسه وتتهمها بسلاطة اللسان وأنتم موجودين ؟

مش كفايه انتوا ؟

أما أنتم فهذه طبيعتكم تريدون أن تفرضوا أفكاركم علينا فهو لعن المسلمين وعمل كذا وكذا وانتوا

الملائكة المنزلين وأنا عموماً لست مأموراً بأن أكون نائباً عنه هو يدافع عن نفسه كيفما شاء وأنا بحيبه على رباطة جاشه وقوة أعصابه .

وأكرر أخيراً أنني أرفض التعامل مع أمثالك حتى تصبحوا مسلمين على حق لا متأسلمين ورجائي

ما تتكلمش معايا تاني من فضلك انتهى) .

(١) أوردنا النص بأخطائه النحوية.

تعود المهندسة إيثار لتبدأ وصلة «ردح»:

(من الباشمئذة إيثار إلى الباشمهاء.. صاحب أو صاحبة التعليقات بإسم الباشمئذة إيثار.

ألف سلامة على عقلك المحتاس وشرف جماعتك المنداس.. ألف تحية للجماعة الربانية المباركة ولكل مسلم غيور على دينه لا يسب ولا يشتم ولا يلعن ولا يلمز هذا بالكافر وتلك بالعلمانية فإن ذلك من فراغ العقول .

أما الكلام عن وحيد حامد وكلام الحوارى والأزقة والنواصي بتاع الجماعة المهذور شرفها وكرامتها عبر كل العصور جزاءً لما ارتكبته أيديها من جرائم وأثام فى حق المسلمين، فأنا ليس لدي وقتاً أضيعه مع العبيط من أفكاركم والتافه من كلامكم الذى تصبغونه بصبغة دينية كعادتكم دائماً لا تجوز إلا على قوم من السذج والدرأويش كأمثالكم فإن خالف فكركم أحد أصبح فى نظركم كافراً وأود أن أقول لكم أيها البلهاء مرة أخرى وخاصة الموتور عقلياً محمد أنتم منبذون فى الأرض وإن إعتقدتم أن هناك الكثير ممن يلتفت حولكم فالذباب دائماً لا يجتمع الا على القيح من أمثالكم، وما تدنى الحوار إلا ظلكم حيث أنكم فعلا زلنطحية.. (ياختى عليهم آل مش عارفين يعنى ايه كلمة زلنطحية.. يا حرام! أصلكم رقة ولا ولاد ذوات) انتوا بس بتعرفوا كلمة قتلنجية انتوا تعرفوا ازاي تقتلوا ازاي تنسفوا ازاي تخرّبوا ازاي تعملوا فتن فى البلد ازاي تغتالوا شخصيات سياسية بدم بارد تحت مسمى الجهاد.. عيب عليكم يا إرهابيو المجتمع دا اللى اختشوا ماتوا .

أما ما سخسختنى من الضحك (حلوه سخسختنى دي؟ يا ترى هتفهموها دى كمان ولا هتعملوا عبط زى عادتكم) هذه الجملة العبيطه مثل اللى كاتبها والتي وردت فى قسم الباشمئذة مرتشي (وتستهذئي بها وبالجماعة المباركة) .

هىء هىء هىء هىء.. يا.. سسسسسلا لاام.. مباركة..!!!!!!... لــــول ! .. لا والله فعلا مباركة .

يالاً بقى بلا هيافة أنا مش فاضيالكم عشان أرد معاكم، أنا مشاركة فى مشروع بناء مدينة سكنية عشان الناس تسكن فيها وبنحل أزمة إسكان، وأنا أسفة جداً إنى بليدة أوى وما بعرفش ازاي أعمل قنبلة ولا أستخدم مسدس عشان ابقى زيكم ، وأسفة جداً إنى مش فاضية ءألف وألفق تهم لهذا وذاك وأقول دا مسلسل أمني مرة وأقول دا عذبنى مره أخرى، أنا ما بعرفش الكلام الخايب بتاعكم ده.

تحياتى للأستاذ العظيم وحيد حامد على مجهوده المشرف ضد الرجعيين والمتخلفين والإرهابيين .
موتوا بغيطكم يا إخوان .

أنا كده شربت الشاى خلاص.. عن إذنكم بقى أقوم عشان أكمل شغلي اللى بيفيد الناس مش بيقتلها).

وأخيراً يأتي التعليق الذي جاء أول التعليقات ردً عليه وهو بعنوان «شكراً وحيد حاض»:

والنبي شافين يا ناس ؟ شافين يا عالم يا هووووووو عقدة الإخوان يا ناس ياللى بتفهموا ؟ أهى أدامكوا واضحه زي الشمس بس للى بي فهم اللى بين السطور وبس.. عايزة تقول لكم ما تسمعوش كلام حد غير الإخوان وبس.. هو ده أسلوبهم اللى هما عودوها ودربوها عليه واللى ناويين يفرضوه من فكرهم الدكتاتوري الرجعي المتخلف.. بل وقل ربما الدموي كمان على رقبة شعب مصر لو وصلوا للحكم زى ما بعض الأخوة ما وصف .

هى نفسها مقدرتش تخفي هذه الصفة من عقلها اللى فكر ولا إيدها اللى كتبت .

والدليل على كده انها اعتبرت إن اللى يخالف الإخوان يبقى مش عايز دين.. وده فى آخر تعليق قالته فوق خالص.. وهو ده اللى بينادوا بيه منذ نشأتهم وحتى اليوم .

ووصفت مسلسل وحيد سيف بالهايف.. يعنى كلامها هى والإخوان وافترائتهم على عبد الناصر والثورة والسادات ومبارك هو اللى مليون ! يا حبة عيني.. لا والله فكر جميل تريد أن تزرعه فينا الست هند .

وبعدين لما وحيد حامد كلامه هايف زي ما هى بتقول، ومفتري وكذاب زي ما البعض ما بيقول.. آمال الإخوان لما يتهموا عبد الناصر ولا السادات ولا في عهد مبارك أنهم اتعذبوا يبقى كلامهم صدق ؟

طبعا هتقولى ااa

ماشى بس اشمعنى بقى ؟ إيه دليلك ؟ ياترى كتبهم ؟ هتقولى لي كتبهم محترمة ؟ على الأقل وحيد فضح الإخوان وعنده الأدلة من المراجع والكتب اللى معروفه فى السوق وما جابش حاجة من أمريكا اللى هما على اتصال بيها.. وبيتحدى بأن الإخوان كذابون ومفترون، وقال على سبيل المثال إن عصام العريان قال على شاشات التلفزيون أنه مشافش المسلسل خالص وبعدين بينتقده.. طيب ازاي بينتقد حجه وهو ما شافهاش ؟

ووحيد حامد أكد أنه مستعد لمواجهتهم، لأن كل كلمة فى المسلسل من داخل المراجع ومنها من مراجع الإخوان أنفسهم وعلى رأسهم مذكرات حسن البنا نفسه.. وقال وأنا معاه بأن المسلسل كشف حقيقتهم اليوم أكثر من ذي قبل.. وده اللى مخلياهم على فوهة بركان .

وأخيراً أنا هثبت لكم افتراء الإخوان المسلمون:

فعلى سبيل كتبوا فى كتاب مذبحه الأخوان فى ليما ن طرة وقالوا فيه بأن العساكر ضربوهم بالنار جوه السجن وقتلوا منهم عدد كثير.

ماشى.. طبعا على طول أي إخوانى هيهيج ويثور ويقول أبوه ده حصل .

هقله ماشى.. بس الكتب اللى ردت على الكلام ده قالت الواقعة دي مبالغ فيها لكن الحدث وقع لأن الإخوان هجموا على العسكرى السجن وخطفوا منه مفتاح العنبر وخرجوا وكان لابد من مواجهتهم وولولا إطلاق الرصاص ما كان سيتم السيطرة عليهم. وعلى فكرة هناك اعتراف فى بعض كتب الإخوان بأنهم فعلا سرقوا مفتاح العنبر من السجن .

حرى إيه يا ست هند.. ما تتكلمي مطبوط يا أبله.. إن كنتي مسلمة بصحيح قولي اللي عليكي زي اللي ليكي .

لكن اوعى تصدقى نفسك إن انتى مثقفة واحنا جهله .

صدقينى يا ست هانم غالبية الناس بتكرههم كره العمى ومش طيقاهم.

معظم الناس والله لديها النية بمقاومتهم لو شعروا بس بأنهم سيصلوا الى الحكم .

بلاش تنخدعي وتصدقي كلام الناس السذج البسطاء اللي بيوحوا لأمثالك أنهم فى صف الإخوان.. طبعاً أصلهم غلابة.. بس فى مخهم حتى لو كان معاهم ميت شهاده.. لأن فيه فرق بين الشهادة والعقل المفكر .

أنا مش عايزه أدخل هنا فى صراعات مع حد لكن انا هختم بأخر عبارته وليقرأها جميع الإخوان.

اعلموا أننا كلنا مسلمون بدون إضافات ولا اختراعات.. أي لا إخوان مسلمون.. ولا أصدقاء مسلمون.. ولا جيران مسلمون.. ولا أي كلمة قبل كلمة مسلمون، ولن نقبل بمثل هذا، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأفضل السلام ما قالش اعملوا كده خالص، لأن كده يبقى انتوا عملتوا حسن البنا نبي الإسلام الجديد زي البهائيين كده لما طالعونا بنبيهم اللي بيعبدوه ده ولا مش عارفة بيبيع إيه.. يا ريت بس يا ياللي بتسموا نفسكم إخوان تبطلوا تأليف دين جديد وتخليكم على أد نفسكم وعلى أد الجحور السرية اللي مليانة غل وحقد وسلاح وقنابل بتاعتكم دى اللي تحت الارض، ويا ريت ما لكمش دعوة بالشعب الكادح الغلبان.. خليك فى حالكم وبس.. إحنا دينا عارفينه صحححح، إحنا عارفينه كويس جداً وأحسن منكم كمان، انتوا لو حتى منتمين لدين بهائي ولا حتى يهودي والله ما كنتم عملتم جرائم القتل اللي إيديكم مخضبة بدماء الأبرياء فى تاريخكم الأسود المجيد.. بس .

صحيح أنا مش بعرف أتكلم ولا ليا فى النفاق ولا الكذب ولا الافتراء زي الإخوانى بتاعكم ده بس أنا صحيح منفعله بس بتكلم على سجيته وببساطة شديدة لأن بصراحة واضح كده من تعليقات المناصرين للإخوان هنا أنها تعليقات زلنطحية وعايزة تقف عند حدها ولازم ليها من اللي يرد عليها.. سلام يا أبلتى الفهيمه هند.. (إخ) .

ولأن تعليق المهندسة المتشنجة يأخذ صفحتين اكتفينا بما أوردناه رحمة بالقراء.

وهناك تعليق من عبد الله العجمي:

(كنت عايز أقول للأستاذ محمد حامى حما الإخوان، إذا كنت بتكذب الأخ أحمد سلامة فى كلامه فهذا من حقك إن كان لديك دليل على تكذيب ما يقول .

أما أنا فهل تكذبني إن قلت لك أن ثلاثاً من ماركة الإخوان الله أعلم هل هم إخوان أم لا لكن أوصافهم تقول أنهم إخوان مسلمين حيث اللحية طولها شبرين، والزبيبة على القورة أد البريزه الفضة، والجلابية البيضاء، وأقوال من قال الله وقال الرسول لا تحصى ولا تعد والصلاة فى المسجد كل فرض، والتعصب للإسلام وهكذا من هذه العلامات التى تدل على تعاضم الوجهة الدينية عندهم .

أنا مش فاهم انتوا بتقعوا فى بعض عشان حزمه قليلة من الحثالة يلتف حولها الآف من الجهلة .
والله انتوا عالم تافهة.. بلا إخوان بلا زفت.. هو احنا ناقصين فتنه.. اتكلموا فى مشاكل البلد أهم).

وهناك تعليق موجز من هاني أحمد:

(أنا ما أعرفش كثير عن الإخوان المسلمين بصراحة مش مهتم بيهم أصلا لكن أنا مش مصدق أي شيء جه فى المسلسل والسبب واضح أنه وحيد حامد طلع رجالة أمن الدولة بصورة ملايكة دى غلطة وحيد حامد اللي ما يعملهاش عيل فى ابتدائى).

وهناك ردود مطولة من الأخ محمد كان يجب أن تذكر أولاً، ولكنها ذكرت أخيراً، وهي وإن كانت دفاعاً عن الإخوان فإن كاتبها نزل إلى مستوى ما نزل إليه خصومه، من مستوى متدني.

* * *

إنه لأمر محزن أن ينزل السجال إلى هذا الدرك من السطحية والفجاجة والسب والشتم والسخرية، فيقال عن وحيد حامد «العجل»، و«وحيد القرن»، ويقال عن الإخوان أنهم «حثالة انضربت بالجزمة».

إن هذا النزول يوضح أن هدم القيم الذي بدأ من سنة ١٩٥٢م مع الحكم العسكري، وأذل الحرية والكرامة الإنسانية والعدالة.. إلخ، هبط بالمستوى العام للأمة كلها، كما أصاب شريحة كبيرة منها بالإنحراف الذي وصل إلى الأعماق، وأن الانسياق الأعمى للأكاذيب والسموم والشهوات والأنانيات وصل إلى درجة حالت دون التلاقي العقلاني السلمي المنطقي وأصبح التعصب الأعمى هو السيد، وقد دهشت لروح الاستعلاء الذي تملك المجموعة المضادة للإخوان، وأنهم ينظرون إلى الإخوان كمواطنين درجة ثانية أو ثالثة، وليس لهم عقل أو فكر، في حين أن من المعلوم أن الإخوان أخرجت عدداً كبيراً من أفضل الأطباء والعلماء وأساتذة الجامعات.. إلخ، وأن معلومات السادة المعارضين في غاية السطحية والركاكة، فمن حق المهندسة ذات الدكتوراهات الثلاث والعمل الدائب أن تفخر بذلك، ولكن هذا لا يعطيها الحق في «التريقة» والسخرية بالآخرين، خاصة إذا لم تكن تعرف عن الإخوان إلا ما قدمه المسلسل، وقد أرادت أن تفند ما ذكره الإخوان عن مذبحه طرة، بأن أحد الإخوان انتزع مفتاح العنبر من العسكري، وهي رواية تغلب أن تكون قد جاءت من أحد ضباط أمن الدولة، وهي بعيدة عن الحقيقة، وأن الحقيقة أن الإخوان اعتصموا داخل الزنازين ورفضوا الخروج منها لتحطيم الصخور في الجبل وهي الأشغال الشاقة التي يحكم بها على المجرمين، وليس على المعتقلين، ولما رفضوا الخروج ضربهم العسكر في الزنانات وهذا ما سبب كثرة عدد القتلى، فقصه مفتاح العنبر لا مكان لها، كما أن الأخ الذي تحدث عن ثلاثة من ذوي الذقون الطويلة والزبيبة مثل ريال الفضة والجلباب القصير، فهذا زي السلفيين الوهابيين أو من هاجر إلى السعودية وتأثر بهم، ولم يحدث أن ارتدى أحد الإخوان قميصاً قصيراً، فهم يلبسون زي الجواله، وعلى هذا فإن الحادث لا ينطبق على الإخوان، وهو على كل حال لم يقطع بأنهم من الإخوان، ولكن تصور أنهم كذلك لقلة معلوماته عن الإخوان.

* * *

لنسرع بطي تلك الصفحات «المقرفة» لنفتح صفحات أخرى عسى أن تكون أفضل من موقع «بصريات» المنكوب.

فهذا موقع «استوديو القاهرة».. وهو يبدأ بكلمة عن المسلسل وحذف مشهد اغتيال الإمام الشهيد، وما ذكره بعض الكتاب وتأتي التعليقات في ١١٨ تعليقا، وبقدر ما اتصفت تعليقات الموقع السابق بالإسهاب وأنها «وصلة روح» حقيقي، بقدر ما اتصفت تعليقات هذا الموقع بالإيجاز، فالتعليق في سطر أو اثنين، وأكبر تعليق لا يتعدى خمسة أو سبعة أسطر.

أول هذه التعليقات من كازانوفيا مصر (عضو مسجل):

تم حذف مشهد اغتيال حسن البنا بالفعل وقامت الحكومة المصرية باستدعاء وحيد حامد ووزير الاعلام وغيرهم في اجتماع لمناقشة الأثر العكسي لمسلسل الإخوان على المصريين، وكيف كسب البنا تعاطف المصريين وما هو السبيل للخروج من ذلك المأزق.. إلى الأمام يا إخوان لست إخواني ولكني إسلامي ومتعاطف.

وتعليق إفي مزراحي:

إن تاريخهم الأسود هو منذ أن تشكلت الى هذا التاريخ هم جماعة مظهرهم يتكلم وباطنهم يتكلم والمعروف عنهم جماعة لم يعرفون الرحمة في معتقدتهم.. أنهم جماعة أسست لقلب أنظمة الحكم في البلدان العربية وأسست أحزابها في دول الدول العربية وضمت.. الناس وهو الدكتور النفيسي... الذي يتنبأ بالانقلابات على الحكام ويحرض الناس على القتل لك يعوم هو بالبحر لوحده.

وعلق مروان المصري:

إذا أردت معرفة عظمة الشخص فابحث عن أحبائه ومريديه، فكما أن مرديك يا حيد حامد مروان بك حامد مخرج فيلم عمارة يعقوبيان فإن للشهيد حسن البنا رفقاء درب ومريديين مثل الشيخ محمد الغزالي والشيخ منير الغضبان بسوريا والشيخ فتحي يكن بلبنان والشيخ وجدي غنيم بمصر، بل وأقولها بكل حيادية إن أغلب الكتب الإسلامية التي خرجت في القرن العشرين كانت من مدرسة الإخوان والتي تعلم منها كل واحد فينا سواء مباشر أو غير مباشر مثل فقه السنة لسيد سابق وكتب محمد الغزالي والمناهج الحركية للسيرة النبوية لمنير الغضبان الإخوان يا أخي مدرسة ضخمة لن تستطيع بعقل الصغير تدراكها.

وتساعل من رمزي سوريا:

المسلسل أكثر من رائع وخاصة الفنان الاردني الفلسطيني الأصل إياد نصار له مستقبل باهر.

وتساعلت أميرة الصحراء:

ما الذي يجعل كاتب نصراني يهتم بالكتابة عن جماعة المفروض أنها تنتمي إلى التيار الإسلامي؟! هل هو إعجاب بها؟ هل هو حب في الإسلام؟ هل هو أسلوب جديد للبحث عن الشهرة مع أن الكاتب لا ينقصه ذلك.

وردت عليها مصرية فرعونية (عضو مسجل):

هل هناك مسلم يكره الإسلام هلا شققتي عن قلبه وعرفتني أنه يكره ما هو إسلامي ؟ هل هو سطحي لتلك الدرجة لكي يرى أن جماعة الإخوان هي الإسلام ؟ أراك تدلين برأيك في أشياء تجهلونها.. فأنت لم تكوني تعلمين أن الرجل مسلم، وعندما علمتي أنه مسلم وجدتي مبرراً لهجومك عليه أنه علماني، ثم اتهمته أنه يكره ما هو إسلامي، فهل كل من لا يؤيد الجماعة يكره ما هو إسلامي كنت معجبة بعقلك وطريقة تفكيرك لكنك لا أعرف أصبحتي تتحدثين في أمور تجهلونها فقط لإثبات أن وجهة نظرك صحيحة !

وعلق إسماعيل شحاته:

هل يعرف أحدكم الشيخ أحمد ياسين فهو أحد تلاميذ البنا.. ومراكز الإسلام في أوروبا صنيعة الإخوان بفضل الله أن تلك الشجرة المباركة التي زرعا الإمام الشهيد تعطي ثمارها في كل وقت وحين بدماء مؤسسها ومن بعده قادتها ولا يزالون يضحون بوقتهم وأموالهم ويضطهدون ويعتقلون وتصادر أموالهم من أجل رفعة الإسلام والأمة جمعاء.

وعلق عبد الله سعيد (زائر):

حسن البنا رحمه الله يُعد فخراً لكل مصري.

وعلق الكتكوت الشرس (عضو مسجل):

أنا شايف المسلسل متفبرك ومتفصل.

وجاء رد إيهاب المصري:

لا شك في أن المسلسل قد أتى أكله.. وإن أبلغ دليل على نجاحه ومصادقية أحداثه هو رد فعل الإخوان أنفسهم تجاه المسلسل.. ومن الطبيعي أن يشير الإخوان إلى أن المسلسل الذي هتك أستارهم وفضح.. أمام العامة والخاصة يشكل نصراً مبيناً لهم.. فلنا في فرع الإخوان المسلمين في فلسطين (حركة حماس) مثال حي في تسمية الهزائم انتصارات وتسمية مجازر الصهاينة فتحاً مبيناً.. الصراخ على قدر الألم، وشكراً لوحيد حامد كشف الستار عن تلك الطائفة.

ومن التعليقات الذكية:

الديموقراطية السبيل الوحيد للحرية والإصلاح الاقتصادي والعدل الاجتماعي.

وجاء تعليق من قنديل (زائر):

أنا لست من الإخوان، وهي ليست تهمة أدفعها عني ولكنها الحقيقة، ولكني احترمت كثيراً الشهيد حسن البنا بعد مسلسل الجماعة، وشكراً وحيد حامد، وحرام الاقتراء على من بذل حياته مدافعاً عن الإسلام.

وهناك تعليق لافت جاء من (عضو مسجل):

حسن البنا ليس فقط للمصريين.. لذا يجب أن يحذر صناع الدراما من تأجيج الكره ضدهم، فالعالمين العربي والإسلامي يحوي الكثير من مؤيدي الإخوان، وحينها ستكون حرب أطراف بين مؤيدي أيديولوجية واضحة كالإخوان.. وبين متاجرين بالقضايا.

وهناك تعليق من المصري الأصيل:

بعد أن اتضح الغرض الحقيقي لهذا المسلسل وهو تشويه صورة الإخوان المسلمين بغرض التأثير على الناخب المصري في المرحلة القادمة.. إذن غرض المسلسل (غير شريف أو محايد) خاصة مع اختيار وحيد حامد الذى يميل للعلمانية لتأليف المسلسل دون أن يرجع لأسرة مؤسس الجماعة الشهيد حسن البنا وأعطى الحق لنفسه لتشويه صورتهم حسب خياله هو.. إلا أن المسلسل قد سلط الضوء على هذه الجماعة التي تحاربها الحكومة بمقتضى قانون الطوارئ.. شعبية الإخوان زادت رغم أنف المؤلف والمنتج.. وأعداء الإخوان من العلمانيين وغيرهم بدأوا فى بث سمومهم ضد الإخوان ولكن دون جدوى.

وعلق عمر (زائر):

كل إنسان له ما له وعليه ما عليه.. معروف علي الأقل بالنسبة لي أن فكر حسن البنا الله يرحمه تنفيذه فشل وأدى إلى كوارث وفوضى وفساد في الأرض عند تطبيقه ومع أن حسن البنا كإنسان وكفكر يحترم لكن عند الخوض العملي كانت الكارثة مما جعل من مراجعه الإخوان أمر مهم ومصيري! ثم أن أول الناس الذين خذلوا البنا هم الإخوان أنفسهم عندما قتلوا وأفسدوا دون علم أو أمر منه وأيضاً هو نفسه أصدر أوامر بقتل المصريين ثم عاد واستنكر، كما أن الرأي القائل بأن أعتراقات القتلة كانت بالإكراه يجوز لكن لا يجوز أن نقول أن تجربة الإخوان تتجح في بلادنا بل بالعكس فتنة كبيرة والله أعلم.. والخلاصة في العنوان.

وتحت عنوان (تحليل) كتب كوكو (زائر):

المسلسل به نقطتين ساعدت الناس في عدم تصديقه، أولاً: مشهد الإساءة لعمر و خالد الملى بالكذب جعلت الناس تفكر أنه قد تم الكذب في مواضع أخرى في المسلسل.. شعبية عمرو خالد جارفة ووحيد حامد اتمسح أمامها، ثانياً: جايبين في المسلسل ممثلين من أمثال يسرى اللوزي ومنة شلبي وعزت العلايلي وحسن الرداد يعطونا مواضع ومحاضرات.

وهناك تعليقان ينددان بالإخوان:

فعلق مصري حقيقي (عضو مسجل):

نماذج من العمليات الإخوانية الإرهابية والتي قام بها التنظيم السري لهم كما ذكر ذلك قادتهم وهم يعيدون في ذلك عن أي عوامل إكراه أو تهديد أو اعتقال: مقتل المستشار القاضي «الخاندار» ص ٢٥٥ وما بعدها من كتاب حقيقة التنظيم الخاص لمحمود الصباغ، وكذلك محمود عساف ص ١٤٧- ١٥٧ من كتابه «الإمام الشهيد حسن البنا»، مقتل رئيس الوزراء «محمود فهمي النقراشي» ص ٣١٢ نفس المصدر السابق، محاولة قتل «إبراهيم عبد الهادي باشا» ص ٣١٤ نفس المصدر السابق، تفجير قنابل في جميع أقسام البوليس في القاهرة يوم ١٩٤٦/١٢/٣ ص ٢٧٨ نفس المصدر السابق.

وبعداً مباشرة تعليق للمصري الحقيقي (عضو مسجل) يبدو أنه تكملة لتعليقه الأول:

بذمتكم هل يصدق أي إنسان عنده ذرة من العقل.. أن حسن البنا صاحب اليد الحديدية ومؤسس الإخوان المسلمين بنظام البيعة الإسلامية المقدسة والقسم بالقرآن والسلاح ويمين الطاعة العمياء والولاء حتى الموت والأدهي أنه بنفسه يختار الصفوة من المخلصين والأتباع للتنظيم السري الخاص ويدربهم تدريب عسكري سري و مميز.. وبعد كل ذلك يقتلون الأبرياء المعارضين ويفجرون القنابل في الشوارع بين الأمنيين من الشعب المسالم ليسقط الضحايا من الأبرياء.. هل يصدق أحد أن كل هذا الشر والإرهاب دون علمه وتعليماته وهو المرشد والخليفة والذي رباهم ودربهم بنفسه.

وقسم تعليق المصريين إلى خمسة طوائف، الأولى: السلفيين أحسن فكر تعبدية والأصوب بالسنة، ولكن ينقصه الشجاعة بالسياسة، الثانية: الصوفيين وهم لا تعبد ولا سياسة، والثالثة: العامة مذنبين لا إلى هؤلاء ولا هؤلاء، الرابعة: المنحطين أخلاقياً من سرقة ونهب وقتل وسفك وغش وهؤلاء منهم سياسيون ناجحون ولكن لا يوجد دين ولا تعبد، الإخوان أقل بكثير من الفكر السلفي كعبادة ولكنهم سياسيون.. طبيعي كل طائفه لها بجهة وعليها بجهة أخرى الإخوان لهم بالطريقتين ولكن بنسب أقل من الفئة الأولى بالعبادة.. والرابعة بالسياسة لأنهم يحاربون داخلياً وخارجياً وإعلامياً لست منهم ولكنها كلمة حق لصائم يخشى الله.

وعلق عبد الله سفيان:

بغض النظر عن موقف العلمانيين والفرعونيين وكل المغربيين والمشرقيين كان يجب أن يحذف المشهد الأخير لاغتيال البنا وفيه تفاصيل مشوقة لنهاية رجل شجاع لأن عرضه كان كفيلاً بأن يعلم الجميع حجم المؤامرة التي تعرض لها الشيخ وجماعته لأن شجاعة الشيخ في الدفاع عن نفسه ضد مهاجميه بالرغم من عدة رصاصات أصابته في أنحاء مختلفة من جسده، بل وقيامه بمطاردة قاتليه بنفسه لدرجة أنه قام في المستشفى بنقل نفسه بنفسه عن الحماله التي كان محمولاً عليها إلا أن الأطباء تركوه ينزف حتى مات دون علاج إلا أننا أمة لا تقرأ وتكتفى بالمسلسلات مرجعاً لحقائق كتاب السلطات.

وعلق مصري (زائر):

الشعب المصري متخلف وبينضحك عليه بسهولة.. شعب أهبل.

وأفادنا أحمد صلاح الدين (زائر) في تعليقه بشيء عن أسرة وحيد حامد:

وحيد حامد ليس قبطي وإنما علماني وليس ليبرالي، وزوجته زينب سويدان كانت رئيس التلفزيون وضربت مذيعة بالقلم على وجهها، لأنها طلبت أن ترتدي الحجاب ونشر هذا بالصحف وقتها.

وعلق د. أبو زيد زائر):

الأخ محمد بكري تاعب نفسه في بيان وحيد حامد رجل ليبرالي.. الليبرالية لا تبرر لوحيد حامد الكذب ادعى أن الشيخ رشيد رضا قال لحسن البنا أن يحج ليأخذ من عطايا الملك عبد العزيز، مع إن رشيد رضا مات قبل حج حسن البنا بسنة كاملة، أليس هذا كذب يا وحيد؟ الليبرالي يا محمد بكري عليه أن يهتم بالحقائق وليس الانطباعات، من أين علم وحيد حامد باللقاءات التي تتم بين رشيد رضا والبنا، وأن رشيد رضا كان منهاراً للهجوم عليه، ولكن البنا نصحه وقال له مخرجاً لأزمته.. يا محمد بكري ويا وحيد حامد العاملون لدين الله لا ينهارون عند الشدائد.

وآخر التعليقات وأكثرها طرافة من وليد (زائر) تحت عنوان (عاوزين فلوسنا):

هو المسلسل ده من إنتاج التلفزيون المصرى؟ يعنى من فلوسنا؟ لو الكلام ده صحيح يبقى مفيش غير إني اقول حسبي الله ونعم الوكيل.

وجاء في شبكة ومندديات الجميزة، وهي مؤسسة إخوانية معالجة لأبرز النقط في مسلسل «الجماعة» مثل:

أولاً: جماعة الإخوان جماعة محظورة، وقد ردت بأن لها ٨٠ عضواً في مجلس الشعب.. إلخ.

وثانياً: أن هناك أفراداً داخل الجماعة لا يعرفون ما هي أهداف الجماعة ووسائلها «مطيبون»، والرد الأهداف والوسائل مكتوبة في عشرات رسائل الإخوان.

وثالثاً: إظهار الإمام البنا كأنه شخص متشدد منذ صغره والتشكيك في بعض المواقف التي قام بها الإمام في طفولته من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وجاء الرد «هذا الرجل مهما كتبت عنه لن توفوه حقه، فلن تستطيع الرد من أساسه سطر أو سطرين أو حتى مقالاً كاملاً، ولهذا أحول القارئ إلى رابط فيه بعض ما قيل عن الإمام البنا:

<http://www.ikhwanonline.com/data/info/banaa/5.htm>

ورابعاً: أن الجماعة خطر على أمن الوطن وتتاجر بالآلام الناس، وجاء الرد: فعلاً جماعة الإخوان خطر على أمن الوطن، أصل الإخوان هم بتوع الدم الفاسد وعبارة الموت وقطر الصعيد وتصدير الغاز لليهود وسوزان تميم وسرقة بنوك وحرق مجلس الشورى، وما لا نستطيع أن نحصي ونعد.

وخامساً: محاولة إظهار أن الإخوان أيام الإمام البنا أفضل من الإخوان الموجودون الآن، فقالوا لقد وضع لنا الإمام البنا من نحن بكل وضوح، فقال نحن جماعة من المسلمين نقود الناس إلى الخير ولا

ننوب عنهم، فكيف تدعون أننا احتكرنا الدين وجعلنا غيرنا ليس مسلمًا، مع إن منهجنا يقول لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين.

وسادسًا: جماعة الإخوان روح واحدة في أجساد متعددة، فمحاولة التفريق بين أولها وآخرها محاولة يائسة لتمزيق الصف.

وسابعًا: إبراز الكيانات الاقتصادية للجماعة وكأنها مشوهة، والإصرار على نقطة غسيل الأموال، والإشارة بصورة غير مباشرة لقضية خيرت الشاطر وحسن مالك، فجاء الرد: من حق أي شخص أنه يمارس التجارة طالما أنها تجارة مشروعة، لكن من العجيب أن نرى من يعمل لمصلحة الوطن يحاكم وتصادر امواله وممتلكاته ويوضع خلف القضبان في قضية هو منها براء.

وفي هذه السطور نعرف بالمهندس خيرت الشاطر :

في الفترة من ١٩٨١م إلى ١٩٨٦م فترة تواجد الشاطر في أوروبا والمنطقة العربية وكان سفره في البدايه لغرض الدراسات العليا إلا أن العمل التجاري استهواه فمارس العديد من الانشطة التجارية في منطقة الخليج وأوروبا.

عاد الي مصر عام ١٩٨٦م ليؤسس مع حسن مالك الشركة الرائدة لسلسيل التي كانت وقتها من أكبر شركات الحاسب الآلي في مصر، وكانت لها الريادة والسبق في إدخال الحاسوب إلى المنطقة العربية وعمل برمجيات باللغة العربية وكانت نواه لعدة أنشطة تجارية أخرى ذات فروع في الوجه القبلي والبحري مثل تنظيم وإدارة المعارض الكبرى للسلع المعمرة، تملك المشروعات الصغيرة للمهنيين بالتقسيط، وتقديم الدعم الفني والتسويقي لهم، إنشاء سلاسل من محلات في المجالات التجارية المختلفة، كما قام بتأسيس شركة لتصدير الخدمات للخارج (عقود صيانة - استشارات - تدريب) والعمل في المجال الزراعي والثروة الحيوانية.

كان خيرت الشاطر قد استورد التجهيزات اللازمة ليصنع الحاسب الآلي بأيدي مصرية في مصنع بالقاهرة.

وفي التوقيت الذي وصلت فيه المعدات في الميناء بالاسكندرية ألقّت قوات الأمن القبض عليه فيما عرف بقضية «سلسيل»، وأغلقت الشركة وتم مصادرة كل الأجهزة والمعدات في الشركة وفي الميناء وبعد ١١ شهر مضاهها في المعتقل تم الإفراج عنه وتبرئته وأعلن وزير الداخلية في تصريح نشر بالجريدة (إنه غير مهم)، وظلت الشركة مغلقة حتى اليوم ولا يعرف أحد مصير ما كان بداخلها .

هذا هو المهندس خيرت الشاطر في سطور رجل نتشرف جميعاً باننا ننتمي لجماعة ينتمي هو إليها.

وينتقل الموقع إلى ما جاء في الحلقة الخامسة والافتراء فيه هي:

أولاً: تميع الجماعة وشعار «الله غايتنا والرسول قدوتنا».. إلخ، وإظهار أنه شعار مصلحة تردده بمقابل المساعدات ، وكان الرد: أن الإخوان أصحاب مشروع حقيقي، فيه خلاص مما هي فيه.

ثانياً: الإصرار على إعطاء صورة خاطئة عن شباب الإخوان بخبث شديد، مثل شاب لا ينتمي للجماعة وليس إيمانه ينبع من القلب، وشاب ينتمي للجماعة بالتوريث ولا يعرف شيئاً عنها، ويرد بترديد القرآن.

وأخيراً: الإصرار على أدب أمن الدولة واستقبالهم المشرف لطالب يقرأ القرآن بهذا الشكل، فأوضح الرد: أن تقديم مساعدات للطلاب ليس تجارة بالدين، ولا التستر وراء بعض الخدمات الاجتماعية لتطويع الناس في أمور هم ليسوا مقتنعين بها، أما أدب أمن الدولة في التعامل مع الإخوان، فنترك التعليق لكم أنتم ولا ندري.

في الحلقة السادسة من المسلسل وقد أعطاها الموقع عنوان «من تحريف تاريخ الإخوان إلى تحريف القرآن»، وكذلك تتبع الموقع الحلقة السابعة وذكرها فيها من مغالطات، وكذلك الحلقة الثامنة، ويؤخذ على الردود أنها اكتفت بذكر مضمون التحريفات وكان يمكن أن تؤيد ذلك بأمثلة عملية من المواقف والأقوال بالفعل، كما أنها كررت دفاعها عن الإمام الشهيد، وكانت في غنى عن ذلك لأن عبقرية الرجل هي قضية محسومة، وقد قال التاريخ فيها كلمته بمنطق الواقع الفعلي، فلو لم يكن عبقرياً لما تمكن من تأسيس هذه القلعة الممردة «الإخوان المسلمين» التي صمدت لعداوة الحكام من فاروق حتى مبارك، والذي تمتع بحب يصل إلى الملايين، ومعظمهم من أرقى مستويات المجتمع المصري ثقافة ومسئولية.

وسنكفي الإخوان مؤنة الحديث عن مرشدهم بالصورة التي يعجزون هم عنها.

* * *

ومن المواقع التي عالجت موضوع المسلسل موقع «الملتقى» وهو إخواني الهوى، وتضمن رأي مشاهد عرض تحت عنوان «قصة حقيقية عن مسلسل الجماعة»:

السلام عليكم وبسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من صبر في وجه الاشاعات والافتراءات.. من ساحر إلى كاهن إلى كذاب وهو خير من خلق الله على ظهر هذه الأرض.. فاللهم صلي وسلم وبارك على محمد حبيبك واجعله لنا قدوة وأسوة في الصبر على الافتراءات.. ثم أما بعد:

منذ أن ظهر هذا المسلسل الذي يتحدث عن (المحظورة) بدون ذكر هذا الوصف الذي لازم الجماعة منذ عام ٢٠٠٥م على قنوات التلفزيون المصري الأرضية (القناة الثانية) والفضائية (النيل) وأنا متأكد أنه سيكون فاشلاً جداً حتى قبل أن أراه.. ولكن بحق لم أتصور أنه سيكون كوميدياً لهذه الدرجة.. حقيقة لم أتابع سوى أربع حلقات من هذه الكوميديا إيماناً مني أن شهر رمضان لا يصلح للكوميديا ولكنني سوف أراه كاملاً بعد رمضان وتابعت ما يحدث فيه من صديق لي جاري يرى أن الإخوان دول ناس وحشيين ياي بيضحكوا على الشعب باسم الدين وكده.. يعني ما يتوصاش.. الراجل ده بدأ مع المسلسل بقوة في الثناء على المسلسل وكان كل كلامه معايا وعلى الفيس بوك من نظام.. أيوه هو كده بيفضحهم..

هما دول الإخوان بجد.. الحكومة تصنع آلام الشعب والإخوان والأحزاب يتاجرون بها.. وكان بيزود من عنده عن وحيد حامد أن الإخوان كمان أكثر من الأحزاب.. لكن زي ما قلت لحضراتكم أن أمي بتقول اللي يزيد عن حده يتقلب ضده.. لما ضهر الإخوان أنهم من أيام البنا عالم متخلفين وظهرت لقطات زي أن الواحد يا (تيمور يا ابني) ميكفيش أنه يكون هو والعروسة بس اللي إخوان.. لأ لازم العيلتين يكونوا إخوان علشان الجوازة تتم (دي جامدة أوي).. وكذلك كلام الأستاذ عاكف أن ستات الإخوان اللي مش عايزين يطلعوا المظاهرات دول احنا جوزناهم وشغلنا أزواجهم ليه ؟؟؟؟ علشان يجوا ميطلعوش (حاجة آخر قلة أدب يعني).. ويروح الأستاذ يقولو الست اللي ما تنزلش المظاهرة بكرة تروح تقعد عند أبوها ويقفل الباب بتاع العربية.. حقيقة أنا وقعت من على الكرسي من كثرة الضحك على هذا المشهد الكوميدي (هو المسلسل كله كوميدي) طبعًا معلوم إن لفظ ستات ده غير موجود في الأدبيات الإخوانية وإنما بيقولوا الأخوات أو سيدات بس مش مشكلة فاتت الحاج وحيد حامد زي ما فاتته غيرها كثير.

وعلى النقيض يظهر أمن الدولة في كل تحقيق كتل ملائكية في صور بشرية حتى صار هذا الطلب (تشرب شاي) أحد معالم المسلسل الرئيسية في كل تحقيق أمن دولة يظهر في المسلسل داعيًا للسخرية والضحك الكوميدي على المسلسل واللي كتبه.

وأخيرًا التأسيس على الاستاذ عمرو خالد في حلقة امبارح رغم الاتفاق بين الشعب على أن الرجل ده راجل محترم واستحالة يكون بالصورة الهبلية اللي في المسلسل دي.

القصة بقى أن صاحبي بعد ثلاث حلقات فقط من الكوميديا بدأ يقوللي (من نفسه كده و الله) بس هو وحيد حامد مزودها شوية.. ثم يتدارك سريعًا.. بس برود اللي جايه على الاخوان صحيح.. وبعدها بكام يوم لقيته بيقوللي بس هو موسعها شوية على الإمام البنا الراجل ده كان صالح مش زي ما هو مطلع.. وبعديها بس هو مطلع الإخوان بصورة غير حقيقية.. وأخيرًا لقيته بيقوللي المسلسل ده فيه أكثر من ٥٠ % كذب و ٣٠ % تحوير وفيه ٢٠ % صح بس !!!!!!!!!!!!!!! هذه القصة الحقيقية لواحد أصلاً مختلف تمامًا مع الإخوان.. فما بالك بالمؤيدين والمحايدين؟؟؟ ويمكرون ويمكر الله و الله خير الماكرين.

وهناك تعليق آخر: والله موقف صاحبك اللي اتغير ده اللي كوميدي أوي.. بس والله الحمد لله أنا ليا واحد صديق وكيل نيابة بيقوللي الضباط بيدوروا على مذكرات الدعوة والداعية.. والله الواحد ما كان يتمنى أكثر من كده.. جزاه الله عنا كل خير، الأخ الفاضل وحيد حامد:

نفسى أعيش في زمان يحكمنا فيه الحق
نفسى مكنش جبان وأصرخ بكلمة لأ

وهناك تعليق ثالث: هذا الموقف قريب بشكل أو بآخر من موضوع ١١ سبتمبر او الرسومات المسيئة للرسول او حرق المصحف أو أو سيجعل الطبقة محترمة التفكير تبحث وتنقب على الحقيقة

وهذا في الصالح إن شاء الله.. سمعت أنه حقق نسبة مشاهدات عالية جداً وفقاً لإحصائيات بعض القنوات ولعله خير إن شاء الله.

* * *

وتحدث موقع «مكتبة الترانيم المسيحية» عن المسلسل فأورد الأقوال الشائعة التي رددتها الصحافة عن المسلسل، وقال إن المؤلف يقدم رواية توثيقية موضوعية إلى حد بعيد عن الجماعة ومؤسسها وأحد المشاهد الذي يلخص هذه الموضوعية عندما يذهب البطل «وكيل النيابة» إلى مكتبة لشراء كتب عن الجماعة، فيسأله البائع إن كان يريد الكتب التي مع الجماعة أم الكتب التي ضدها فيسأله البطل: ما الفرق؟ وفي إجابة البائع تأتي الملاحظة فيقول له إنك لو قرأت الكتب التي مع الجماعة فستتمني أن تكون واحداً منهم، أما لو قرأت الكتب التي ضد الجماعة فستقول ما المعجزة التي تنقذنا منهم؟ وهذا الحوار القصير هو بندول حركة السرد في المسلسل والذي يظهر في أجزاء كثيرة خصوصاً أنه المسلسل الوحيد الذي يذكر أسماء المراجع التي اعتمد عليها في نهايته وهي كتب مع وضد أيضاً كذلك لفت انتباهي رصد المسلسل لحركة البعثات التبشيرية المسيحية والتي تزامن بعضها مع تأسيس جماعة الإخوان وتعامل المؤلف مع هذه الحركة بطريقة موضوعية أيضاً ووضع وجهتي نظر مختلفتين عنها فهي إما حركة لتبشير المسيحيين أنفسهم بمذاهب مختلفة أو أنها لتتصير المسلمين وهو لا يحاول أن يميل لأي احتمال.

والمسلسل لا يتوقف للتأريخ للجماعة فقط لكن يتكلم ويناقش الظروف المحيطة بها فيضع الجماعة وسط المجتمع والمجتمع حول الجماعة لتكتمل الصورة ويستقيم التوثيق .

أما عندما يتكلم المسلسل عن الحاضر فنجد المؤلف يخلع جلباب الموضوعية ويضعه جانباً ليلبس زي شاهد العيان ولا يعرض وجهتي نظر حول أمر، بل يقدم رؤيته ورأيه ليس في الجماعة فقط، ولكن في أحوال البلد ومشكلاته من رشوة وبطالة وأزمة مرور وغيرها، وأنا وغيري علي ميعاد يومي لمشاهدة الأحداث دون توقع مسبق لأن الحكي جذاب جداً فتحية للمؤلف كمبدع أول ولبقية طاقم العمل كمبدعين تاليين.

وعرض الموقع لآراء «الأسوشيتيدبرس» وبعض وكالات الأنباء الأجنبية الأخرى مما لا يمكن أن ننتظر منها أنها ستحقق في الموضوع تحقيقاً موضوعياً بمعنى الكلمة، لأن هذا يتطلب معرفة وثيقة وعودة إلى المراجع المؤيدة أو المعارضة فيما لا يكلف به الصحفيون أو الإعلاميون، ومع هذا فإن الموقع كان من الذكاء بحيث يقول: وإن

حيادية وحيد حامد ربما تحتاج إلى مراجعة من وجهة نظر البعض، فيما أنه إختار أن يظهر العالم السري لجماعة الإخوان المسلمين، ويظهر أن هناك الكثير مما لا يعرفه الناس عن تلك الجماعة من أعمال شريرة وفساد وعنف تقود في مجملها إلى رسالة واضحة من وجهة نظره، بأننا أمام جماعة (منافقة) تتاجر بالدين لتحقيق أهداف سياسية، على أساس أنه بذلك محايد تماماً، وأن الحيادية تدين

الجماعة من تلقاء نفسها، ناسياً أن الوقائع والأقوال التي جاءت من وضع وحيد حامد وضعها على لسان أبطاله «الإخوانيين»، ومن ثم تنطلي على الناس كأن تصدر من الإخوان أنفسهم.

ونحن ندين للموقع بأنه أورد آراء بعض المفكرين الإسلاميين مثل الدكتور محمد عمارة الذي أكد أن إنشغال الإعلام الفني بتشويه تاريخ رموز الحركات الإسلامية في الدراما التمثيلية وعرض دراما سخيفة تسهم في زيادة الابتذال والفحشاء والبعد عن الأخلاقيات وتشويه الأزهر الشريف وعلمائه في المجتمعات الإسلامية.. وحذر خلال محاضرة له بملتقى الفكر الإسلامي الذي ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من استمرار انشغال الحكومات والأجهزة الأمنية في ملاحقة ومطاردة نشطاء الحركات الإسلامية والوطنية، مؤكداً أن حرية الرأي والتعبير حق من حقوق الإنسان التي لا يجب التفريط فيها .

نائب المرشد العام للإخوان المسلمين د. محمود عزت قال في رد فعله أن مسلسل (الجماعة) لن يكون له أي أثر وأن الناس يعرفون الإخوان بأخلاقهم وتعاملاتهم، وفي حوارهم مع قناة الجزيرة القطرية أضاف عزت: «كنت أتصور أن المسلسل سيكون على درجة درامية عالية تؤثر في الناس أو تعطي صورة سلبية عن جماعة الإخوان، ولكن الآن لا أستشعر أن هناك أثراً لهذا المسلسل، المسلسل يظهر الإخوان عكس ذلك ويظهر أمن الدولة على أنه يعمل في صالح الناس، ولا ينتهك كرامتهم وحريتهم، والشعب المصري على درجة كبيرة من الوعي يستطيع من خلالها أن يقيم المسلسل وما يعرضه عن الجماعة».

المرشد العام الحالي د. محمد بديع كان له تعليق أيضاً على المسلسل حيث أشار إلى أن الهجوم على الإخوان ومحاولات تشويه تاريخهم ليس جديداً، وطالب بالتعلم من سيرة النبي موسى، الذي لم تأخذه أقوال فرعون عن تبليغ دعوته، وقال «يجب علينا أن نلجأ إلى الله ليكشف عنا الغمة، ثم واجبنا نحو مجتمعنا بأن نقدم له القدوة والنموذج لما نحمل له من خير».

وعلى كل حال صنع هذا المسلسل خصومة واضحة بين مؤلف المسلسل الكاتب الكبير وحيد حامد وبين جماعة الإخوان المسلمين، والتي رأت أنه يشهوه التاريخ والحاضر الخاص بها، ويحاول إظهار مؤسسها حسن البنا على أنه رجل يسعى وراء السلطة، ورأت أن وحيد حامد ينافق أجهزة الأمن التي لا تحقق مع قيادات الجماعة بالصورة الودية التي يظهرها المسلسل .

فيما يرى حامد أنه إعتد على معرفته الحديثه ببعض التفاصيل عن تاريخ وحاضر الجماعة، وحاول أن يقدم للمشاهد المصري ما توصل إليه مؤخراً وبعد أن بلغ الستين من عمره عن هذه الجماعة التي إكتشف أنه لا يعلم عنها الكثير.. ويبدو أن حامد عاش نفس التجربة التي عرضها في المسلسل على صورة محقق في نيابة أمن الدولة يسعى إلى معرفة حقيقة الجماعة، ولكنه على ما يبدو نسي أن فساد الإخوان الذي يحاول إظهاره للمشاهدين يجب أن يظهر ضمن منظومة كاملة من الفساد تسيطر على مصر حالياً، خاصة وأنه أكد على الحيادية، ولكن أحداً من المشاهدين لن يفتتخ الآن بأن الإخوان هم سبب

الفساد، بالعكس قد يحمل هذا المسلسل نتيجة عكسية لدرجة قد تجعل التلفزيون المصري الحكومي يراجع نفسه لأنه وافق على بثه .

وعالج الموقع نقطة حذف الحلقتين (٢٩) و (٣٠) ووقوف المسلسل عند حل الإخوان، دون الدخول في قضية اغتيال حسن البنا، مع أن هذا هو قمة الدراما وأفظع ما تمخضت عنه عداوة الحكومة للإخوان، وسيرى القارئ أن كلام وحيد حامد هو من النوع الساذج، ومع هذا يرمي صاحبه الآخرين بالسذاجة، والحق أبلج.

فقال الموقع نقلاً عن مصطفى سليمان: نفى وحيد حامد، الكاتب والسيناريست المعروف ومؤلف مسلسل «الجماعة» «أن يكون المسلسل قد صب في مصلحة الإخوان المسلمين، وجاء بنتائج عكسية تتعلق بالترويج للجماعة داخل كل بيت مصري» .

ونفى حامد ما تردد في الدوائر السياسية المصرية حول حذف مشهد اغتيال البنا، وقصر المسلسل على ٢٨ حلقة بدلاً من ٣٠ كما كان مقرراً، بسبب ضغوط أمنية رأت في هذا المشهد مكسباً للإخوان قد يزيد من تعاطف الرأي العام المصري مع الجماعة، وفق تقارير رفعتها الأجهزة الأمنية المصرية عن ردود فعل الشارع المصري حول المسلسل.

وقال حامد لـ «العربية نت» متسائلاً «من قال إنه يوجد مشهد في حلقات المسلسل عن مقتل حسن البنا حتى أحذفه؟ فهذا كلام يردده الإخوان، والأمن لا يتدخل في أي من أعماله».

يأتي ذلك فيما ارتفعت مبيعات كتب الإخوان، خصوصاً «مذكرات الإمام حسن البنا الدعوة والداعية»، وشهدت مكاتب الإخوان المسلمين إقبالاً كبيراً على كتب تاريخ الإخوان، وكذلك الأمر بالنسبة لمكتبتي الشروق ومدبولي، حيث حازتا النصيب الأكبر من طبع كتب الإخوان المسلمين في مصر.

وأورد الموقع كلام الكاتب مجدي الجلاد رئيس تحرير جريدة «المصري اليوم»: «إن وحيد حامد نجح في ألا يجعل جماعة الإخوان المسلمين محظورة، بل جعلها موجودة في كل بيت مصري».

كما أورد ما كتبه الدكتور وحيد عبد المجيد في عموده في صحيفة «المصري اليوم»: «إن مسلسل الجماعة أثار ردود فعل قوية على منتديات الإنترنت، وشهدت شخصية حسن البنا تعاطفاً كبيراً مع مؤسس الإخوان المسلمين حسن البنا في كثير من الأوساط، وخاصة التعاطف والإعجاب بهذه الشخصية في أوساط الفتيات ممن لسن عضوات في تنظيم الإخوان المسلمين، ولا هن قريبات قادة أو أعضاء في جماعة الإخوان».

واستدرك الكاتب «لكن الكثير منهن أعجبن في الواقع بوسامة الفنان إيدان نصار، الذي يؤدي دور حسن البنا، وملابسه البيضاء الجميلة، وطريقته في الحديث، وربما يكون إعجاب بعضهن مرتبطاً بالشخصية القيادية القوية التي قدمها نصار أو حسن البنا، حيث لا فرق لدى كثير من المشاهدات، أما

رسالة المسلسل، التي تحاول إبراز الجانب المظلم والعنيف في مواقف البنا وممارساته، فهي لا تصل إلا إلى القليل من متابعي الحلقات، لأنها أكثر تعقيداً من أن يدرك البسطاء والبسيطات مغزاه».

وعاد مرة أخرى فأورد ما قاله وحيد حامد: ورداً على ما تردد بشأن حذف حلقتين من المسلسل، وخصوصاً مشهد اغتيال البنا لأسباب أمنية، وما يقال أيضاً عن عدوله عن كتابة الجزء الثاني، قال حامد في تصريحات لـ «العربية نت»: «أولاً أنا لا أكتب مسلسلاً للحكومة أو الأمن أو الإخوان، أنا كتبت مسلسلاً للحقيقة المجردة، أعرض فيه حقيقة جماعة الإخوان وملتزم بهذه الحقيقة، أما أن الحكومة أو الإخوان كل يخطف المسلسل لأهوائه فهذا ليس من شأني، وأنا لن أقف بالمرصاد لكل من يفسر المسلسل على مزاجه الخاص ووفق طريقته وأهوائه».

وتابع حامد «أما بالنسبة للجزء الثاني، فأنا بصدد كتابته ولا يستطيع الأمن أن يتدخل في ذلك، وليس هناك أي مشهد تم أو سيتم حذفه، فليس في العمل مشهد اغتيال البنا من الأساس حتى أحذفه».

وحول ما يقال إن المسلسل لقي تعاطفاً مع الإخوان، وجاء بنتائج عكسية في صالح الإخوان، يقول حامد «هذه فرية إخوانية يطلقها الإخوان أنفسهم، وكذلك التدخل الأمني في العمل، ففي بداية حلقاته الأولى قالوا إن الأمن هو الذي صنع هذا المسلسل، والآن يشيرون أن الأمن غير راضٍ عن المسلسل لدرجة أنه تقرر حذف مشهد اغتيال البنا حتى لا تتعاطف الجماهير مع الإخوان، وهذا يؤكد تناقضاً في الرؤية لمن يشيرون هذه الأخبار وهذه الافتراءات، ويؤكد أن الجماعة تحاول سحب المسلسل لصالحها».

وشدد على أن المسلسل لا يحمل سوى الحقيقة المجردة، «ولمن شاهد المسلسل بعناية سيلاحظ أنني لا أكتب مسلسلاً للحكومة، ولا للإخوان، ففي كثير من المشاهد المرتبطة بسياق الأحداث طرحت وجهة نظري في الحكومة وما يعاينيه الشعب المصري».

وتحدى وحيد حامد في حديثه أن تثبت جماعة الإخوان المسلمين عكس ما قاله المسلسل عن تاريخ الجماعة، قائلاً «أتحدى أن يتهمني أحد بتزوير الحقائق في المسلسل، فكل ورقة كتبتها في العمل موثقة لدي حتى أكون صادقاً مع نفسي، ففي بعض الأحيان كان حسن البنا مفكراً إسلامياً لا غبار عليه، وفي أحيان أخرى كان وفق ما وصفته في بعض المشاهد التي يرى الإخوان أنني أظهرته فيها، يقوم بدور الانتهازي».

وقد حققت للأستاذ وحيد حامد تحديه.. فليقر عيناً أو يرد إن استطاع!

وكشف الموقع أن الحزب الوطني الديمقراطي نشر تحليلاً جاء فيه: «أن مسلسل الجماعة الذي يعرض هذه الأيام على شاشات التلفزيون للكاتب الكبير وحيد حامد قد كشف في أولى حلقاته عن عدة حقائق عن جماعة الإخوان المسلمين».

وحسبما ذكر التحليل أن أهم هذه الحقائق هو استخدام العنف في العملية السياسية، والحرص على ميوعة المواقف الإخوانية وتكييفها بما يحقق أكبر مصلحة ممكنة لقادة الجماعة وتنظيمها الخاص إضافة إلى عدم الثبات على المبادئ المعلنة.

ففي أول حلقتين ألقى الملسل الضوء على قيام تنظيم شباب الإخوان بعمل استعراض شبه عسكري أظهروا فيه مهاراتهم في الرياضات النزالية أمام مكتب رئيس جامعة الأزهر في مخالفة واضحة لكل قواعد القانون والقيم التي استقر عليها العمل الجامعي، وهو الحادث الذي جاء صدمة لكل المواطنين المصريين الذين شعروا بالخوف لما يمكن أن تقوم به هذه المجموعة، والتي يتسم سلوكها بعدم احترام القانون والشرعية، والسعى لاستخدام القوة من أجل فرض الرأي، والذي أدانه الحزب الوطني ونوابه في مجلس الشعب في حينه .

وأبرز الملسل تأكيد قادة الجماعة على مفاهيم الطاعة المطلقة، وقيام الأعضاء بالتنفيذ الأعمى لما يصلهم من تعليمات، وعدم قيام أى من قادة الجماعة باستكار أحداث جامعة الأزهر التي تسبب فيها أساتذة الجامعات المؤيدين للجماعة، والذي نسب إليهم الملسل إدخال الأدوات القتالية إلى ساحة العمل الجامعي.

وأكد التحليل أن العنف يُشكل جزءاً كبيراً من البناء الفكري للجماعة، وأن من يخالفهم فهو يخالف الدين، واستدل التحليل على ذلك بتصريح مصطفى مشهور المرشد الأسبق للجماعة أن «من يعادون الإخوان يعادون الله ورسوله».

وأشار التحليل الذى نشره موقع الحزب الحاكم إلى أن جماعة الإخوان المسلمين لم يدينوا أي من ممارسات العنف التي قامت بها في تاريخها، ومن ذلك فتوى جماعة الإخوان بأن دية القتل من جراء اغتيال القاضى أحمد الخازندار عام ١٩٤٨م، قد دفعتها الدولة بوصفها الجهة التي تتولى تحصيل الضرائب من المواطنين، وعدم إدانة اغتيال د. رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب عام ١٩٩٠م، واغتيال الكاتب فرج فودة عام ١٩٩٢م، وصمت الجماعة تجاه الأعمال الإرهابية التي شهدتها مصر في الثلاثين عاماً الأخيرة، وعدم إدانتها لها.

كما لم يعلق القيادات الإخوانية على مذكرات بعض القادة التي أشارت إلى تورطهم في أعمال العنف مثل مذكرات طلال الأنصاري المتهم الثاني في حادث الفنية العسكرية، والتي نُشرت عام ٢٠٠٦م، وكشف فيها عن أن المرشد العام الثاني حسن الهضيبي كان على علم بخطة صالح سرية، ووافق عليها بشرط إبعاد الإخوان نهائياً عن الموضوع في حال فشل الإنقلاب.

ومذكرات أبو مصعب السوري الذي أشار فيها إلى قيام إخوان مصر بتدريب مجموعة من إخوان سوريا على حرب العصابات، وذلك قبل اغتيال الرئيس السادات بثلاثة شهور، وقيام أعضاء من الجماعة باغتيال محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء الذي كان قد أصدر قراراً بحل الجماعة عام ١٩٤٨م، ومحاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤م.

وأكد التحليل أن «الحلقات القادمة من مسلسل «الجماعة» ستكشف عن مزيد من قيام الإخوان المسلمين بغسيل الأموال وعدم وجود قواعد واضحة للصرف بداخلها، وكذلك تعمدتها خلط الدين بالسياسة، وخطط نشاط الدعوة الدينية بالعمل الحزبي، وتوظيف الدين لخدمة أهدافها السياسية، واستخدام شعارات تهدف إلى إثارة مشاعر المواطنين واستغلال إيمانهم الديني لخدمة أهداف سياسية» حسبما ورد في تحليل موقع الحزب الوطني.

وأورد الموقع آراء نواب الإخوان المسلمين بالإسماعيلية ووصفوا المسلسل بأنه ملئ بالأكاذيب، ومؤلفه يتبنى رؤية الأمن ويصور الإخوان على عكس صورتهم السليمة.

وهناك موقع باسم Play Station، سأل المشاهدين إذا كنت مؤيد لفكر جماعة الإخوان وحسن البناء.. هل مازلت على هذه الفكرة أم تغيرت فكرتك؟ وها هي بعض الردود:

(١) **حكيم قلوب:** زاد اهتمامي بجماعة الاخوان وقرأت الكثير عنها وزاد احترامي لهم وللشيخ حسن البنا

والدليل علي ان المسلسل هو مجرد تشويه للحقائق انهم لم يعرضوا مشهد اغتيال حسن البنا في الجزء الاول حتي تظل الصورة مشوشه ومشوهه في اذهان الناس ، ولكن الله سيتم نوره ولو كره الفاسقون أصحاب مسلسلات الكباريات والعري، أقول لهم استمروا في انتاج مسلسلات العري ولا تشوهوا التاريخ بأفكاركم الخبيثة وتشويه صورة المجاهدين.

(٢) **أحمد (مستخدم جديد):** لا يصح أن يتغير تفكيرك بناء على مسلسل أو عمل درامي أقرأ في التاريخ وأسمع للأراء المختلفة وراجع الوثائق، وبرغم اختلافي مع الإخوان المسلمين فأنا مقتنع أن المسلسل أسلوب رخيص في مواجهة الجماعة.. وإلا كيف استطاعت هذه الجماعة أن تقنع كثيراً من المصريين وغير قليل من المثقفين أكثر من ستين عاماً.. شغلوا دماغكم شوية.

(٣) **أحمد حمدي:** أنا شوفت المسلسل كله ولئيت إن فكرة المسلسل ده تشويه لصورة الاخوان المسلمين، هل سألتهم أنفسكم لماذا جماعة الإخوان المسلمين محظورة في مصر فقط مع إن الإخوان المسلمين محبوبين في كل مكان، ببساطة الإخوان المسلمين هم جماعه ليست ارهابية وليست متطرفة ومن يقول ذلك فلا نعاتب عليه شيء لأنه لا يعرف عن تاريخ الاخوان المسلمين شيء.

(٤) **كريم:** لم أشاهد لأنني لا أشاهد مسلسلات ، ولكن كما قرأت من التحليلات فهو قد جاء بنتيجه عكسية وقرأ الناس وعلوموا الخبيث من الطيب وجعل الله كيدهم في نحورهم لأن الرسالة لم تكن ضد الإخوان وإنما كانت ضد الإسلام، وهي رسالة كإدخال السم في العسل، ولكن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

(٥) **mm:** المسلسل زاد اقتناعي بالإخوان المسلمين ومنهجهم ودفعني لقراءة المزيد من كتبهم وتاريخهم فوجدت من بداية القراءة أن هناك تجني واضح ضد الإخوان وتحيز رهيب من الكاتب

اليسارى وحيد حامد ضد كل ما هو إسلامى وضد كل ما هو إخوانى وقلب للحقائق وتزييف للتاريخ.

(٦) **فخراوي:** أنا أصلاً من البداية أقدر وأحترم وأحب الشيخ حسن البنا، فكم من العمالة في الدعوة نكروه بكل طيب والشيخ كشك رحمة الله عليه منهم، لكن أن يقيم الإنسان رأيه وفكره علي مجرد مسلسل أو فيلم فهذا خطأ فادح، فالدين والتاريخ والقيم لا تأخذ من التلفاز، الأجل فقط أنهم نبهوا الناس للجماعة، فهناك من كان لا يعرفها أصلاً، وبالنسبة لي فقد اهتمت أكثر بقراءة ما كتب عن هذا الإمام الفذ رحمه الله وأنصح الجميع أن يتابع حلقات الجزيرة عن مقتل حسن البنا.

وهناك تعليقات أحادية يضعها صاحبها على الإنترنت لمن يشاء، وسنكتفي بعرض الأمثلة التالية:

(١) **وانتهت جماعة أمن الدولة:** وأنا أتصفح جرائد اليوم انتبهت بقوة لخبر أنه بتعليمات أمنية عليا تم حذف وإلغاء إذاعة آخر حلقتين من مسلسل الجماعة، قرأت تفاصيل الخبر فوجدت أنه بتعليمات أمنية أن آخر حلقتين تتناولان مشهد اغتيال الإمام الشهيد، ومشهد دفنه المأسوي والذي لم يكن فيه إلا ووالده عليه - رحمة الله - ومكرم عبيد وبعض النسوة من العائلة، وذلك لأسباب سياسية أمنية وقتها، وجدت القيادات الأمنية أن هذين المشهدين سيكونان سبباً في زيادة التعاطف الشعبي للإمام الشهيد إذاعة الحلقتين، وبهذا تقرر المنع، ولهذا شاهدت حلقة اليوم والتي من المفترض أنها الأخيرة من المسلسل، نهايتها عجيبة تماماً، فيها يظهر الإمام الشهيد وهو يدير ظهره للشاشة وبالفعل.. في نهاية الحلقة والتي كانت وهو يتندم أشد الندم على تكوينه لهذه الجماعة، وينطلق ويردد مراراً في انهيار «لهذا خلق الله الندم.. لهذا خلق الله الندم.. لهذا خلق الله الندم»، ما هالني بالفعل هو التصوير المهين لرجل يُعد من عظماء القرن.

(٢) **وحيد حامد وسيرة الإمام:** وجاء من سيد هندي تحت عنوان سلسلة مقالات «مسلسل الجماعة»، وهو يبدأ مع الحلقة الثالثة، ويقول: تم اختيار طفل مميز جداً للقيام بدور الإمام حسن البنا، طفل صاحب كاريزما كبيرة وفكر شيطاني، من هؤلاء الأطفال الذي تخشاهم حين تلقاهم بسبب نشاطهم الغريب وكلامهم الغامض، أما والده فرجل ملامحه فيها من الشر والخبث والذقن المستعارة - الغير مثبتة جيداً بالأمير - تفهم منها أنه منافق من الدرجة الأولى.

وكشفت مدونة «العدل والسلام» التي كتبها رضا عبد الرحمن بتاريخ ٢٠١٠/٤/٩م تعليقا على مسلسل الجماعة: جاءت العلاقة الوثيقة التي كانت تجمع بين كاتب المسلسل (أ. وحيد حامد و د. أحمد صبحي منصور) فقد تأثر الكاتب وحيد حامد أيما تأثير بما كتبه الدكتور أحمد صبحي منصور عن تاريخ الوهابية وعلاقته بنشأة الإخوان في مصر، وكونه أول من ربط بين نشأة الإخوان وبين الدولة السعودية، وله السبق في هذا الأمر حيث أنه الباحث الوحيد أو المؤرخ الوحيد الذي ربط بين نشأة

الإخوان وبين الدولة السعودية أو تحديداً عبد العزيز آل سعود وعلاقته بالشيخ رشيد رضا الذي استغل حماس حسن البنا الشديد من ناحية واستفاد من تقبل الناس له وتأثيره فيهم من ناحية أخرى، كما كان بمثابة حلقة الوصل بين حسن البنا وعبد العزيز آل سعود، وكانت بداية زراعة شجرة الإخوان في مصر كما سماها الدكتور أحمد صبحي منصور في بحثه «شجرة الإخوان المسلمين.. زرعها السعوديون في مصر في عهد عبد العزيز آل سعود»، وفي حوارات المسلسل ظهرت عبارات وجمل على الدراما المصرية لم نعهدها من قبل، وهي نتيجة هذا التأثير الذي حدث لكاتب المسلسل نتيجة قراءته لهذا البحث أو لتأثره بفكر الدكتور منصور عموماً.

هذه الإشارة تفيد تأثر وحيد حامد بما ذهب إليه صبحي منصور، وأن العلاقة ما بين حسن البنا والملك عبد العزيز آل سعود هي التي زرعت شجرة الإخوان.. وهذا كلام ظاهر البطلان، فقد بدأ الإمام البنا في الإسماعيلية سنة ١٩٢٨م، ولم يكن له أي علاقة بالملك عبد العزيز، وقد أشار الأستاذ البنا في خطاب له إلى تفكير بعض قادة الشبان المسلمين في أن تطلب السعودية نقل الأستاذ البنا لها، ولكن الفكرة لم تتجح لتأزم العلاقات ما بين مصر والسعودية عندئذ، ولم يعلق عليها الأستاذ البنا أهمية، ولم يتعرف السعوديون على حسن البنا إلا عندما بدأ الإخوان يرسلون بعثة الحج عندما ألقى حسن البنا بعض الخطابات التي فاقت خطابات رؤساء بعثات الحج الرسمية، وكانت علاقة أدبية تماماً دون أن يكون لها أثر مادي، سواء كان مالياً أو اجتماعياً، واقتصر على الترحيب بوفد الإخوان للحج خاصة إذا كان على رأسه الإمام البنا نفسه.

الفصل الثالث

بعض العوامل التي أثرت على معالجة المسلسل

قبل أن نتطرق إلى معالجة المسلسل وتوجيه المؤلف لموضوعه، أود أن أذكر بعض الوقائع التي أثرت على المعالجات وقدمت رؤيته وكانت في أصل إصدار المسلسل نفسه:

(١) تعرفنا على الأستاذ وحيد حامد من خلال بعض التعليقات التي عرضها النت والتي تفاوتت ما بين ناقد عليه ومعجب به، على أنها جميعاً قررت أنه ليبرالي.. علماني.. له توجهات يسارية، وأنه زوج السيدة زينب سويدان التي كانت مدير بالتلفزيون المصري وضربت مذيعة بالقلم لأنها طالبت بالحجاب، وأنه والد لمخرج شاب مرموق، وجاء في تعليق لكاتب في جريدة «الأهرام» (٢٢/٩/٢٠١٠م): «يحاول بعض الإخوان المسلمين اتهام الكاتب وحيد حامد بأنه عميل للأمن، وأن النظام استكثبه هذا المسلسل نكاية في الإخوان المسلمين وللتأثير عليهم في انتخابات مجلس الشعب المقبلة، وهذا سر عرضه في رمضان، وأعتقد أن هذا ليس صحيحاً على إطلاقه، فوحيد حامد كما يبدو لي يساري الهوى علماني المنهج ولا يخفى عداؤه للإخوان المسلمين جماعة ومنهجاً، بل وللتيار الإسلامي في عمومته متطرفاً أو سلفياً أو وسطياً، وهذا مبدأ يتمسك به وقد ظهر في الكثير من كتاباته وأعماله السابقة»، وهذا كله وليس فيه شيء من عنديتنا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه من فصيلة (العلمانيين.. الليبراليين) الذين يضيقون بالدين بصفة عامة ويعارضون كل محاولة لاستلهامه، وأنه أيضاً من صميم رجالات مجتمع الفنانين - ولهذا وذاك - فإنه اكتسب تأييدهم الذي تجلى في المديح المتوالي للمسلسل، ولكنه دون شك يحول دون أن يقف الكاتب موقفاً محايداً، إذ لا بد أن يتأثر باتجاهاته الفكرية والذهنية التي تضيق بالإسلام، شأنه شأن كل علماني.. ليبرالي، وقد يُعد هذا الضيق موقفاً خاصاً، كما أنه قد لا يتحول إلى عداوة وبصفة عامة فلا ينتقد شخص لذلك وحده، ولكن عندما يكون الحديث عن هيئة أرادت وضع الدين في صدارة المجتمع، فهنا لا بد وأن يقاوم الليبرالي.. العلماني هذا، لأنه يضع الليبرالية والعلمانية في الصدارة، ولا يُعد التساؤل عن النية نوعاً من شق القلوب، والتحكم في المشاعر لأنه محصلة طبيعية للموقف الفكري للمؤلف.

(٢) أذكر لقاءً تليفزيونياً جمعنا بالأستاذ وحيد حامد، وكان معنا الأستاذ سيف الإسلام حسن البنا في هذا اللقاء، قال الأستاذ وحيد أنه يرفض تماماً تأليف فيلم عن حسن البنا لأنه سيكون فيلماً ساقطاً، فيلم ليس فيه امرأة، ليس فيه «بوسة» ولا يقدر له النجاح، فما الذي يا ترى غيَّره وجعله يقدم لنا «الجماعة»؟

(٣) عندما يريد مؤلف أن يعالج موضوعاً عن شخصية مثل حسن البناء، فمن الطبيعي أن يسأل الذين عايشوه عن عاداته وأخلاقه وطبائعه التي قد لا يتاح أن تعرض في كتب، بهذه الطريقة يتعرف على دقائق شخصية حسن البناء، ولكن المؤلف لم يحاول أن يلتقي بأحد من البقية الباقية الذين عاشروا حسن البناء مثل الأستاذ فريد عبد الخالق عضو مكتب الإرشاد وأحد المقربين من الأستاذ البناء، وقد خصصت له قناة «الجزيرة» ثمان لقاءات طويلة من لقاءات «شاهد على العصر»، وكان يمكن أن يتصل به، أو يتصل بي، ولم أكن لأرفض في هذه الحال الرد على أسئلته.

أما وأنه لم يبد هذه المحاولة، فهذا ينم على أن عنده فكرة معينة عن حسن البناء وهو يريد إبرازها، ولا يريد لأي معلومة أن تؤثر عليه، ولهذا لم يفكر - مجرد تفكير - في الالتقاء بأحد ممن عايش الأستاذ حسن البناء، حتى لا تؤثر على الفكرة التي في ذهنه، والتي يريد إبرازها رغم تعارضها مع الحقيقة أو عدم إمامها بالحقيقة، فهو لا يريد عملاً متقناً حقيقياً، ولكن عملاً خاصاً مزيفاً مزوراً.

(٤) لقد ذكر الأستاذ وحيد حامد أنه اعتمد على عدد كبير من المراجع، وأوردها في الإعلان عن المسلسل، ومن الطبيعي أن توجد كتب كثيرة عن الإخوان بعضها من المعجبين بالإخوان، والآخر من الناقلين على الإخوان، ويبدو أن الأستاذ وحيد حامد اعتمد على مثل كتاب رفعت السعيد الماركسي المعروف، واللواء فؤاد علام - رجل المباحث المخضبة يدها بدماء المعتقلين - ومن المؤكد أنه لم يطلع على كتابنا «خطابات حسن البناء الشاب إلى أبيه» مع أن هذا الكتاب يتضمن نواحي شخصية خافية لم تذكر في غيره، وكان يمكن أن يكون أحد المراجع الأساسية له، ولم يقرأ كتاب «ما بعد الإخوان المسلمين» مع أنه من الكتب الناقدة للإخوان، ولعله لم يقرأ المقالات التسع التي نشرناها في جريدة «المصري اليوم» تحت عنوان «الإخوان المسلمون على مفترق الطرق» فهذا إما أنه إهمال جسيم من مؤلف، أو أنه رغبة في عدم التعرف على كل الحقيقة.

(٥) عندما يصدر هذا المسلسل تحت رعاية الدولة وتدفع أكثر من عشرين مليون جنيه لشرائه، وعندما تفسح قنوات التلفزيون لعرضه على أكثر من قناة ولأكثر من مرة في اليوم، وعندما يكون توقيت ذلك قبيل انتخابات برلمانية تخشى الحكومة أعظم ما تخشاه دخول الإخوان !!! إن أغبي الأغباء لا بد وأن يتوصل أن الحكومة أرادت إظهار عمل يشوه الإخوان ويزيف الحقيقة ويكون أقوى دعاية ضدهم في الانتخابات المقبلة، ولا يكون في هذا أي تجني لمنطق الأشياء، وإلا فإننا لا يمكن أن نثق في شيء، فهل يعقل مثلاً أن تعرض حكومتنا، وسوابقها في اضطهاد الإخوان والقبض على قادتهم ومحاكمتهم في محاكم أمن دولة، ورفض الإفراج عنهم حتى بعد إتمام السجن، هذه الحكومة أن تشتري بمبلغ باهظ مسلسلاً يبرز حسنات الإخوان وما قاموا به من دور في المجتمع المصري حتى يقبل الناخبون عليها.

(٦) قيل أن المسلسل ظفر بأعظم مشاهدة وهذه حقيقة لا ننكرها، ولكن النقطة الهامة أن هذه المشاهدة لم تكن إعجاباً بالمؤلف أو المخرج، ولكن لأن الجمهور يريد أن يعلم الحقيقة عن «الجماعة» وعن

زعيمها الأسطوري حسن البناء، وكان الجمهور يترقب مشاهدة أعلى نقطة في التراجيديا ألا وهي مشهد اغتيال حسن البناء وجنازته التي لم يسر فيها سوى نساء الأسرة، ولكن المسلسل توقف قبل نهايته بحلقتين وادعى السيد وحيد حامد أنه لا مكان لقصة الاغتيال في السيناريو، وأنه يمكن الإشارة إليه في الجزء الثاني، ومن الواضح وضوح الشمس أن الدراما لا تستكمل عقدتها إلا بنهاية البطل - خاصة إذا كانت هذه النهاية مأساوية - بكل معاني الكلمة.

وقيل أن الحكومة تدخلت لعدم التطرق لقصة الاغتيال وأوقفت المسلسل عند حل جماعة الإخوان، وقد نفى السيد وحيد حامد ذلك، وأنا أرى أنه ما كان يجرؤ على عرض مؤامرة الاغتيال الأثيم التي قامت بها الوزارة المسئولة عن حماية الناس، ولا الجنازة التي لم تسر فيها سوى النساء.. إلخ، فلا ينقصه الذكاء ولا هو يمكن أن يأتي في الآخر ليهدم كل الأكاذيب والتزييفات التي قام بها بالنسبة لأحداث المسلسل.

(٧) استفاد السيد وحيد حامد من الجهل المطبق لهذا الجيل بالإخوان المسلمين وأن هذا الجيل لم يسمع إلا دعاوى الحكومة ضد الإخوان، وقد حيل بقوة دون أي ظهور للإخوان فلم يكن لهم صحف ولا سمح لواحد بالحديث في الإذاعة أو الظهور في التلفزيون، وأنا شخصياً لم يظهر لي ثلاث لقاءات في برامج تليفزيونية مختلفة، ولهذا وجدت شريحة من المجتمع يمكن أن تصدق دعاوى وحيد حامد التي سبكاها في المسلسل.

ولكن هذا لم يمنع أن عدداً أكبر سأل أفراداً من الجيل السابق (آباء - أعمام - معارف) عن الإخوان، فذكروا لهم بالطبع ما قام به الإخوان من دور كبير في رعاية الشباب وإنقاذهم من المزالق، وعن كفاحهم في فلسطين، وفي قتال السويس، وعن شركاتهم ومدارسهم.. إلخ.

وزاد في صعوبة مهمة السيد وحيد حامد أنه تصدى لشخصية حسن البناء باعتباره رمز الإخوان والشخصية التي نالت الإعجاب والتقدير من الجميع، وحاول تشويهها ليتلاءم مع تشويه المواقف التي افتعلها أو أظهرها بصورة غير واقعية، وكان لا بد أن يفشل لأن شخصية حسن البناء أصبحت أمانة تاريخية لا يمكن العبث بها أو المزايدة عليها، ومن هنا فإن محاولات تشويه الرجل كانت غير طبيعية وظهرت «الفبركة» فيها، فأتارت الريبة وكشفت التزييف، ونال الرجل حقه من الإعجاب رغم أنف الحاقدين.

(٨) الجهل بالإخوان المسلمين لم يكن مقصوراً على عامة الناس، بل إن المؤلف نفسه فاتته لأنه لا يعلم بعض الأصول والمبادئ التي حكمت اتجاه هيئة إسلامية نحو الحكام، وهو موقف يستنبط من القواعد والأصول لينتهي إلى الممارسات، فكل الهيئات الإسلامية يكون عليها أن تعني بالهم العام للبلاد والقضايا الرئيسية في المجتمع، ولا يسع أي هيئة إسلامية يكون إسلامها حياً أن تتراخي أو تتناقل أو تتناسي وجود عوامل هدم وإساءة للمجتمع، فهذا يخالف مبدءاً رئيسياً هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاء في صدارة توجيهات القرآن الكريم «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٧١)، كما جاء في وعشرات الأحاديث

«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، و«من غشنا فليس منا».. إلخ، وقد قضت التوجيهات الإسلامية على الفقهاء بأن عليهم عندما يتدخلون لأداء واجبهم أن يتسم ذلك بنوع من الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكون مرادها الإصلاح أكثر من التنديد والانتقاد، ومن الأدبيات المأثورة في التراث السياسي الإسلامي ما قاله الحسن البصري «لو كانت عندي دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان، لأن الله يصلح لصلاحه خلقاً كثيراً»، وكذلك كلمة للسيد رشيد رضا «نتعاون فيما نتفق فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه»، وقيل هؤلاء جميعاً كلمة الرسول «خلوا بيني وبي الناس».

يفهم من هذا أن الدعوة الإسلامية لا يجوز لها أن تقف موقفاً سلبيًا، وأن عليها أن «تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر»، وأن يتم هذا في أفضل صورة، وهذا هو مفتاح اتصالات الإخوان بالحكامين، فإنه ما أن يُعلن عن تشكيل وزارة حتى يكتب المرشد العام لرئيسها مهنتاً بالمنصب، وراجياً أن يغتنم المنصب لتحقيق المصالح وإبطال المفساد.

وموقف الإخوان هنا يختلف عن موقف الشيوعيين مثلاً الذين يرون أن أي اتصال بوزارة رأسمالية خيانية، وأنه ليس لدي المسؤولين بالنسبة للرأسمالية إلا «اغتصاب المغتصبين» أي القضاء عليهم.

كما يختلف عن موقف الحزب في ديمقراطية تقليدية، فالحزب الديمقراطي لا يتوجه لوزارة أخرى إلا من منطلق المساومة أو الوراثة أو المعارضة للمعارضة، فهذه مواقف يعزف عنها الإسلام ولكنها لا تفهم عند الشيوعيين الذين يريدون اغتصاب المغتصبين، وإثارة الفوضى والقلق حتى ينهار المجتمع، أو منطلق المساومة، أو المعارضة للمعارضة لدى الأحزاب الديمقراطية.

ومن يراجع جريدة الإخوان المسلمين اليومية يجد خطابات متوالية من الإخوان إلى كل الذين يلون الحكم، كلها أملاً ورجاءً ثم عند عدم التنفيذ نقداً موضوعياً وهذا يعود إلى أن الشيوعيين والديمقراطيين يريدون الحكم، أما الإخوان فلا يريدون الحكم ذاته، وإنما يريدون تطبيق الخطوط الإسلامية العريضة للحكم الرشيد، وهذا ما نلمسه في خطابات حسن البنا إلى الملك، وإلى السعوديين، وإلى الوفديين، كما يلمسه في خطاب الهضيبي عندما تحدث عن العلاقة ما بين الإخوان وحركة ٢٣ يوليو، إذ قال: «إنه يتجاوب مع الجيش بكل قوة في أي شيء يريده.. فعلاً البلد في حاجة إلى الدفاع.. فنحن مع الجيش للدفاع.. البلد يحتاج إلى زرع الصحراء.. فنحن مع الجيش لزرع الصحراء.. هناك حاجة إلى كنس الشوارع فنحن مستعدون لكنس الشوارع»^(*)، فأى شيء يمكن أن يتصور بعد هذا !!!!

لذلك فإن محاولات تشويه هذه العلاقات كانت غير طبيعية وظهرت «الفبركة» فيها، فأتارت الريبة وكشفت التزييف.

(*) انظر كلمة المستشار حسن الهضيبي في الاحتفال بذكرى الهجرة في المنصورة عام ١٩٥٣م.

(٩) أنا لم أتابع المسلسل متابعة منتظمة لظروف عملي، ولأنه لم يكن في ترتيبه إصدار نقد لها، ولكني رأيت ثلاثة مشاهد أثارت اشمئزازي، الأولى: الإمام البنا يتحدث عن «جلالة الملك أعزه الله وثبت ملكه.. إلخ.. إلخ» كما لو كان أحد وعاظ الأوقاف، وثاني شاهد: «وهو يشتري من بائع مريب أشبه ببائع مخدرات بعض المسدسات»، وأسوأ هذه المشاهد وأكثرها بُعداً عن الحقيقة أن المرشد عندما علم بقرار حل الإخوان تهاوى وأخذ يضرب رأسه بالمنضدة ثلاث مرات ويقول «لهذا خلق الله الندم».

من أين جئت يا سيد حامد بهذه الجملة؟ إن شكسبير لم يزد على ما قاله قيصر «حتى أنت يا بروتس»؟، ولو أراد لأفاض وهو سيد القريض، كما لم يفكر أحد أن يغير أو يبديل أو يضيف أو ينقص مما قاله ميكيل أنجلو وهو يطرق تمثاله «موسى» ويقول «تكلم يا موسى»، فكيف جاز لك أن تقول كلمتك الأثيمة تلك لتصور انهيار رجل لم يفاجأ بالحل، لقد توقعه عندما كان عبد الرحمن عمار يكتب مذكرة الحل، ولم يتأثر بدليل أن جريدة «المصري» سألته عما إذا كان يتوقع أن تفعل الدول العربية بالإخوان مثل مصر، فاستبعد ذلك بصورة قاطعة، بل إنه أعاد الحل في مصر إلى النقراشي واعتبر أنها «إجراءات محلية بحتة وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله»، وقد زالت بإذن الله وزالت دولة النقراشي وبقيت الإخوان.

وكيف سمحت أن تدعي أن النظام الخاص أراد أن يشغل الناس عن الانتباه بقصة مقتل الخازندار

<p>مدير الجريدة محمد أبو زيد عثمان الطائي لإدارة: هـ ميدان الملكة فريدة (الحيطة الخضراء سابقاً) تليفون رقم ٤٤٠٠٤</p>	<p>(بسم الله الرحمن الرحيم)</p> <p>البيان</p> <p>جريدة سياسية إسلامية أسبوعية تصدر على مبادئ الإخوان المسلمين</p>	<p>رئيس التحرير المسؤول صلاح مصطفى عشماوي الافتتاح ٣٠ قرش عن سنة داخل القطر ٦٠ « خارج »</p>
<p>العدد الثامن عشر الاثنين ٣ شعبان سنة ١٣٥٧ السنة الأولى</p>		

صناعة الموت



أجل صناعة الموت ، فالوت صناعة من الصناعات من الناس من يحسبها فيعرف كيف يموت الموتة الكريمة وكيف يختار لوتته الميدان الشريف والوقت المناسب فيبيع القططرة من دمه بأعلى أثمانها ويربح بها ربحاً أعظم من كل ما يتصور الناس فيربح سعادة الحياة وثواب الآخرة ولم تنقص عن عمره ذرة ولم يفقه من حياته يوماً واحداً ولم يستعجل بذلك أجلاً قد حدده الله ومن الناس جبنه أذلة جهلوا سر هذه الصناعة وغفلوا عن مزاياها وفضائلها فأت كل واحد منهم في اليوم الواحد أت موتة ذليلة وبني وهوناته هذه حتى وافته الموتة الكبرى ذليلة كذلك لاكرم معها ولا نبل فيها في ميدان حامل خسيس ضارح وفقى ولا تمن له وأهدر دمه ولا كرامة .

﴿حضره صاحب الساحة أسد الاسلام وحامي فلسطين والمسجد الاقصى المبارك ، (السيد أمين الحسيني مفتي) فلسطين الأكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ورئيس اللجنة العربية العليا ، ورئيس المؤتمر الاسلامي العام ، والرايش في قرنايل (لبنان) أيده الله بنصره ، وأخذ بيده لرفع منارة العروة والاسلام﴾

بإعلان الحرب في فلسطين في حين أن مقتل الخازندار في مارس سنة ١٩٤٨م وعمل الإخوان المسلمين كان من سنة ١٩٣٨م، ونشرت «النذير» في عددها الصادر (٢ شعبان سنة ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م) مقالاً يحمل صورة السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورمز مقاومتها مع مقال للإمام البنا باسم «صناعة الموت».

إن حسن البنا لم يكن يمتدح الملك، وإن كان يخاطبه بأسلوب أشد رفعة مما كان رؤساء الوزارات يكتبون به، ولم يكن يشتري ثلاث أو أربع مسدسات من بائع أشبه ببائع مخدرات أردت به إنزال صورة الرجل إلى مستوى العوام، إن قضية السلاح لها أبعاد لا تعلم عنها شيئاً وسنحيطك بها علماً عند الحديث عن قضية فلسطين، ولم يتهاوى عند الحل، بل وضع وثيقة

تفصح دواعي الحل المزعوم نقطة نقطة في قرابة ثلاثين صفحة.

وعندما سألته جريدة «المصري» (يوم ١٩٤٩/١/٩م):

• هل تنتظرون فضيلتكم أن تقتدي الحكومات الإسلامية الأخرى بمصر في اتخاذ إجراءات مماثلة مع فروع الجماعة ومنظماتها في شُعبها، أم إنما هي إجراءات محلية لا تمتد إلى الإخوان المسلمين بصفتها هيئة عالمية.

• لا أنتظر ذلك فإن الإخوان المسلمين يقومون في كل حكومة من هذه الحكومات، ولكل شعب من هذه الشعوب بأجل الخدمات، ولولا أن لطبيعة دولة النقراشي باشا - رحمه الله - ولبعض العوامل النفسية والتصورات الخاصة التي استولت عليه أكبر الأثر في هذا العمل، لما حدث في مصر نفسها، ولهذا أعتقد أنها إجراءات محلية بحتة، وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله.

حسن البنا

١٩٤٩/١/٩م

(*) صورة فوتوغرافية لأحد الأسئلة التي وجهتها جريدة «المصري» إلى فضيلة الشيخ حسن البنا وإجابة فضيلته بخط يده وبتوقيعه عليها كلها.

(*) جريدة «المصري» في ١٩٤٩/١٠/٢م

هل تنتظرون فضيلتكم أن تقتدي الحكومات الإسلامية الأخرى بمصر في اتخاذ إجراءات مماثلة مع فروع الجماعة ومنظماتها في شُعبها، أم إنما هي إجراءات محلية لا تمتد إلى الإخوان المسلمين بصفتها هيئة عالمية.

لا أنتظر ذلك فإن الإخوان المسلمين يقومون في كل حكومة من هذه الحكومات، ولكل شعب من هذه الشعوب بأجل الخدمات، ولولا أن لطبيعة دولة النقراشي باشا - رحمه الله - ولبعض العوامل النفسية والتصورات الخاصة التي استولت عليه أكبر الأثر في هذا العمل، لما حدث في مصر نفسها، ولهذا أعتقد أنها إجراءات محلية بحتة، وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله.

١٩٤٩/١/٩

صورة فوتوغرافية لأحد الأسئلة التي وجهتها جريدة «المصري» إلى فضيلة الشيخ حسن البنا وإجابته بخط يده وبتوقيعه عليها كلها.

(١٠) لما كان المسلسل قد ركز مشاهدته على أحداث التآمر والاغتيال وإلقاء القنابل واستجداء المسؤولين.. إلخ، فإنه لم يتعرض للقضايا الكبرى التي قامت بها الجماعة، والتي استحقت تأييد الجمهور

والانضمام إليها، ومن ثم فلن نشغل أنفسنا بمتابعة مشاهدتها المزيفة، ولكننا سنتحدث عن القضايا القومية والوطنية التي شغلت الإخوان والتي قدم فيها الإخوان إبداعاً ونال الإعجاب واكتسب التأييد. وهذه القضايا التي حاول المسلسل تشويهاها هي:

أولاً: التحول من الدين إلى السياسة، وبالتالي طلب الحكم.

ثانياً: تكوين النظام الخاص ليقوم باغتيال الأعداء، وشراء السلاح من مسدسات أو قنابل لاغتيال المعارضين وإشاعة الفوضى والبلبلة.

في مقابل التركيز على هذين الادعائين، فإن المسلسل أغفل الدور الاجتماعي للإخوان المتمثل في أقسام البر والخدمة الاجتماعية الملحقة بكل شعبة والمسجلة لدى وزارة الشؤون والتي تقوم بكافة الخدمات الاجتماعية.

وليس أدل من الجهل المطبق بما كان يقوم به الإخوان أن الأستاذ وحيد حامد وهو فنان مغموس في الفن لا يعلم وجود مسرح إسلامي قام بتكوينه الشقيق الأستاذ عبد الرحمن البنا عندما ألف «جميل وبثينة» وهي المسرحية التي أدى دور البطولة فيها نجومات مصر على التوالي عزيزة أمير، فاطمة رشدي، أمينة رزق، وأشرف على إخراجها زكي طليمات وسراج منير، ومثلت على الأوبرا الملكية مراراً، وغيرها من المسارح في مصر والدول العربية، كما أسهم في تمثيلها جورج أبيض وأحمد علام وعباس فارس وعبد العزيز خليل وحسن البارودي وفتوح نشاطي ومحمود المليجي وكان المسرح دار الأوبرا الملكية، أما أعضاء فريق المسرح الإسلامي فهم: (إبراهيم الشامي، محمد السبع، إبراهيم شكري، كرم مطاوع، عبد المنعم إبراهيم، عبد البديع العربي، عبد المنعم مدبولي)، والتي كان من أثرها تكوّن مسرح إسلامي.

وفي الوقت نفسه أبرز نظام الحكم القائم وقتئذٍ باعتباره الحكم الشرعي واعتبر الإخوان من الخارجين على النظام.

وقد صال وجال المؤلف في هذه القضايا الرئيسية اعتماداً على جهل معظم الجيل الحاضر بدقائق السياسة المصرية فترة أربعينات القرن الماضي.

ولم يدر أيضاً بخلد السيد وحيد حامد نشاط الإخوان في المجال الصحي، وما أسسوه من مستشفيات ومستوصفات، وما أثاروا به على أطباء مصر، لقد كان في الإخوان ستة من أبرز الأطباء يبدأ اسم كل واحد أنور مثل أنور المفتي، وأنور الأترابي، وأنور المصري، وأنور الشبيني.. إلخ، وكل واحد منهم بارز ومتفوق في تخصصه، وكان الدكتور النبوي المهندس هو رئيس مستوصفات الإخوان، وقد اختاره عبد الناصر وزيراً للصحة، وكان الدكتور النبوي أخصاً قديماً يجلس في بيت الأستاذ عبد الحكيم عابدين ويغني (أنا صعيدي وأبويا صعيدي)، وكان عبد الحكيم عابدين نفسه يسير في قصر العيني كما لو كان يسير في بيته يعرف كل من فيه من أصغر تمرجي حتى الدكتور مورو، وكان د. إبراهيم أبو النجا عميد طب المنصورة من المسؤولين، والدكتور سليمان مسئولية عن مستوصف القاهرة، وكانت كلية الطب بصفة عامة قلعة إخوانية.

الفصل الرابع

التحول من الدين إلى السياسة

ماذا تعنيه كلمة السياسة ؟

قد تعني الاهتمام بالشئون العامة وسياسة الحكم، ويضم ذلك دراسة النظم السياسية ونقدها، ومعالجة القرارات والأحكام التي تصدرها الحكومة في أبرز القضايا القومية مثل الاقتصاد والتعليم والزراعة والصناعة والتجارة وما إلى هذا كله، ويتم هذا كله بالطرق المشروعة ووسائل الكتابة والصحافة والمعارضة.

السياسة بهذا المعنى هي «الهم العام»، هي الأوضاع العامة والمشاعر التي تسوقها حتى الحرص على سلامة البلاد، أنها يمكن أن تعني الوطنية.

وهناك معنى آخر للسياسة أكثر شيوعاً هو العمل السياسي للوصول إلى الحكم عن طريق حزب سياسي، السياسة هنا هي محاولة الوصول إلى الحكم، وحتى هذا المضمون يختلف تمام الاختلاف مع المضمون الأول الذي لا يستهدف الحكم ويقوم بالإصلاح.

ما موقف الدين من السياسة ؟

تصور البعض أن الدين ليس له علاقة بالسياسة، بالمفهوم الأول وبالمفهوم الثاني، وأنه عبادة وصلة بالله تعالى بعيدة كل البعد عن أمور الدنيا، وأن المسلم هو الذي يؤدي الفروض الدينية من صلاة إلى صيام إلى زكاة إلى حج، وفي الوقت نفسه يأخذ نفسه بالخلق الحسن والبعد عن الشر والأذى، ولا تكون له علاقة بعالم الدنيا وقضايا المجتمع، لأن الدين هو علاقة خاصة جداً بين الفرد وبين الله تعالى.

وقد كان هذا هو رأي كثير من الناس في المرحلة الليبرالية من حياة مصر التي بدأت بثورة ١٩١٩م، وانتهت بانقلاب سنة ١٩٥٢م، فلم يكن يتحدث عن الإسلام إلا خطباء يوم الجمعة أو وعاظ وزارة الأوقاف.

ولكن حسن البنا في فهمه للإسلام استكشف أن الإسلام فيه إلى جانب العقيدة التي هي «الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر» فإن فيه شريعة، وهذه الشريعة تمثل موقف الإسلام من القضايا الدنيوية الرئيسية في حياة المجتمع مثل الحكم، ومثل الاقتصاد، ومثل المجتمع، وهذا واضح تمام الوضوح في القرآن الكريم، فالقرآن تحدث عن الحكم، فانتقد الحكم الفرعوني المستبد، واستبعد الوراثة لأن الوراثة لا تعطي لصاحبها حقاً خاصاً، وندد بالظلم والاستبداد وأوجب الشورى وأن يتم الحكم بموجب «بيعة» أو كما يقولون عقد بين الحاكم والمحكوم، كما أنه في مجال الاقتصاد حرم الاستغلال وحرم الربا وندد بالتترف وأنه من علامات تدهور المجتمع، وأوجب الزكاة التي تمثل التكافل الاقتصادي وتأخذ من الغني

لتعطي الفقير، كما أنه في المجال الاجتماعي أوجب المساواة فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والناس جميعاً سواء أمام القانون، وحرر المرأة من الدونية التي فرضت عليها.

واستخلص الإمام الشهيد من دراساته للإسلام التي بدأت مع الطفولة حتى الاستشهاد أن الإسلام «منهج حياة» وليس مجرد علاقة الإنسان والله مقطوعة من عالم المجتمع والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولهذا توجه بدعوته إلى المقاهي وإلى المصانع وإلى مدرجات الجامعة وفصول المدارس، وأوضح لهم بأبلغ بيان ومستنداً على الآيات والأحاديث أن الإسلام له قول في السياسة والاجتماع والاقتصاد وأنه وثيق في علاقته بالمجتمع.

لم يتحول حسن البنا من الدين إلى السياسة ولكنه كشف عن الطبيعة التكاملية للإسلام، وكان ذلك من أعظم صور التجديد في الإسلام وإعادة إلى أصوله القرآنية.

على أن هناك جانب آخر للموضوع لا يلم به إلا من يدرس ويتعلم ظهور وتطور الحركات الكبرى في المجتمع وتطورها.

ذلك أنه ما أن تبلغ إحدى هذه الحركات «المستوى القومي» حتى تكون عليها أن تعنى «بالسياسة» أحببت ذلك أو كرهته، واتفق ذلك مع مبادئها أو خالفها.

وعلى سبيل المثال فإن الحركة النقابية في بريطانيا عندما نشأت في أواخر القرن الثامن عشر كانت نقابية «حرفية» وبحكم نشأتها في المصنع واستهدافها قضايا الأجور وساعات العمل.. إلخ كانت أبعد ما تكون عن السياسة، وكانت المادة الثانية في لوائح نظامها الأساسي تقول «هذه النقابة لا تشغل بالدين أو السياسة».

ولكن ما أن نجحت النقابات وكبرت وبلغت المستوى القومي حتى ظهر لها أن من الضروري أن تجابه السياسة سواء أحببت ذلك أو كرهته، لأن الأحزاب القائمة لم تتركها في حالها، إذ طلبت منها تأييدها وأن عليها أن تحدد موقفها كهيئة قومية من الأحزاب فإذا أيدتها فستساعدتها على إقرار قوانين تحقق لها هدفها، وإذا عارضتها فستحول دون إمرار هذه القوانين، بل لعلها تصدر قوانين تعارضها.

وهكذا وجدت الحركة النقابية البريطانية نفسها مضطرة لأن تدخل السياسة، ولأن تكون حزب العمال.

وأكثر من هذا إن الحركة النقابية البريطانية وجدت أن عليها أن تقوم بأكثر حركة للإصلاح الانتخابي، فقامت سنة ١٨٣٨م الحركة الميثاقية Chartism التي أرادت تسوية الدوائر ويكون حق الانتخاب للجميع الذكور البالغين، وأن تكون الأصوات بطريقة سرية وأن يمنح النواب مهايا، وهذه الحركة التي بدأت سنة ١٨٣٨م واستمرت عشر سنوات كانت حجر الأساس في الإصلاح الانتخابي، وتحققت كل مطالبها وكان آخرها تحقيقاً هو منح نواب مجلس العموم مهايا وحدث هذا سنة ١٩١٣م.

وما لنا نذهب إلى التاريخ البعيد ولدينا حركة نقابة التضامن في بولندا التي كانت أولى حركات التحرر من التبعية لهيمنة وسيطرة الحزب الشيوعي والاتحاد السوفيتي، وكيف نجحت في تحرير بولندا

من الإسار اللبيني/الإستاليني العتيق، وكان تحرر بولندا بفضل نقابة التضامن هو بداية تحرر كل دول أوروبا الشرقية من الاتحاد السوفيتي.

وفي غير الحركة النقابية، هل نتصور نظاماً أبعد عن السياسة من الجيش الذي يقوم على تقاليد الضبط والربط العسكرية، والاحتفاظ بالولاء للنظام القائم واعتبار الحاكم هو القائد الأعلى للقوات المسلحة.

فقد وجد الجيش نفسه في وقت يتطلب أن يخرج عن إطار الالتزام العسكري ويتزعم الأمة عندما لمس عجز الأمة عن تحقيق مطالبها الوطني لقاء تعنت الحاكم، وهنا تحرك عرابي وتزعم الجيش والشعب وطالب الخديوي بإسقاط الوزارة ووضع دستور يحقق إرادة الأمة في مشهد أصبح من مفاخر التاريخ المصري (٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م).

وكرر التاريخ نفسه مرة أخرى عندما كوّن الضابط جمال عبد الناصر جمعية سرية من الضباط باسم «الضباط الأحرار» وانقض في غفلة من الحاكم حتى ولى الأمر وأرغم الملك فاروق على أن يتنازل عن العرش.. وأعلن الجمهورية.. فهل أخل عبد الناصر بقواعد الضبط والربط والتقاليد العسكرية؟؟!!

يفهم من هذا أنه ما من هيئة تبلغ حجماً وأهمية المستوى القومي حتى يكون عليها أن تقول رأيها في السياسة، ولا تستطيع أن تتجنب ذلك لأنها لا تترك لنفسها، بل يمكن أن لا تبلغ هذا المستوى، ومع هذا تقذف بنفسها في صميم السياسة إذا اقتضت المصالح القومية ذلك، كما في حركة جمال عبد الناصر وضباطه الأحرار.

* * *

قد تقولون إننا لا نقصد السياسة بهذا المعنى، ولكن السياسة بمعنى الحكم، فنقول «إن الإخوان قد أوضحوا في كل كتاباتهم ومواقفهم أنهم لا يستهدفون الحكم، كما تستهدفه الأحزاب، وهم ينظرون إلى الحكم كأداة لتحقيق المبادئ والأهداف التي أمر بها القرآن الكريم في الحكم الرشيد، وأشرنا إليها آنفاً، ومن هنا فإنهم يؤيدون بكل قوة أي حزب يحقق لهم هذا وأنهم سيكونون المؤيدين بلا تحفظ لمثل هذا الحزب.

ومعروف بالطبع أن الوصول إلى الحكم في مصر الليبرالية كان يتم عن طريق تكوّن حزب يسعى لهذا حتى ينال أغلبية الأصوات.

وقد كان في مصر حزب واحد له شرعية شعبية وقانونية هو حزب «الوفد»، وقد انشقت عنه أحزاب مثل حزب «الأمة»، ومثل «الأحرار الدستوريين»، ومثل الحزب «السعدي» وغيرها مما أطلق عليها الوفد أحزاب الأقليات، وكانت تعتمد إما على سراي عابدين حيث الملك أو على قصر الدوبارة حيث العميد البريطاني الذي يسيطر بوجود ثمانين ألف جندي بريطاني في منطقة القتال أو في القاهرة والإسكندرية.

في سنة ١٩٤٦م أصبح الإخوان المسلمين أكبر الهيئات الجماهيرية حتى نافست الوفد على صدارة المجتمع، وكان أسهل شيء عليها أن تؤسس حزبًا وكانت فرصتها في النجاح ستعادل فرصة حزب الوفد. ولكن الإخوان لم يفكروا في ذلك أبدًا.

وكان كل ما استهدفوه ترشيح المرشد في الإسماعيلية مرتين لم ينجحًا.

مع ملاحظة أن الترشيح للبرلمان لا يعد - بالضرورة - مشاركة في الحكم، لأن مجلس النواب هو الهيئة التشريعية، أي التي تصدر القوانين، أما السلطة فإنها تكون ممثلة في السلطة التنفيذية، أي الوزارة أو الحكومة، لم يكن هدف الإخوان من الترشيحات لمجلس النواب إلا أن يكون هناك صوت يدوي في المجلس النيابي ويثبت المبادئ الوطنية دستوريًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا.

ولقد وضح الإمام الشهيد في خلال الصراع ما بين الإخوان والوفد أن يوضح للوفد أن هدفه ليس المزاحمة على السلطة أو أن يرثه فيها في مقال بعنوان «نحن وطنيون.. ولنا سياسيون.. ولا حزيون» فرق فيه ما بين الوطنية والسياسة التي تعترف بالحزب وتستهدف الحكم.

وها هي ذي بعض مقالات نشرت في جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، وهي توضح بجلاء موقف الإخوان من السياسة وتقدم نماذج لهذا الموقف:

نحن وطنيون .. لا سياسيون .. ولا حزيون (*)

أول ما بدأت فكرة الإخوان ودعوتهم في الظهور والتركز، وكان ذلك في سنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨م الميلادية، كان هدفها الأول مقاومة تيار الإلحاد والإباحية التي قذفتنا به أوروبا والتي أخذ كثير من الكتاب والهيئات والحكومات يروج له ويعجب به ويدعو إليه دعوة قوية عنيفة اضطربت لها نفوس الغيورين على ما بقي من تعاليم الإسلام وزلزلت زلزالاً شديداً.

وكانت وسيلة الإخوان إلى هذا المعنى تكوين جبهة من النفوس المؤمنة الفاهمة لتعاليم الإسلام فهماً صحيحاً تعمل على تطبيقه في نفسها وفي كل ما يحيط بها وتدعو إليه غيرها.

* * *

وتقدم الزمن بالدعوة وأهلها فاصطدمت بهذه الأوضاع الفاسدة في طرائق الحكم ووسائله وأساليبه في مصر، ورأت أن الإسلام الحنيف يعتبر الحكم الصالح جزء من تعاليمه ويضع له قواعده ونظمه وأساليبه ووسائله وحدوده وأنه يجعل من واجبات المسلمين أفراداً وجماعات أن يعملوا على إيجاد الحكومة الصالحة، ولهذين السببين: تعذر قيام إصلاح اجتماعي مع وجود حكومات غير صالحة، واعتبار الإسلام العمل لإصلاح الحكم فريضة من فرائضه، لهذين السببين أدخل الإخوان المسلمون في

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد (١٣٩)، الصادر في ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٦م.

برنامجهم العمل لإصلاح الحكم بإقامته على دعائم من توجيه الإسلام، لا العمل للحكم نفسه، وشتان ما بين الوضعين.

وكانت الوسيلة إلى ذلك الكتابة والنصح والمذكرات بعد المذكرات للحكومات المتعاقبة في كل الشئون الحيوية الهامة.

وتقدم الزمن بالدعوة وأهلها مرة أخرى فوجدوا أنه من المستحيل أن تقوم في مصر أو غيرها من الأقطار الإسلامية حكومة صالحة مادام هذا الاستعمار الأجنبي جاثماً على صدر هذه الشعوب، والحكومات تأخذ بمخانتها وتحول بينها وبين الحرية والعزة والكرامة والرقي، كما وجدوا أن الإسلام قد فرض على أبنائه أن يعيشوا أحراراً كراماً، وألا يسمحوا لأحد كائناً من كان أن يدوس أرضهم أو يطأ بلادهم أو يتحكم في شئونهم، وأوجب عليهم حينذاك أن يجاهدوا من حاول هذا معهم بالأنفس والأموال، وجعل الجهاد عليهم في هذه الحالة فريضة عين لا يغني فيها أحد عن أحد ولهذين السببين كذلك: تَعَذَّر قيام حكومة صالحة في ظل الاستعمار، وافترض الإسلام الجهاد في سبيل الحرية على أبنائه، أدخل الإخوان المسلمون في برنامجهم العمل على مقاومة الاستعمار وتحرير أرض الوطن من موبقاته وخبائثه لا ليكون جزاؤهم على هذا وهدفهم من ورائه أن يحتلوا هم مكانه من التحكم والسلطان واقتعاد كراسي الحكم ولكن لتظفر الأمة والحكومة بحريتها وعزتها وكفى، فيقوم فيها حكم صالح يفسح المجال لإصلاح اجتماعي صالح، وكانت وسيلة الإخوان ومازالت في مقاومة الاستعمار تذكير الأمة بمجدها وإذكاء روح الحماسة والقوة في أبنائها ومطالعتها بسوء آثار هذا الاستعباد في مرافق حياتها وإرشادها والعمل معها بكل وسيلة مشروعة في هذا السبيل وحين اشتمل برنامج الإخوان على هذه المعاني كان الإخوان يتمنون أن يعملوا لها وأن يوفقوا إلى تحقيقها، لا لوادي النيل وحده، ولكن في كل قطر من أقطار العروبة والإسلام التي نكبت بمثل ما نكب به هنا الوادي تماماً من الفساد الاجتماعي والفساد الرسمي بفعل هذا الاستعباد الأجنبي، وذلك بحكم أن عقيدة الإخوان الإسلامية تجعلهم يقرون بالأخوة الكاملة لكل مسلم مهما كان وطنه وأرضه، ويحبون الخير لكل إنسان في الأرض، والله يقول لنبيه «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ».

وحين أخذ الإخوان يعملون لتحقيق هذا البرنامج الواسع لم يخطر ببالهم أنهم حزب سياسي، أو أنهم يسلكون سبل الأحزاب السياسية إلى تحقيق هذه الأهداف، كما لم يخطر ببالهم أن يناوئوا حزباً أو يخاصموه أو يحتكوا به لأنهم يرون في دعوتهم متسعاً للجميع، ويرونها أكبر من أن تقف موقف الخصومة الحزبية من أحد.

وحين بدا لهم أن يخوضوا معركة الانتخابات البرلمانية لم يريدوا أن يكون ذلك باسم الهيئة، بل أصدرت الهيئة قراراً بالإذن لمن شاء من الإخوان أن يرشح نفسه بذلك على أن يكون بصفته الشخصية لا بصفته الإخوانية، حرصاً على ألا تقحم الهيئة بصفقتها العامة في خصومة الأحزاب السياسية.

كما لم يريدوا من وراء نجاحهم في هذا الميدان أكثر من أن يعملوا لبرنامجهم بأقرب الوسائل الرسمية، وسيلة التشريع في البرلمان.

ومن كل هذا الذي تقدم يبدو الفرق الواسع بين الوطني والسياسي، فالوطني يعمل لإصلاح الحكم لا الحكم، ولمقاومة المستعمر للحصول على الحرية لا ليرثه في السلطة، ولتركيز منهاج وفكر ودعوة، لا

لتمجيد شخص أو حزب أو هيئة، ولهذا يحرص الإخوان المسلمون على أن يكونوا دائماً وطنيين لا سياسيين ولا حزبيين، ولقد انغمز الإخوان في محيط العمل الوطني وساهموا فيه أعظم المساهمة في الفترة الأخيرة بمناسبة انتهاء الحرب وتحفز الأمم والشعوب للحصول على حقوقها المغصوبة باعتبار أنها الفرصة السانحة التي لا يمكن أن تعوض وأن هذا هو موسم العمل لهذه الناحية بالذات.

وحاولت بعض الهيئات والجرائد والمجلات أن تصور هذا النشاط بأنه خروج من الإخوان عن برنامجهم، وتعرض لما لا يعينهم، وأنه خلط بين الدين والسياسة وفاتهم أنه إذا كان العرف قد جرى في مصر على أن السياسة مهنة لبعض المحترفين، فإنه ليس في الدنيا عرف يحرم الوطنية على المواطنين وأن الوطنية أجمل ما تكون إذا اقترنت بالدين، فحدث إذن عن نتائجها الباهرة ولا حرج.

ومن هنا كان الإخوان يضربون صفحاً عن مقابلة تهجم الأحزاب أو الهيئات عليهم بتهجم مثله، لأن مهمتهم تقويم هذا البناء المعوج لا مجاراته على عوجه.

ومن هنا كذلك كانوا على استعداد كامل دائماً لوضع يدهم في أيدي هيئة تعمل لصالح هذا البلد أو لخير الدين أو الوطن، وكانوا أسبق الناس في ترديد الدعوة إلى الوحدة وضم الجهود، وبخاصة في مثل هذه الظروف التي تقرر فيها مصائر الأمم، وتعرض قضايا الشعوب والأوطان، ولكنهم في هذه الأوضاع كلها سيكونون كما رسموا لأنفسهم ووطنيين فقط، لا سياسيين، ولا حزبيين، والعاقبة للمتقين، «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ».

حسن البناء

* * *

قاتل الله السياسة (*)

قاتل الله السياسة.. التي تضطر الرجل الشريف أن يلف فيرائي ويتناقض ويخادع وينكر الحقائق لواضحة على رؤوس الأشهاد، وهو يعلم أنه ياكلم بصفة رسمية في مجلس يمثل أمة، وأن كلامه سينقل لينشر في كل أرجاء المعمورة، وليقرأه الناس جميعاً مهما تباعدت ديارهم، ومع هذا كله تضطره السياسة أن يقول غير الحق.

وقف لمستتر بيفن في مجلس العموم ليشرح وجهة نظر الحكومة البريطانية في سياستها الخارجية، فأخذ يلف ويدور ويناقض نفسه بنفسه، ويدعي غير الحق، ويعلن ذلك في قوة وجرأة، فيقول بالنص «إن زمن الدخول في محادثات مباشرة بين الدول قد انقضى، وأن أية محادثات أخرى في هذا السبيل يجب أن تكون في مؤتمر دولي يدعى خصيصاً لهذا الغرض»، يقول هذا القول وهو يأبى على مصر أن تتخذ أية خطوة دولية في سبيل قضيتها وتصير الحكومة البريطانية التي يمثلها إصراراً عجيباً على أن يكون بينها وبين مصر محادثات تبدأ بالخادع العجيب، وتنتهي بالغبن الفاحش أو الفشل الذريع.

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد ١٤٨، الصادر في ١ ذو الحجة سنة ١٩٦٥هـ/٢٦ أكتوبر ١٩٤٦م، ص ١.

ويقول المستر بيفن في معرض الحديث عن مطالب روسيا من تركيا «أما فيما يتعلق برغبة روسيا في الحصول على قاعدة في الدردنيل، فإن الحكومة البريطانية قد أوضحت وجهة نظرها، وهي أنه لو حصلت روسيا على هذه القاعدة كان ذلك تدخلاً لا مبرر له في سيادة تركيا التي تصبح خاضعة لنفوذ دولة أجنبية، كما أن في ذلك تدخلاً غير سليم في حقوق الدول الأخرى التي يهملها الأمر»، ثم يقول بعد ذلك «إن الاقتراح القائل بإشراك روسيا وتركيا في الدفاع عن المضائق، اقتراح لا يمكن قبوله، إن الحكومة البريطانية تشعر بأن الحكومة التركية هي التي يجب أن تكون مسؤولة عن الدفاع والإصراف على المضائق، وقد أيدت حكومة الولايات المتحدة وجهة النظر هذه».

والذي يقول هذا الكلام هو الذي يشترط أن تبقى القوات البريطانية على ضفاف القناة في مصر، أو أن تقيد مصر بقيد من فولاذ بإشراكها مع بريطاني في الدفاع، ولا يخجل مع هذا أن يقول «إن ذلك لا يمس سيادة مصر أو استقلالها في شيء، بل هو مما يدعم هذا الاستقلال ويقويه».

ويقدر المستر بيفن أن مفاوضاته مع مصر «تدور لعقد محالفة أساسها وحدة مصالح الدولتين وتشابهها ومبادئ المشاركة والمسؤولية، وأن مما يعوق سعينا إلى الوصول بهذه المفاوضات لنتيجة نهائية، أن في مصر نفسها كثيراً من الصعوبات السياسية الداخلية»، وهو يعلم تمام العلم أن هذه المفاوضات أساسها عند المصريين جميعاً استكمال استقلال وطنهم وتخليصه من كابوس الاحتلال، والتدخل والاستغلال البريطاني الفظيع، وجاء هذه القوات المعتدية على سيادة الدولة وكرامة الأمة، جلاءً تاماً ناجزاً، وتحقيق وحدة وادي النيل التي فرقها بريطانيا بخداعها وفسادها واستنثارها، هذا هو أساس المفاوضات عند أبناء وادي النيل، وقد أعلنوه في كل مناسبة على لسان الحكومة المصرية، وفي بيانات الهيئات والأحزاب والأفراد، وما زالت تفيض به أنهار الصحف في كل صباح ومساءً، فكيف يجروء المستر بيفن بعد ذلك أن يضع هذا الأساس الخاطئ لهذه المفاوضات.

كما أن جنابه يعلم تمام العلم مصدر هذه الصعوبات الداخلية، وأنه لا أساس لها إلا مناورات الحكومة البريطانية، والأعيب السفارة والسفراء في مصر، وما هذه الصعوبات المزعومة لو سلكت بريطانيا سبيل الحق والعدل، ولقد أجمعت مصر على مطالبها وعرفت حقوقها وأعلنتها ولخصتها في كلام سهل بسيط مفهوم هو جلاء القوات البريطانية عن الوادي والاعتراف بوحده، بهذا الحق تجد في مصر من يختلف معها أو مع غيره من المصريين عليه، أنها لن تجد إلى عرفاناً للجميل، وتقديراً له من كل مواطن وصدقة حقيقية على أساس التعاون القلبي الصادق، لا على أساس الرياء السياسي المنافق.

وغريب بعد هذا أن يدعي مستر بيفن «أن بريطانيا لا تريد أن تستغل شعوب الشرق الأوسط أو تضطهدهم، وأنه مازال احترام استقلال هذه الأمم وتأييدها، والعمل على تحسين حالتها جزءاً جوهرياً من السياسة العامة للحكومة البريطانية، وأنه لا توجد دولة أخرى بذلت مجهوداً للمحافظة على الاستقرار والطمأنينة في هذا الاتجاه، ولمساعدة هذه البلاد للسير قدماً في طريق الاستقلال كما فعلت بريطانيا».

ولا ندري لمن يقول المستر بيفن هذا الكلام؟ وإذا لم يكن ما تفعله بريطانيا بهذه الشعوب هو الاستغلال بعينه؟ فأين الاستغلال إذن؟ وإذا لم تكن بريطانيا هي المعتدية على استقلال هذه البلاد، وهي التي كبلتها ومازالت تكبلها بالقيود والأصفاد وتحول بينها وبين كل رقي أو تقدم أو استعادة لقوتها وحريتها وكرامتها؟ فمن المعتدي الجاثم على صدر وادي النيل الآخذ بمخائق العراق، المستأثر بخيرات الهند، المثير للقلق في ربوع إيران، وغذا لم تكن بريطانيا هي التي أقضت مضاجع العرب بجلبها هذا الجيش العرمرم من الصهيونيين من كل مكان وتسليحهم وتدريبهم وحمايتهم واستخدامهم وحملهم على رقاب العرب وأطماعهم فيما لا يملكون ولا يستطيعون، مما أذهب أمن العالم العربي والإسلامي كله وأقلقه وأفسده وأثار مخاوفه في كل مكان، وهدد السلام، وأنذر بالشر المستطير، إذا لم تكن بريطانيا هي التي فعلت هذا بالعرب ودول الإسلام.. فمن إذن؟

ألا قاتل الله السياسة التي تجعل من الرجل الشريف مخادعاً دولياً، ومرائياً رسمياً، وفي أدق المواقف وأحرج الساعات.

وأنتم أيها المصريون والعرب والمسلمون في كل مكان.. هذا هو منطق بريطانيا الرسمي، إنكار للحقائق، وقلب للأوضاع، فلم يبق إلا أن تعملوا، فاعملوا جاهدين، والله معكم ولن يترككم أعمالكم.
حسن البناء

* * *

بين قوانين الحرية.. وقيود الاستبداد(*)

كان طبيعياً وقد احتل الإنجليز هذا الوطن بالخلل والخداع، وأخذوا يوطدون أقدامهم في أرضه بالمكر والدهاء تارة، وبالفريق وبذر بذور الخلاف تارة أخرى، والعنف والقسوة مرة ثالثة، أن يضعوا لأهليه وأبنائه ومجاهديه وأحراره القيود والأغلال يسمونها قوانين محتمة الطاعة واجبة النفاذ، حتى يحيطوا أنفسهم وصنائعهم بلون من ألوان الحماية ظاهرة فيه الرحمة وتتوفر فيه الشكلية القانونية، وباطنه فيه العذاب وتخفى وراءه المظالم الوحشية، ومن أقر على هذا منهم، وقد برعوا في هذا الفن وطبقوه في كل قطر ووطن؟

وأظهر مثل ذلك: قوانين التجمهر، وقوانين منع الاجتماع، وما يلحق بذلك من قوانين كبت الشعور الوطني ومصادرة الحريات.

وإذا أضيف إلى ذلك سوء الاستعمال وقسوة التطبيق وتغلغل هذه المعاني في كل النظم والأوضاع، رأينا مبلغ ما تجر هذه السطور القليلة علة كيان الأمة من ضعف وانهايار.

إن الحرية أيها الناس هي الإنسانية، ولا إنسانية غيرها، فلن يكون الإنسان إنساناً إلا إذا كان حراً، يشعر أنه يستطيع أن يعبر عن خوالج نفسه، وأن يفعل ما يشاء - مادام ذلك لا يؤذي الآخرين -

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد ١٤٠، الصادر في ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٦٥هـ/ ١٦ أكتوبر ١٩٤٦م، ص ١.

وهى أم الفضائل جميعاً، ففي ظل الحرية تنمو الشخصية الكاملة، ويتزعرع الصدق والشجاعة والنجدة، والإباء وحب العدل والنصفة وإغاثة المكومين وحمل الكل والإغاثة على نواب الحق.

ومصادرة الحرية قضاء الإعدام الأدبي، وتحطم لكل مقومات الإنسانية ومشخصات الأفراد والأمم، ولن تجد الرذيلة مرتعها الخصب إلا ظل الاستبعاد والاستبداد والكبت، فالكذب والخداع والرياء والنفاق والجبن والمهانة والنفيسة وإيثار المصالح الدنيا على المصالح العليا، كل هذه جرائم ومكروبات لا تفوخ ولا تنمو إلا في هذا المرتع الوخيم.

والقانون لا يكون قانوناً إلا حين ينظم مصالح الذين يوضع لهم ويكمل حريتهم ويحقق لهم مطالب الإنسانية الكاملة الضرورية، فإذا جاوز ذلك إلى الإخلال بطمأنيتهم وراحة أنفسهم ومصادر حريتهم، كان قيدياً لا قانوناً، مهما تلمس له الحاكمون من الأسانيد الفقهية والشكليات التشريعية ويكون مصيره ولاشك أن يحطم بثورة جامحة لا يستطيع أحد أن يمكس بخطامها أو يقودها بزمامها، وكل التاريخ شواهد على ذلك، ومن هنا جاء في رأس قائمة الإصلاحات الاجتماعية والقواعد التي يريد زعماء العالم أن يشيدوا عليها النظام الجديد كفالة الحريات وحقوق الأفراد والأمم، وأفلحوا إن صدقوا.

ولقد قيل إننا انتقلنا من عهد الاحتلال إلى عهد الاستقلال ولو إلى درجة ما، والواقع يعطينا كل يوم الدليل بعد الدليل على أننا مازلنا نعيش بعد بالعقلية الاحتلالية القديمة، وفي محيط أوضاعها الفاسدة، ولا ندري إلى متى يظل هذا الحال !

إننا نريد أن نغرس بذور الاستقلال في نفوسنا، ثم نتعهدنا بالسقي الدائب بماء الحرية والكرامة، وذلك يقتضي حتماً أن تحطم هذه القيود التي تصدر الشعور والحريات باسم قوانين حماية الأمن والنظام، ولا ندري هل سيدرك الساسة والحكام هذه الحقائق ويبادرون بالأخذ بها، أم سيظلون على ضلالهم القديم، وإن: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ».

حسن البنا

خطاب مفتوح^(*)

من المرشد العام للإخوان المسلمين.
إلى دولة صدقي باشا

حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة المصرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،وبعد،،،

ففي هذه الساعات التي تبرح فيها أرض الوطن، أبعث إلى دولتك بهذا الخطاب للذكري، والذكري تنفع المؤمنين، والدين النصيحة وعلم الله يا دولة الباشا إننا رغم سخطنا الشديد على الاستمرار في

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد ١٤١، الصادر في ٢٢ ذو القعدة ١٣٦٥هـ/ ١٧ أكتوبر ١٩٤٦م، ص ٢.

المفاوضة، واحتجاجنا البالغ على سفرك إلى لندن، واقتناعنا بأن هذه المحاولات لن تفيد الوطن شيئاً – رغم هذا كله – نسأل الله أن يوفقك وأن يكتب لك النجاح في تحقيق مطالب البلاد كاملة غير منقوصة، فكل الذي نحرص عليه أن يصل الوطن إلى حقه، وليس يعنين في كثير ولا قليل على يد من كان هذا الوصول.

ونود أن تذكر دائماً هذه الحقائق، ففي تذكرها عظة وعبرة، فتذكر يا باشا أن الأمة قد لخصت مطالبها في كلمتين: «الجلء التام ووحدة وادى النيل»، فلن ترضى بأقل من ذلك، ولن توافق على أي صيغة أو صورة فيها إلتواء أو إرجاء.

وتذكر يا باشا أن شعب وادى النيل الأبي لا يمكن أن يسلم لأحد – كائناً من كان – بأن يربط مصيره وحياته واستقلاله بمشاكل الإمبراطورية البريطانية التي لا تنتهي.

وهو لهذا يرفض بكل شدة كل مخالفة عسكرية أو لجنة دفاع مشترك كما أنه لا يرضى بحال بأية معاهدة في ظل الاحتلال والاكراه، ولن يتفقد بشيء مما تتفقون عليه حتى تؤخذ فيه كلمته، وتتضح إرادته في من غير تزييف ولا إكراه.

وتذكر يا باشا أن هذا الشعب اليوم غيره بالأمس، فقد تنبه حسه، وتم وعيه، وأدرك الأمور على وجهها، فلم يعد يخدعه تضليل الزعماء، أو ترهبه صولة الحكام والرؤساء، وقد عاهد الله أن يعيش لحريته، أو يموت كريماً دونها، موت الأباء الشهداء !

وتذكر يا باشا أن انجلترا اليوم غيرها بالأمس كذلك، وأن الظروف الدولية المواتية لتحقيق مطالبنا كل المواتية، وأن هذه الفرصة السانحة لا يمكن أن تعوض، فلا تضع الوقت سدى، فالوقت أمضى من السيف.

وتذكر يا باشا أن عودة في ظلال الإباء والشرف، وقد استمسكت بحالات البلاد فلم تفرط فيها، أكرم وأعز وأنبى من معاهدة لا تتفق مع مطالب الأمة، توقعها وتمضيها.

وتذكر يا باشا لحظات الشعب الأخيرة قبيل سفرك، وقد أعلن عن إرادته قوية داوية على لسان هيئاته وجماعته في الصحف والمجلات، فأتق الله يا باشا في هذه النفوس العزيزة التي ورثت ذخائر المجد، وأقسمت أن تحيا لها وتموت في سبيلها.

ألهمنا الله وإياك الرشيد وهدانا جميعاً سواء السبيل.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته،،،

حسن البنا

* * *

فهذه المقالات كلها توضح أن الإخوان عندما يستخدمون كلمة السياسة فإنهم لا يطلبون الحكم، ولكنهم يعالجون القضية التي تسيطر على المجتمع وتسيره وتحدد مصيره مما لا يسع أي مواطن – دع عنك هيئة عامة – أن يتجاهلها أو يتخلى عنها، كما أنها تتضح بالمطالبة بالحرية وتندد بالاستبداد.

الفصل الخامس النظام الخاص

أعطى مؤلف المسلسل انطباعاً أن الإخوان لاذوا بطرق العنف والاعتيالات، وأنهم أسسوا «النظام الخاص» لذلك.

لفهم النظام الخاص يجب أن نعود إلى الوراء.

إن مصر الليبرالية كان لها مزايا كبيرة، ولكن لم يكن من هذه المزايا بث القوة والالتزام في نفوس الشباب وتربيتهم تربية رياضية، وكان الجيش وهو رمز الضبط والربط جيش «زفة» تظهر في مناسبات مثل عيد ميلاد الملك أو تولية العرش، ولكنه لا يضم جنوداً دربوا للقتال بالفعل.

أراد الإمام الشهيد أن يربي الشباب تربية جادة رشيدة تضم قوة الجسم وقوة الروح فأخذ بنظام الجواله، والجواله هي المرحلة التالية للكشافة للكشافة للصغار والجواله للكبار، وكانت الجواله تضم التنشئة الرياضية التي تقوي الجسم وتجعله يتحمل الشدائد، وهي نظام مشروع تأخذ به الدولة، وهذا ما يوضح بُعد نظر الإمام الشهيد، فإنه لم يؤخذ بفكرة «القمصان» التي جاءتنا من أوروبا بعد ظهور الهتلرية والفاشية، وارتداء أعضائها لقمصان لها لون خاص وانتقلت العدوى إلى حزب «مصر الفتاة» وإلى حزب «الوفد» العتيق، ولكن الإخوان رفضوا الفكرة، وأخذ بنظام الجواله، وأقلعت الأحزاب مصر الفتاة والوفد بعد ذلك عن قمصانهم لأن هذا كان مجرد تقليد.

كان الإخوان هم الهيئة الوحيدة التي يمكن أن تقنع شيخاً في الصعيد بأن يلبس زي الجواله وبنطلونها القصير، وأن تقوم بتمارينها من القفز على الحواجز أو الجري.. إلخ.

ومن بين هذه الجواله اختار الإخوان العناصر الممتازة وكونوا منهم «النظام الخاص».

وقد تكون النظام الخاص في أوثق الأقوال سنة ١٩٤٠م، وكان يضم صالح عشاوي وحسين كمال الدين ومحمود عبد الحليم وحامد شريت وعبد العزيز أحمد وكان رئيسه المباشر هو محمود عبد الحليم ولما نقل إلى الإسكندرية ولي الرئاسة المباشرة عبد الرحمن السندي.

كان الغرض الرئيسي من تكوين النظام الخاص أمرين:

الأول: قضية فلسطين التي بدأت مع الإخوان من سنة ١٩٣٨م عندما نشر الأستاذ الينا مقاله المشهور «صناعة الموت» بمناسبة إعلان المفتي – السيد أمين الحسيني – المقاومة ضد الصهيونيين الذين بدأوا في إعداد لإقامة دولة فلسطينية، ولم يكن يسع الإخوان – للعوامل التي سنشير إليها – السكوت، أو الوقوف موقفاً سلبياً.

الثاني: قضية الاستقلال التي لا بد لها من قوة - على الأقل تدعم المفاوضات - ويمكن اللواذ بها عند فشلها، وكان للجيش البريطاني ثمانون ألف جندي معظمهم في منطقة قنال السويس، كما كان لهم معسكر كبير في ميدان التحرير ووفود في القلعة وفي مختلف الممدن، وكان لا بد أن سيأتي يوم الكفاح، ولا بد من الاستعداد المسبق له.

وكانت قضية فلسطين من الناحية الزمنية هي السابقة، والتي كان على الإخوان أن يقوموا بدور عملي وحاسم فيها خلال بضعة سنوات من تكوين النظام، بينما تأخرت قضية الكفاح ضد الاحتلال إلى الخمسينات.

وفيما بين هذين، أدى إعلان الأحكام العرفية وكبت الحريات إلى حدوث صدام في الداخل ما بين الإخوان والسلطة التي حكمت بروح ووسائل الحكم العرفي واضطرار الإخوان إلى اللواذ بصور من العنف كانت كانت غريبة على منهجهم، ولكن فرضتها الظروف.

وفيما سيلي من فصول سنعالج الجهاد في فلسطين، والعنف الذي حدث عام ١٩٤٨م، ووصل إلى قمته في اغتيال النقراشي في ٢٨ ديسمبر، وفي اغتيال حسن البنا في ١٢/١٢/١٩٤٩م.

* * *

الإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ

دور الإخوان المسلمين في فلسطين

كان الإخوان المسلمون هم أول من تنبه إلى خطورة التدخل الإسرائيلي في فلسطين والعمل على الاستحواز عليها، كانوا مسوقين إلى ذلك بتاريخ إسلامي طويل عن الحرب التي يشنها اليهود على الإسلام، كما كانوا بتأثير سلفيتهم يلحقون المسجد الأقصى بالكعبة في مكة، وبمسجد الرسول ويرونه ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

لم أكن من المتحمسين بوجه خاص لهذا المنطلق، وإن لم أرفضه لأن له أصله التاريخي، وكان يهمني كوطني مصري أن تؤمن حدود بلادي، وكان من البديهيات لكل رجل دولة مصري أن يعمل لأن تكون المداخل التي دخل منها الغزاة مؤمنة، من هنا فإن قضية فلسطين هي أولاً - وبالقدر الأعظم - قضية أمن قومي، والمفروض أن لا ينام رجل دولة مصري إلا بعد أن يؤمن حدوده، ومن المؤكد أن يكون من أعظم اهتماماته أن يحول دون أن تحتل حدوده دولة عدوانية، غريبة على المنطقة، زرعتها الاستعمار ليحول دون وحدته، ولتكون «سفير» القوى الأوروبية والأمريكية المعين في تحقيق سياستها التي أجهضت نهضة محمد علي، وقضت على قومة عرابي، وحالت بكل الطرق أن تكون مصر دولة عظمى تقود العرب والشرق.

من سوء حظ مصر أنها لم ترزق سياسيين مثل بسمارك في ألمانيا أو كافور في إيطاليا يعمل لتحقيق وحدة دولته ويؤمن حدودها، لقد كان قادة مصر من الساسة الحزبيين الذين قال واحد منهم «أنا رئيس مصر وليس رئيس فلسطين»، ولا يرون إلا المصلحة الحزبية الرخيصة، والحكم والسيطرة، ومنح الوظائف والألقاب للأنصار، والتقرب من المحتل وتملق الملك.

من أجل هذا كان إيمان الإخوان أهدي سبيلاً، وهو فعلاً ما يتسق مع السياسات العليا لكل دولة، عندما تصدوا من سنة ١٩٣٨م لقضية فلسطين، عندما نشرت «الندير» صورة لمفتي فلسطين في أعقاب الإضراب العام لفلسطين عام ١٩٣٦م، وكان يكتب الأستاذ البنا مقالته المشهورة «صناعة الموت»، وتوثقت العلاقات ما بين السيد أمين الحسيني عندما قدم القاهرة بمسعى كان للإخوان نصيب فيه، وكانت كلمة المفتي «إن فلسطين لا تريد رجالاً، ولكن تريد سلاحاً»، ومن هنا تركز الجهد حول توفير السلاح للمقاومة الفلسطينية، وتوصل الإخوان بجهود المفتي وتدخل الأستاذ عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية وهو صديق للإمام الشهيد وللمفتي، لأن تسمح الحكومة للإخوان بأن تجمع السلاح وتقدمه للمقاومة الفلسطينية عن طريق السيد أمين الحسيني وكلف الإمام البنا شعبة الإسماعيلية وشعبة الإسكندرية للبحث عن السلاح من مخلفات الحرب العالمية الثانية وكانت في صحراء الإسكندرية أو من معسكرات الجيش البريطاني في قنال السويس، ونجح الإخوان في ذلك، وهذا هو أحد أسرار استحواز

الإخوان على السلاح، فإن الضابطان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قدما للإخوان سلاحًا يملأ
عربة سكة حديد، واستلمه الإخوان وضموه إلى ترسانتهم التي كانت كما سنرى لتزويد الفدائيين (وهذه
الواقعة هي ما ذكرها جمال عبد الناصر شخصيًا لوفد أسرة البنا عندما زارته لشكره على القبض على
قتلة الإمام الشهيد في الأيام الأولى للحركة، وقد سمعتها منه بأذني).

لم يقصر عمل الإخوان على ذلك، لقد يسروا أيضًا المادة المطبوعة للمقاومة، فكانت مطبوعة
الإخوان التي كان موقعها وقتئذ في حارة متفرعة من شارع الخليج حارة أبو الحسن الشوشتري بالقرب
من «بلاشي اللي اتحرق»، كما نقول وقتئذ للإرشاد على مكانها، وكنت أتولى إدارتها وكنا نفتحها بالليل
لنبدأ في طبع منشورات المقاومة، واذكر منها «النار والدمار في فلسطين» وغيرها، وفي الصباح يأتي
مندوب السيد أمين الحسيني ليتسلم المطبوعات.

وعندما أزفت الأزمة، وأعلنت قيام إسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م، كان الإخوان على استعداد
لها فأخذوا يوفدون مجموعات من الفدائيين الذين كانوا يعملون بالتعاون مع الصاغ أحمد عبد العزيز
وغيره، وأثبت الإخوان بطولات وقدموا شهداء.

ومن حسن الحظ أننا في سنة ١٩٥١م وثقنا أقوال كبار الشهود في قضية «سيارة الجيب» ونشرناها
في رسالة صدرت باسم دار الفكر الإسلامي «أقوال كبار الشهود وحوادث التعذيب»، وسندرج هنا ما
يتعلق بجهد الإخوان في فلسطين من واقع شهادة كبار الشهود:

- ١ -

شهادة سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين



السيد أمين الحسيني يدلي بشهادته أمام المحكمة

قالت مجلة المصور: حينما دعت المحكمة للشهادة لم يناده الحاجب بصوته الجمهوري، بل ذهب إليه بعض رجال البوليس وجيء له بكرسي فجلس في حرم المحكمة، وكان يتكلم بصوت خافت، وبهدوء شديد).

س: هل كان لجماعة الإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين؟

ج: نعم كان للإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين منذ البدء وقاموا بدعاية لها ثم شاركوا بأنفسهم في سنة ١٩٣٦م أثناء الجهاد هناك وجمعوا أسلحة وذخيرة وذهب فريق منهم إلى الجهاد هناك واستمروا على ذلك يعنون بهذه القضية ويخدمونها بأنفسهم وبجهودهم وبكل ما يستطيعون حتى النهاية.

س: هل كان رجال الهيئة العربية كالمرحوم عبد القادر الحسيني أو غيره يستعينون ببعض الإخوان في جمع الأسلحة وشرائها؟

ج: نعم كان عبد القادر الحسيني بك وغيره يستعينون بالإخوان المسلمين في شراء الأسلحة والذخيرة ويدفعون ثمن هذه الأسلحة.

س: هل تعرف أن من بينهم محمود الصباغ؟

ج : نعم قد كان أحد الذين كلفوا من قبل عبد القادر بك الحسيني وغيره لشراء الأسلحة وأعرف أنه اشترى صفقات بلغت نحو ثلاثة آلاف جنيه وأنه اشترى بها فعلا أسلحة وسلمها إلى المنوط بهم استلامها من الهيئة.

س: هل كان الإخوان المسلمون في أول جهادهم على صلة بعبد القادر الحسيني بك قبل دخول الجيوش النظامية ؟

ج : نعم كان لهم به صلة وحارب فريق منهم معه وبعضهم استشهد في معركة القسطل.

س: وهل استمروا يجاهدون بعد دخول الجيوش العربية ؟

ج : نعم.

س: هل ظلت الهيئة العربية تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش العربية ؟

ج : نعم ظلت تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش كذلك الإخوان وأذكر حادثة قد يكون لها أهمية في هذا الموضوع وهي أن المرحوم الشيخ حسن البنا زارني بعد الهدنة الأولى، وقال لي ما يدل على قلقه مما ظهر في بعض الجيوش العربية من التخاذل ومما لمس من الدسائس التي ترمي إلى هدم قضية فلسطين وتسليم فلسطين إلى اليهود بدون حرب «وهنا قال سماحته إنه لا فرق بين إيهود والصهيونيين»، وقال لي أنه يشعر بقلق شديد مما لمس من هذا التخاذل والدسائس ولذلك فقد فكر في أنه سيرسل نحو عشرة آلاف من الإخوان المسلمين ليشاركوا مع المجاهدين في فلسطين وقال لي أنه سيعرض الأمر على المختصين والحكومة المصرية لتموينهم وتسليحهم وإذا تعذر تسليحهم بسبب قلة السلاح فإنه سيطلب إلى جميع الشعب لتجهز كل شعبة متطوعيا بسلاح تشتريه بحيث يتسلح عشرة آلاف وكان مصمماً على هذه الفكرة وأعتقد أنه طلب إلى هذه الشعب أن تجمع الأسلحة وأخذ في تنفيذ هذه الخطة، ولكن لا أدري كم استطاع أن يرسل منهم في ذلك الحين، وهذا يدل على أنهم كانوا يشترون الأسلحة حتى بعد دخول الجيوش النظامية وذلك بسبب خيبة الآمال في بعض الجيوش العربية.

س: متى حصل هذا الحديث ؟

ج : بعد الهدنة الأولى بأيام قليلة وبعد أن ظهر التخاذل وهذه المؤامرات.

س: ومتى كانت الهدنة الأولى ؟

ج : الهدنة الأولى كانت في ١١ يونيو والجيوش العربية دخلت فلسطين في ١٥ مايو أي بعد ٢١ يوماً من دخولها.

س: إلى أي تاريخ ظلت الهيئة العربية ترسل أسلحة إلى فلسطين ؟

ج : استمرت حسب ما أذكر ترسل الأسلحة إلى آخر سنة ١٩٤٨م وأظن أن آخر دفعة أرسلتها كانت في اليوم العاشر أو الحادي عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨م.

س: وهل تعرف من أين جمعت ؟

ج : أكثرها من الصحراء الغربية وبعضها من القطر المصري.

من الحكمة:

س: وهل كانت الهيئة العربية تأخذ تصاريح لنقل هذه الأسلحة ؟

ج : نعم كانت تأخذ تصاريح من الحكومة المصرية.

س: هل استولت الحكومة المصرية على أسلحة من مخازن الهيئة العربية ؟

ج : نعم.. حول ٤ أغسطس استولت الحكومة على أسلحة وذخائر من مخازن الهيئة العربية في حلمية الزيتون وفي المرج، وكان للهيئة مخازن متعددة في الزيتون وفي المرج ولها مصانع وكذلك استولت الحكومة على بعض مخازن بمرسي مطروح.

س: ولماذا استولت الحكومة على هذه الأسلحة ؟

ج : لا أدري تماماً ما هي الأسباب وإنما المرحوم النقراشي باشا عندما كلمته في هذا الشأن قال لي إن هذا أمر بسيط ونحن سننقل لكم الأسلحة إلى الحدود وأمر بنقلها إلى العريش وإلى الحدود ولكنها لم تسلك إلينا ولا أعلم إلى الآن مصيرها.

س: وكيف جمعتم أسلحة بعد ذلك ؟

ج : بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاثة سمح لنا بجمع الأسلحة مرة أخرى.

س: وهل كانت مقابلتك للنقراشي باشا قبل التصريح أو بعده ؟

ج : أنا قابلته في أواخر شهر أغسطس على ما أذكر في الإسكندرية أنا وعزام باشا، وقال سترسل لكم الأسلحة وبعد هذه المقابلة بنحو أسبوعين سمحت الحكومة بالجمع وعندما صادرت الأسلحة واستولت عليها لم تبلغنا أن جمع الأسلحة ممنوع ولم نمنع من جمع الأسلحة بعد المصادرة.

س: ومعنى هذا أن هذه المصادرة لم تكن تقيد المنع ؟

ج : لا.

س: هل استولت الحكومة من مخازن الهيئة العربية على أشياء أخرى خلاف الأسلحة وأسلالك ومهمات ؟

ج : كان للهيئة في العريش ورفع بعض ملابس وخيم ومهمات وأحذية وخلافه أيضاً أخذته برسم أمانة ولم ترد هذه الأمانة.

س: هل كان بعض أهل القرى من فلسطين يفدون إلى مصر لجمع أسلحة ؟

ج : نعم كانوا يحضرون ويراجعون الهيئة العربية من أجل أخذ رخصة، فكنا نأتي لهم بالرخص من هيئة وادي النيل التي كان منوطاً بها أن تعطي رخصاً وكانوا يلجأون إلى الهيئة العربية لجمع أسلحة أو يلجأون للإخوان المسلمين أو يشترون مباشرة.

س: هل تذكر تاريخ آخر تصريح للهيئة العربية بجمع سلاح ؟

ج : أظن حوالى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨م وهي آخر دفعة تسلمها الدكتور داود الحسيني.

س: هل كان ضمن الأسلحة أشياء أخرى ترسلونها إلى فلسطين ؟

ج : كل شيء من أسلحة وذخيرة ولاسلكي وقنابل وسيارات وخلافه.

س: باعتباركم كنتم على صلة بالإخوان فهل تستطيعون أن تذكروا شيئاً عن أهداف الجماعة ووسائلها، وهل من بين هذه الوسائل اتخاذ العنف والإرهاب ؟

ج : أعتقد أن الإخوان المسلمين هيئة إسلامية تعتنق المبادئ الإسلامية وتحمل دعوتها وتعمل لخير المسلمين ونفعهم وتعمل على إنشاء جيل مصلح يعمل بمبادئ الإسلام وأخلاقه، وهذا ما أعرفه عن الإخوان المسلمين وأعرف أن أهداف المرحوم الشيخ حسن البنا والإخوان كانت لمصلحة المسلمين خاصة ولخيرهم ولإنقاذهم مما هم فيه من ذل وبلاء ولا أعتقد أنها تعمل أي شيء يخالف الشرع من العنف والقتل والإرهاب.

س: هل تعتقد أن الاعتماد على الحكومات كاف وحده لإنقاذ فلسطين ؟

ج : الخطة التي كنت أعتقدتها ولازلت، وهي الخطة التي قررتها اللجنة العسكرية المختصة في أكتوبر ١٩٤٧م عند اجتماع اللجنة العربية في «عالية» بלבنا كانت التعويل على أهل فلسطين في الدفاع عن بلادهم على أن تجهيزهم البلاد العربية أو الدول العربية وتدريبهم وتحصن قراهم أي أن تضعهم في نفس الوضع الذي فيه الصهيونيون من حيث التحصين ثم المتطوعون ثم تقف الجيوش على الحدود دون أن تدخل وكانت هذه هي الخطة المثلى، ولكن حدث بعد ذلك وبعد أن شرع في تسليح أهل فلسطين تنفيذاً لهذه الخطة أن قدمت إحدى الدول الأجنبية^(١) مذكرة تحتج فيها على هذه الخطة وبذلك وقف التسليح والتدريب وبذلك عدل عن هذه الخطة المثلى لأن غرض أعداء قضية فلسطين كان أبعاد العناصر المؤمنة والمستميتة في القتال ولأن العقيدة اليهودية والعقيدة العربية عقيدتان متعارضتان فكان الإيمان والعقيدة أول سلاح في هذه المعركة ولهذا كان جهاد الأعداء أبعاد العناصر المقتردة والمؤمنة والمستميتة عن ميدان القتال وأهل فلسطين كانوا أكثر إيماناً واستماتة في الدفاع عن بلادهم وكذلك العناصر المؤمنة بقضية فلسطين مثل الإخوان وغيرهم من المتطوعين وهؤلاء قصد إبعادهم عن الميدان ولا يبقى في البلاد إلا إلىهود وبدأت السياسة تلعب دورها والمجال لا يتسع كثيراً لشرح أساليب السياسة التي اتبعت في فلسطين.

س: هل كنتم أفضيتم للشيخ حسن البنا بهذه الخطة المثلى التي كنتم اتفقتم عليها لإنقاذ فلسطين ؟

ج : لا أذكر إذا كنت قد قلت له هذا أو لم أقله ولكنني كلمت كل مسئول وقدمت مذكرات.

(١) ليتأمل ذلك الذين يعتقدون أن الدول الأجنبية لا تتدخل في الشؤون الداخلية ! فهذا تدخل يهدم الخطة العسكرية الأساسية لحرب فلسطين.

من حضرة ممثل النيابة:

س: لما استولت الحكومة على أسلحة الهيئة العربية.. وقابلت النقراشي باشا بشأنها.. هل فهمت منه الأسباب التي دعت إلى الاستيلاء عليها؟

ج: لم أفهم منه حقيقة الأسباب و إنما أذكر أنه قال لي أن هذه التدابير اتخذت هنا ولم تتخذ ضدكم وستسلم لكم كل الأسلحة عند الحدود.

س: ألم تفهموا من حديث النقراشي باشا أن الأسباب هي الخوف من تسرب السلاح واستعماله في حوادث داخلية بمصر؟

ج: لا لم يذكر لي شيئاً من هذا.

س: هل تذكرون أن أسلحة صدرت من ميناء أخرى خلاف مرسى مطروح؟

ج: من بور سعيد.

**(وعند انصراف سماحته حياه الإخوان في قفص الاتهام بالهتافات:
دماؤنا فداء فلسطين.. فلسطين عربية وستعود عربية)**

* * *

شهادة سعادة اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين



السيد اللواء أحمد فؤاد صادق باشا يدلي بشهادته أمام المحكمة

س: نريد أن نعرف رأي سعادتكم بصفقتكم قائد عام لحملة فلسطين عن موقف الإخوان المتطوعين في هذه الحرب وفي ميدانها ؟

ج : كانوا جنود أبطال أدوا واجبههم على أحسن ما يكون.

س: هل يسمح الباشا أن يذكر لنا وقائع معينة تدل على البطولة ؟

ج: نعم سمعت بعد وصولي لرئاسة القوات من قلم المخابرات العسكرية أن اليهود يبحثوا دائماً عن مواقع الإخوان ليتجنبوها في هجومهم فبحثت عن حالتهم من الناحية الفنية وأمرت بتمرينهم أسوة بالجنود ودخلوا مدارس التدريب وأصبح يمكن الاعتماد عليهم في كثير من الأحوال التي تستدعي بطولة خاصة، مثلاً أرسلتهم من دير البلح إلى ما يقرب من ١٠٠ كيلو إلى الجنوب لملاقاة الهجوم الإسرائيلي على العريش فاستبسلوا وأدوا واجبههم تماماً، واشتركوا أيضاً في حملة للدفاع عن موقع ٨٦ في دير البلح وأعطيتهم واجباً من الواجبات الخطرة فكانوا في كل مرة يقومون بأعمالهم ببطولة استحقوا من أجلها أن أكتب لرياسة مصر أطلب لهم مكافأة بنياشين وذكر بعضهم للشجاعة في الميدان وبعضهم ذكر اسمه في الأوامر العسكرية واتصلت بالحكومة في ذلك الوقت وطلبت منها مساعدة هؤلاء بأن يعطوهم أعمال عندما يعودوا ويعاونوا أسرهم والحكومة ردت ووافقت وأرسلت تأخذ معلومات عنهم وكان ده تكريم الحكومة لهم.

س: هل نفذت الحكومة هذا الوعد ؟

ج : ما أعرفش ولكن عندما طلب مني اعتقالهم رفضت ووضعتهم تحت حراستي الخاصة.

س: في أي تاريخ أرسل الباشا الإخوان ليحموا العريش؟

ج : في المدة من ٢٦ ديسمبر إلى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨.

س: أمر حل الإخوان صدر في ٨ ديسمبر وتقرر سعادتكم أنكم أرسلتم هؤلاء المتطوعين في ٢٦ ديسمبر

إلى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩م فماذا كانت الروح المعنوية بعد أمر الحل؟

ج : أنا جاوبت على كده وقلت أنهم قاتلوا ببسالة ولم يؤثر قرار الحل على روحهم المعنوية.

س: ما هو الدور الخطر الذي قام به المتطوعون في دير البلح؟

ج : قلت أنهم قاتلوا قتالاً مجيداً وعندما رأيت الخطر في المعركة فاعتمادي عليهم جعلني أقدم المتطوعين

من الإخوان لأنهم أحسن ما لدي من الجنود.

س: حين صدر أمر الحل للجماعة هل أخطرت به من القاهرة؟

ج : كل الناس عرفت ولم يكن هناك سبب لإخطار خاص وأنا عرفت من الرئاسة بالتليفون ومن الجرائد.

س: ما هي الشروط الواجبة في رجل حرب العصابات؟

ج : يكون فدائياً وعلى بطولة كاملة، وإمام ببعض العمليات العسكرية كنسف الطرق ووضع ألغام في

طرق العربات – مهاجمة – كمين.. الخ.

س: هل زرت معسكر الإخوان المسلمين بفلسطين؟

ج : كثيراً.

س: هل تذكر الأسلحة التي كانت مع هؤلاء المتطوعين؟

ج : أنا أعطيتهم أسلحة لمقابلة العدو وذلك تكلمة لسلاحهم.

س: كيف وقع اعتقالهم؟

ج : لسبب من عملهم أنفسهم. وحتى لا يساء فهم ذلك. أقول إنهم طلبوا مني بعد أن بلغهم حادث المرشد

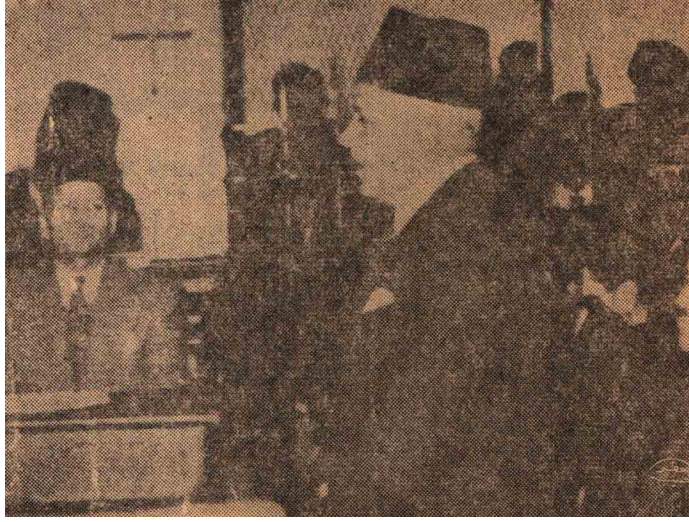
إقامة حفلة تأبين للأستاذ البنا فأنا قلت إنني لم أعمل حفلة تأبين للنقراشي وأنا هنا جندي ولا أسمح

لأحد أن يشتغل بالسياسة فثاروا لهذا فأنا وضعتهم في شبه معتقل وعملوا معاملة كريمة لأنني

اعتبرتهم زملاء ميدان.

* * *

شهادة سعادة اللواء أحمد على المواوي بك قائد عام حملة فلسطين



السيد اللواء أحمد على المواوي بك قائد عام حملة فلسطين
يدلي بشهادته أمام المحكمة

س: عند دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين بقيادتكم هل كان يقاتل فيها متطوعون من الإخوان المسلمين؟

ج : نعم لأنهم سبقوا بدخولهم القوات النظامية.

س: من كان من المتطوعين في معسكر البريج؟

ج : كان فيه المتطوعون من الإخوان المسلمين.

س: هل استعان الجيش النظامي ببعض الإخوان المسلمين لبعض العمليات الحربية أثناء الحرب كطلائع ودوريات.. وما إلى ذلك؟

ج : نعم.. استعنا بالإخوان المسلمين واستخدمناهم كقوة حقيقية تعمل على جانبنا الأيمن في الناحية الشرقية وقد اشترك هؤلاء المتطوعون من الإخوان في كثير من المواقع أثناء الحرب في فلسطين وبالطبع أننا ننتفع بمثل هؤلاء في مثل هذه الظروف.

س: ما مدي الروح المعنوية بين الإخوان المسلمين؟

ج : الواقع أن كل المتطوعين من إخوان وغيرهم كانت روحهم المعنوية قوية جدا وقوية للغاية.

س: هل قام المتطوعون بعمليات نسف في صحراء النقب بطرق المواصلات وأبواب المياه لفصل المستعمرات الصهيونية؟

ج : نعم وأذكر بالنسبة لروحهم المعنوية إنهم كانوا يطلبون دائما ألغام للنسف وكانت في هذا الوقت الألغام لدينا متعذرة وأذكر أن هؤلاء الإخوان كانوا يقومون بدوريات ليلية يصلون فيها إلى النطاق الخارجي للمستعمرات اليهودية وينزعون من تحت الأسلاك الشائكة الألغام التي يبثها اليهود وسط هذه الأسلاك ويستعملونها في تلغيم الطرق الموصلة إلى المستعمرات اليهودية، وقد نتج من جراء هذه الأعمال خسائر لليهود وتقدم لي من جرائها مراقبوا الهدنة يشكون من هذه الأعمال التي كانت تعمل في وقت الهدنة وغير الهدنة.

س: وهل لم يكن عندكم ألغام؟

ج : معروف أن الجيش لم يكن عنده معدات كافية.

س: هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلاج.

ج : نعم العسلاج هذه بلد تقع على الطريق الشرقي واستولي عليها إلى يهود أول يوم الهدنة ولهذا البلد أهمية كبيرة جدا بالنسبة لخطوط المواصلات. وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذه البلد حتي أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل لي إشارة هامة يقول فيها: لا بد من استرجاع العسلاج بأي ثمن، فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبد العزيز بك بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

س: وكيف تغلبت القوة الصغيرة؟

ج: القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنوية وبالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح إذا كانت الروح طيبة يمكن للضباط أن يعمل شيئا. لا بد من وجود روح معنوية.

س: ما هي الشروط الواجب توفرها في رجل حرب العصابات؟

ج : الواقع أن حرب العصابات والتدريب الراقى والعالي الذي يجب أن يدرّب عليه كل جندي والذين يقومون بهذه الأعمال يجب أن يكونوا أذكيا جدا ويشترط فيهم الجراءة وسرعة التصرف وعدم الاعتماد على أي قائد صغير أو كبير والعمليات التي يقوم بها الكوماندوز لا تعمل في وضح النهار وفي حالة تساوي الطرفين لا توجد وسيلة إلا الاشتغال بالليل وبطريقة التسلل وعلى كل فرد أن يعتمد على نفسه والكوماندوز فكرة حديثة أستخدمت في الحرب.

س: ما هي الخواص الفنية في الدراسات الواجبة لرجل حرب العصابات؟

ج : غير الشروط التي ذكرتها يجب أن يكون الشخص ماهراً جداً في استخدام السلاح ويجب أن يكون ماهراً في استخدام الأرض ودراسة طبيعة الأرض ويجب أن يشتغل مثل الحيوان المفترس، وهي المهارة في الميدان، ويجب أن يلم بقراءة الخرائط ومتعود على أعمال الكشافة إلى جانب هذا لازم يعرف السباحة وتسلق الأشجار.

س: هل وجد في الجيش كوماندوز ؟

ج : نعم يوجد والفكرة موجودة، وقبل خروجي كنت جمعت النواة لهذه العملية والجيش فيه حاجة قريبة من كده وهي الدوريات التي تعمل للأستكشاف.

س: هل تعرف عدد المتطوعين من الإخوان ؟

ج : بلغ عدد المتطوعين من الإخوان وغيرهم ما يقرب من عشرة آلاف.

س: هل تعلم أن متطوعي مصر معظمهم من الإخوان ؟

ج : أنا أعرف أن الإخوان كانوا أكثر من الفئات الأخرى.

س: وإلى أي تاريخ استمر دخول المتطوعين إلى فلسطين ؟

ج : أنا لم أظل في الجيش لغاية آخر الحرب وإنما رجعت في نوفمبر سنة ١٩٤٨م وأنا أرجعت الليبيين لأنهم لم يكن لهم فائدة بالمرّة.

س: هل كان للمتطوعين أسلحة خاصة أم كانوا يستوردون أسلحة من الجيش ؟

ج : كانوا يحضرونها بمعرفتهم وأثناء الحرب كنت أعطيهم بعض الأسلحة والذخيرة كانت تنتهي فكنت أمولهم بالذخيرة وأذكر أنه طلب مني قائد غزة أن أعطيهم بعض مدافع هاون فأمرت بإعطائهم.

س: بعد ١٥ مايو إلى نوفمبر ألم يدخل متطوعون جدد ؟

ج : أذكر لما ابتدأت أتقدم للشمال كان فيه الكتيبة السابعة وأنا سحبت هذه الكتيبة وحل محلها متطوعون في العريش وكان ذلك بعد ١٥ مايو.

من النيابة:

س: هل كان من الجائز أن ترد أسلحة إلى المتطوعين غير طريق سلاح الحدود أو العريش ؟

ج : لا غير ممكن.

س: ألا يذكر حضرة الشاهد أنواع الأسلحة التي يستعملها الفدائيون المتطوعون ؟

ج : البندقية والرشاشات الخفيفة تومي أو الهاونات و المورتر.

س: هل كان بين هذه الأنواع القنابل اليدوية ؟

ج : أيوه.

شهادة الصاغ محمود بك لبيب

س: كيف بدأت حركة التطوع ومتى ؟

ج: مسألة التطوع ترجع إلى سنة ١٩٤٧م عندما عينتني الهيئة العربية العليا قائداً لمنظمة شباب فلسطين فسافرت إلى هناك وأمكنتني بمساعدة الهيئة العربية العليا أن أكون جيشاً ضخماً من أهالي فلسطين ومهمته الدفاع عن أراضي فلسطين ولما أحسن الأنجليز بذلك ورأوا أن هذه الحركة ضد اليهود الذين يتبنوهم أمروني بالخروج فأبيت وامتنعت عن الخروج وأخرجوني بالقوة وقد تحدثت الجرائد عن ذلك ولما رجعت أتصلت بسماحة مفتي فلسطين ورجال الهيئة العربية العليا وأفهمتهم أن فلسطين لا ينقصها الرجال بل ينقصها السلاح ووجدت عندهم هذه الفكرة كذلك فسعوا عند الحكومة كي تسمح بجمع السلاح من أجل فلسطين وفي هذا الوقت صدر قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين وثار شعوب العرب وصمموا أن تكون فلسطين عربية فتطوع في هذه الأثناء كثيرون من رجال الإخوان المسلمين واتصلوا بالحكومة والحكومة أعطتهم تصاريح بجمع السلاح وابتدأ التطوع واشترينا السلاح وأخذناه إلى العريش وهناك نصبنا معسكراً وقد بدأ التطوع في ديسمبر ١٩٤٧م.

س: وكيف كان يسلح هؤلاء المتطوعون وكيف كانوا يمونون ؟

ج : لما تجمعنا بالعريش حضر إلينا أحد ضباط الجيش العظام بالمعسكر وإذا به يسأل نفس هذا السؤال فاستدعيت أحد المتطوعين وقدمته له، فسأله السؤال فكان الرد كالآتي: تسلحنا بفلوسنا – فسأله وما صنعتك فأجابته: أنا مزارع فسأله وهل المزارع يستطيع أن يحضر سلاح ومؤن – فأجابته أنا كان لي جاموسة بعثها وحصلت على مبلغ ٥٢ جنيه أرسلتهم للدكتور خميس رئيس الإخوان في الدقهلية وهو الذي اشترى لي السلاح.

س: وحين دخل المتطوعون أرض فلسطين كم كان عددهم ؟

ج : في بادئ الأمر كان عددهم ٣٠٠ ثم تضاعف.

س: ما هي الأعمال التي قام بها المتطوعون قبل دخول الجيوش النظامية ؟

ج : كانوا يحاصرون المستعمرات اليهودية ثم يبحثون عن مواشير المياه لقطعها ويمنعوا الماء عن المستعمرات ويهاجموا القوافل اليهودية وأنهم كانوا على الدوام يهاجموا القوافل وأرادوا معرفة قوة المستعمرات وعملوا رسماً كروكياً لمستعمرة دير البلح المعروفة بالعبري كفارديروم وكانت على مسافة ٨٠٠ متر من جهة النصيرات وأرادوا أن يهاجموا هذه المستعمرة وفعلاً هاجموا وقد نجحوا في دخولها واستشهد بعضهم وقد كان هذا الهجوم من نوع الاستكشاف وهذا يحصل دائماً في حروب العصابات وقد استشهد في هذه المعركة ١٢ مجاهداً وجرح كثيرون وبعد هذه المعركة اتصلت بصالح حرب باشا والمرحوم المرشد العام بصفتهم عضوين في هيئة وادي النيل ورئيسها

علوبه باشا كي يتصلوا بالحكومة ووزير الحربية ليعطوا المتطوعين قشلاق للتدريب كما فعلت سوريا في شمال أطنه وتكلموا مع علوبه باشا في الموضوع وعلوبه باشا اتصل بحيدر باشا فوعده أنه سيوجد معسكر للتدريب وتوجهت أنا والمسيري بك إلى الهاكستيب وهناك أخذنا المعسكر الذي سيجري فيه التدريب وابتدأ بعد ذلك التطوع بأوسع مدي والحكومة عينت في المعسكر مدربين من الجيش ونادت هيئة وادي النيل بالتطوع وكان أكثر المتطوعين من الإخوان إذ بلغوا حوالي ٩٠% من المتطوعين جميعا وفعلا توجهوا إلى المعسكر وتدريبوا تدريباً عملياً كاملاً وانضموا لإخوانهم في فلسطين.

س: علام كان يتدرب المتطوعون في هاكستيب في المكان الرسمي الذي أعدته الحكومة فعلا ؟

ج : كان يتدرب المتطوعون على حرب العصابات وحرب حرب العصابات ترجع إلى زمن بعيد إذ يرجع أمرها إلى قدام المصريين ثم الفرس ثم العرب وإنما لم تكن بنظام وفن ولما تقدمت العلوم والفنون أصبح حرب العصابات فنا وكلما تقدم العلم وتقدم الفن تقدم معه كذلك فن حرب العصابات نضرب لذلك مثلاً – لما اخترع نوبل الرجل السويدي الديناميت تقدم فن حرب العصابات لوجود المتفجرات – وثانياً – لما تقدم فن الطيران سمعنا أن النازيين أنزلوا رجالاً فنيين ومعهم خرائط و بسككتات – ولما تقدم فن البحرية سمعنا أن في اليابان الطوربيد الحي. والفدائي لا بد له من معلومات وتدريس ناحية روحية وناحية عملية فنحن نجد النازية والفاشية تربي ناحية الفدائية وكذلك في الإسلام تربي هذه الناحية عن طريق الدين ولا بد للفدائي أن يتربي على الألعاب الرياضية من مصارعة وملاكمة وألعاب أكروباتية ولا بد له من ثقافة فيتعلم فن الطبوغرافية وفن الاستراتيجيات وفن الهندسة الميكانيكية لكي يمكنه أن يتسلل إلى مبنى الكهرباء الخاص بالإضاءة فيعطل ماكناتها أو إلى مبنى شركة المياه فيفك عددها، فلا بد للفدائي من تعلم هذه الأشياء – والفدائي إما فدائي لنفسه وإما فدائي لأمته – والأولي هي لإشباع هويته ورغبته الثانية هي الفدائية المثالية الكاملة الفاضلة، والإخوان المسلمون كانوا من الطراز الثاني أي من الفدائية الكاملة الفاضلة لأنهم عندما سمعوا عن فلسطين و عما يحدث فيها تقدموا متطوعين ثم أخذوا قسطهم من التدريب والتعليم في الهاكستيب، وفي الهاكستيب تلقوا في المعسكر كيف ينسف المنزل وكيف يتسلل إلى عمارة وكيف يحارب حرب الشوارع وكيف يصنع الديناميت والألغام.

كل هذا مما يتمرن عليه الفدائي أو ما يسمونه الكوماندوز.

س: وهل كانوا يتدربون على المخابرات أيضاً ؟

ج : نعم على كل شيء يفيد الجيش المهاجم فمثلاً لازم يعرف ما هو عدد رجال العدو ومن يناصرونه في داخل البلاد.

س: وهل حضرت أنت الدراسات أو كنت تسمع بها ؟

ج : أنا رحنت الهاكستيب و عملوا أمامي تجارب وكنت كل وقت أكون معهم.

س: وكم مرة ترددت على الهاكستيب مدة التطوع ؟

ج : ترددت ٦ مرات في مدة التطوع.

س: وأين كان مركزكم أنت في ذلك الوقت ؟

ج : نحن وزعنا قواتنا لمحاصرة المستعمرات اليهودية التي يمر عليها الجيش على أبعاد متفاوتة وعملنا على وضع الألغام في الطرق المجاورة للطريق الرئيسي الذي يمر منه الجيش. وفعلا مر الجيش ولم تطلق أي رصاصة واحدة من المستعمرات عليه، ولما دخل الجيش غزة كان معهم متطوعون وتسلم القيادة المرحوم أحمد بك عبد العزيز واحتلوا العوجة والعسلوج و بير السبع والفالوجه وعراق المنشية وبيت جبريل والخليل وبيت لحم ودخلوا في حدود القدس الجديد ٣ كيلو وحصل هذا كله في مدي ١٢ يوما وأصبح جميع النقب تحت إشراف الإخوان المسلمين، وقبل دخول الجيش بثلاثة أيام أو أربعة عملنا معركة وذلك في يوم ١١ مايو، هذه المعركة تدل على مبلغ قوة ومتانة المتطوعين الروحية والمادية فقد علمنا بوجود بعض المصفحات اليهودية في مستعمرة اسمها المشبه تبعد عن غزة بحوالي ٢٠ كيلو للجنوب الشرقي فراقب الإخوان هذه الحركة طول الليل وفي الصباح بدأت قافلة المصفحات تتحرك فخرج المتطوعون «بالبويز» وهي عبارة عن مدافع ضد المصفحات ونصبوا كمين في طريق المصفحات وما أن تقدمت المصفحات حتي فتحت عليها النيران من كل الجهات وفي خلال فترة وجيزة كان الفدائيون مسيطرين على الصهيونيين وأخذ الصهيونيون في التسلسل فمنهم من قتل ومنهم من نجا وحضر سواقو الإخوان وقادوا المصفحات ومعني الأن صور لهذه المصفحات «وأخرج الشاهد من جيبه خمسة صور وأطلعت عليها المحكمة وأعيدت إليه ثانيًا».

س: وماذا كان عملك أنت بعد حضور أحمد عبد العزيز وتسلمه القيادة بذلك ؟

ج : كنت قائدا معه.

س: ومن كلفك بقيادة الإخوان ؟

ج : أنا تطوعت بنفسي والهيئة العربية كلفتني بقيادة الإخوان وخلافهم.

س: وهل كنت تأخذ أجرا على ذلك ؟

ج : لا.

س: هل كنت من الإخوان ؟

ج : نعم والحمد لله العظيم.

ولما دخل الجيش ووصل الإخوان بيت لحم ودخلوا ثلاثة كيلو داخل حدود القدس الجديدة كانت هناك مستعمرة يهودية كان لايد من أخذها أسمها مستعمرة «رامات راحيل»، فأمر أحمد بك عبد العزيز أن يستولى عليها الإخوان، وهذه المستعمرة كبيرة وكانت تمون القدس باللبن والدواجن وقد تسلق الإخوان المستعمرة لأنها كانت في مستوي عال واحتلوها وإذا بهم يفاجأون ببعض جنود شرق الأردن وقد أخذوا في السلب والنهب ولذلك فكر الإخوان في أن الصهيونيين لايد لهم من العودة

فتركوا المستعمرة لجيش الملك عبد الله وارتد الصهيوينيين واستولوا عليها وصمم أحمد عبد العزيز على أخذها مرة أخرى، وفعلا استولى عليها الإخوان.

س: بعدما دخلت الجيوش العربية النظامية فلسطين وأصبح القتال لهذه الجيوش ثم حدث في نوفمبر سنة ١٩٤٨م أن حوصرت الفالوجا الحصار المعروف هل طلب إليك باعتبارك قائداً للمتطوعين من الإخوان أن تجمع فرقتين من الإخوان وذلك في نوفمبر سنة ١٩٤٨م وكان القصد من جمع الفرقتين هو فك حصار الفالوجه وأن هذه كان بناء على خطة حربية مرسومة رؤي فيها أن الإخوان المسلمين خير من يعهد إليها في فك هذا الحصار ؟

ج : نعم حصل وذلك في أوائل نوفمبر سنة ١٩٤٨م أرسل لي عزام باشا أن أحضر للجامعة العربية فتوجهت إلى هناك وقابلني الأمير الای أحمد بك منصور ضابط الاتصال وسألته عن سبب دعوتي فأخبرني برغبتهم في جمع المتطوعين وأن الأومباشي حسين مصطفى مدرب الهاكستيب حاضر لهذا السبب وحضر الأومباشي حسين مصطفى وطلب كتيبتين مكونتين من ١٦٠٠ من المتطوعين وسألته هل يريدهم من كل صنف فقال لي إنه يريدهم من صنف واحد فقط هم الإخوان المسلمون بالذات قلت له ممكن فأفهمني أن المسألة مستعجلة لأننا سندربهم في حوالي ١٥ إلى ٢٠ يوماً على الأسلحة لفك الحصار على الفالوجه فقلت له ممكن وميسور وأخذني معه لوزارة الحربية وهناك قابلني الأومباشي صلاح صبري وعرفني أنه مدير مكتب الوزير وقد عرفه بي، وسألني هل أخبروك عن المأمورية، قلت له مستعدين وأخذوا بعضهم وقاموا وغابوا مدة عشر دقائق ثم عادوا إلى وسألوني عن موعد حضور المتطوعين وكان ذلك في يوم أحد قلت لهم يوم الخميس يكونوا في الهاكستيب وقصدت مركز الإخوان وطلبت واحدا من كل شعبة بشرط أن يكون غير متزوج وغير مرتبط بأي مسئولية أو تبعه وفي مساء يوم الأربعاء أتصلت بي جميع المناطق تليفونيا وسألوني عن مكاتب التدريب وفي صباح الخميس علمت أن دولة النقراشي باشا رفض هذه الطلب.

س: وهل أعطي الإخوان المتطوعون بعض المتفجرات إلى الجيش المصري عند دخوله فلسطين ؟

ج : نعم أذكر أن الجيش طلب منا بعض المتفجرات وأخذوا المتفجرات وقنابل يدوية وإنما لا أذكر التاريخ بالضبط.

س: وهل كان الإخوان يرسلون منشورات ومطبوعات إلى قواتهم المتطوعة في ميدان القتال ؟

ج : نعم.

س: ما هو مضمون هذه المنشورات ؟

ج : كلها كانت تحت على الجهاد والقتال.

س: ظهرت فكرة عند الإخوان في سنة ١٩٤٨م لجمع ملابس ومؤون وغير ذلك من طبقات الشعب

المختلفة لإعانة اللاجئين فهل تعرف شيئاً عن كيف نشأت هذه الفكرة وعن مصيرها ؟

ج : لما كنا في المعسكرات وكنا نري اللاجئين في حالة بؤس لا يمكن تصورها وكان المتطوعون يقسمون طعامهم بينهم وبين اللاجئين حتي أن بعض رجال الجيش انتقدوا لهذا التصرف وقالوا لهم

إنهم مجاهدون يقاتلون فلا يجوز لهم أن يضعفوا أنفسهم بهذه الطريقة ولذلك نبتت فكرة قطار اللاجئين وذلك بأن يقوم قطار من أسوان لغاية مصب النيل ليجمع من أهل المروءة والشهامة ما يزيد على حاجتهم من أي شئ واتصل الإخوان برجال الحكومة وأخذوا تصريحاً من دسوقي أباطة باشا وزير المواصلات بذلك وأما في القاهرة فقد أطلق الإخوان عدة عربات تجوب القاهرة وإذا بهم يفاجأون بأن وزير الداخلية أمر بالامتناع عن هذا العمل المزدوج، وكان لهذا الأمر أسوأ تأثير في النفوس لأن الأمر كان مقصوداً به الإخوان.

س: حضرتك ذكرت أن المتطوعين كانوا يمنحون تصاريح بجمع أسلحة ومؤن لفلسطين فهل كان الأمر كذلك بعد ١٥ مايو أي بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين؟

ج : نعم.. كان الإخوان يتسلحون بوسائلهم الخاصة.

س: ومن أي طريق كانت الذخيرة ترد للمتطوعين؟

ج : كانت الذخائر ترد لهم بوسائلهم الخاصة ومن مالهم الخاص.

س: بأي وسيلة كانت تنقل الذخائر إلى فلسطين بعد دخول الجيوش النظامية؟

ج : كان مصرحاً لهم بذلك وكان معهم تصاريح وكانت الأسلحة ترد من الصحراء إلى مصر ومنها على القنطرة مباشرة.

س: ومن الذي يوصل هذه الأسلحة؟

ج : يحضر متطوعون جدد ومعهم الأسلحة.

س: هل سافر أحد من متطوعي الإخوان إلى فلسطين بعد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بعد ضبط السيارة؟

ج : نعم.. سافر الإخوان من القاهرة بالطيارة بناء على طلب مستعجل ولا أعرف عددهم.

س: كم طيارة سافرت؟

ج : راحوا على دفتين ولا أعلم عدد الطيارات في الأولي سافروا على عمان ومن هناك نزلوا بيت لحم وفي ثاني دفعة سافروا بالطيارة أيضاً فمنعتهم حكومة شرق الأردن من النزول فعادوا ثانية إلى مصر.

س: من الذي استدعاهم؟

ج : قيادة بيت لحم.

س: لأي غرض استدعوا؟

ج : كانوا في شدة الحاجة إليهم والحالة كانت متحرجة.

* * *

شهادة الأستاذ محمد حامد أبو النصر عضو مجلس بلدي منفوط

س: هل ساهمت في جمع الأسلحة لحرب فلسطين؟

ج: نعم في أواخر سنة ١٩٤٧م وجهت إلى الدعوة من حضرة صاحب الفضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله واجتمعنا في المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين بالقاهرة وتقدم لنا الشيخ صبري عابدين عضو الهيئة العربية العليا وممثل سماحة مفتي فلسطين الخاص وذكر لنا الحوادث التي تقع في فلسطين وأبان لنا الفظائع التي ترتكب فيها وطلب منا أن نعاون المجاهدين وذلك بشراء الأسلحة وبالتبرع بها كل على قدر استطاعته وطبعاً أثار فينا الحمية وأبكانا مما يقع في فلسطين وانصرفنا كل إلى بلده وأخذت أتصل بالناس الذين أعرفهم من العرب بالصحراء الغربية واتصلت بواحد منهم اسمه الشيخ محمد حمد رمضان شيخ عرب بني شعران بمركز منفوط ليجمع لنا أسلحة وبالفعل أحضر كمية من الأسلحة وقد علم بوليس مركز منفوط بهذا ووضع يده على الأسلحة وقبض على الشيخ محمد حمد رمضان وقدمه للنيابة فتقدمت أنا لحضرة وكيل النيابة وقلت له إن هذا السلاح نجمعه من أجل فلسطين.

فسألني عن دليلي قلت له لا بأس اتصل بأعضاء الهيئة العربية وسماحة المفتي وأجل النظر في القضية فأعطانا فرصة وسافرت إلى القاهرة حيث قابلت فضيلة المرشد العام للإخوان وقصصت عليه المسألة فاتصل بسماحة المفتي وأبلغه الأمر فاتصل سماحته بسعادة عبد الرحمن عزام باشا وأظنه اتصل بسعادة النائب العام فأخرج عن الشيخ محمد حمد رمضان وقد كان يحضر التحقيق معنا حضرة الأستاذ طاهر الخشاب بك المحامي وحفظت القضية وسلم السلاح للهيئة العربية.

س: وما مقدار هذه الصفقة من الأسلحة وما هو ثمنها؟

ج: علمت أن هذا السلاح حوالي ٤٠ من البنادق ومسدسات لا أعلم عددها ونظارة للجيش ومدفع.

س: في أي تاريخ حصلت هذه الواقعة التي ذكرتها؟

ج: حصلت على ما أتذكر في شهر يناير سنة ١٩٤٨م.

س: وما مقدار ثمن هذا السلاح؟

ج: أنا دفعت للشيخ محمد حمد رمضان حوالي مبلغ ٣٠٠ جنيه.

س: هل تعرف قيمة الثمن المتفق عليه؟

ج: كان مقدراً في ذلك الوقت مبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه وإنما أنا دفعت مبلغ ٣٠٠ جنيه ولا أعرف كيف دفع الباقي.

س: وفي أي وقت وجهت إليك الدعوة للاجتماع بالإخوان ؟

ج : على ما أذكر سنة ١٩٤٧م ولا أتذكر الشهر.

س: ومتى تم جمع الأسلحة ؟

ج : أحضرت السلاح قافلة وصلت قبيل حصول الضبط بحوالي أربعة أيام تقريباً.

س: وفي أي وقت حصل اتصالك بالمرشد العام ؟

ج : في أوائل يناير.

س: وهل أنت من جماعة الإخوان المسلمين ؟

ج : نعم ولا أزال.

س: وهل هناك حوادث أخرى خاصة بجمع الأسلحة ؟

ج : لما النيابة أفرجت عن الأسلحة بالطبع هذا الشيء شجعتني وقصدت بني مزار وتجولت في بعض القرى المجاورة واتصلت بجماعة من الأعراب وجمعت سلاحاً بالثمن وأثناء الجمع حضر الأستاذ فوزي عبد اللطيف وكان معاون بوليس بني مزار وسألني ماذا تصنع قلت له أجمع سلاح لفلسطين فأخذني ومعى الأسلحة في لوري وذهبنا إلى المركز وشرحت المسألة لحضرة المأمور وهذه الحادثة حدثت حوالي شهر مارس سنة ١٩٤٨م وقلت له إن السلاح لفلسطين وقال هو أنا سأصدره فاتصلت بالشيخ حسن البنا وأبلغته بالواقعة وقال لي سأرسل أحمد حسنين أفندي لاستلام الأسلحة ودفع النقود وفي الوقت نفسه كنت أنا كلفت بعض العرب في بني مزار بجمع أسلحة وفي هذه الأثناء حضر لي الذي كنت قد كلفته وقال لي أن الأسلحة ضبطت في نقطة الحدود عند صدف الغار فذهبت لمقابلة ضابط النقطة فلم أجده وأخيراً حضر في اليوم التالي أحمد حسنين وهو الشخص الذي وعد المرشد العام بإرساله وقابل حضرة المأمور وأخذ كشفاً بالمضبوطات وقال للمأمور صدرها لنا إلى القاهرة ونحن نستلمها من هناك وفعلاً صدرت واستلمها في القاهرة وأعطيت ثمن هذه الأسلحة إلى الأعراب الذين أحضروها وهذه الحوادث الثلاث هي التي ضبط فيها السلاح فقط أما أنا فقد واصلت جمع الأسلحة ولم تضبط معي بعد لأن شخصيتي أصبحت معروفة.

س: ما هو تاريخ آخر أسلحة ضبطت ؟

ج : في شهر إبريل سنة ١٩٤٨م.

س: ومن كان يدفع ثمن هذه الأسلحة ؟

ج : الهيئة العربية لأن الأسلحة كانت تجمع لحسابها.

س: هل هناك سلاح جمع بعد دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين ؟

ج : أذكر حادثة - لما حوصرت القدس دخلت مرة لأقابل فضيلة المرشد العام في مركز الإخوان فقال لي إن القدس قد حوصرت وسيضع الصهبيون أيديهم عليها فالموقف يحتم علينا جمع أكبر مقدار من الأسلحة والرجال حتى لا نسقط وأنا سأصدر التعليمات للإخوان أن يجمعوا ما يمكنهم جمعه من الأسلحة وسأتولى أنا قيادة كتيبة المتطوعين للقدس وأخذنا نجمع الأسلحة.

س: هل هذا حصل بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين أم قبله ؟

ج : بعد تاريخ دخولها أي في شهر يونيه أو يوليه وهذا مؤكد.

س: متى انتهى نشاط جمع الأسلحة ؟

ج : تقريباً في شهر يوليو سنة ١٩٤٨م، ولم تجمع الأسلحة بعد ذلك.

س: والأسلحة التي ضبطها المأمور صدرت لمن في القاهرة ؟

ج : المأمور الذي صدرها لأن أحمد حسنين أفندي هو الذي قال له صدرها لنا لمصر ولكن لا أعرف بأسم من صدرت.

شهادة الحاج حسن حسني المنياوي

س: أذكر لنا كيف بدأ نشاطك من أجل التطوع لفلسطين؟

ج: تطوعت في ديسمبر سنة ١٩٤٧م في حرب فلسطين لغاية أبريل سنة ١٩٤٨م.

س: وهل كنت طول هذه المدة في فلسطين؟

ج: نعم وإنما حضرت مرة واحدة لمصر وذلك في شهر فبراير سنة ١٩٤٨م ومكثت بها ستة أيام فقط ثم عدت لفلسطين وكان سبب حضوري لمصر هو حاجتنا لبعض طلبات الأسلحة والذخائر وأخذت في جمعها في تلك الأيام من الأرياف وجمعتها ثم سلمتها للهيئة العليا وسافرت لفلسطين وهي سلمتها لي هناك.

س: وهل استأذنت المسؤولين في الحكومة المصرية في جمع هذه الأسلحة؟

ج: نعم استأذنتها: لما صدر قرار التقسيم في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧م انتظرت حتى يفتح باب التطوع فلم أجد أحداً تطوع من الهيئات إلا جماعة الإخوان فقصدت فضيلة المرشد العام وكاشفته بغرضي فقال لي ينقصنا الأسلحة قلت له ممكن جمعها من الأرياف فقال لي تعال هنا باكراً وفي اليوم التالي قابلته فسلمني خطاب من عزام باشا إلى الأميرالاي محمد يوسف بك الخاص بالشئون العربية - ومضمون هذا الخطاب: حامل هذا الموضوع محادثتنا تليفونياً - فذهبت لمحمد يوسف بك فسألني حاجتكم السلاح منين قلت له من الأرياف فقال لي أجمع الأسلحة وإذا حصل أي شئ فأنا موجود والذي تجمعه سلمه للهيئة العربية العليا.

س: متى كان الحديث الذي دار بينك وبين الشيخ حسن البنا؟

ج: في أواخر ديسمبر سنة ١٩٤٧م بعد قرار التقسيم.

س: متي نفذت جمع الأسلحة بعد هذا الحديث؟

ج: ما بين ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧م وبقيت أجمع من كل البلاد بأي ثمن.

س: ومتي انتهى نشاطك؟

ج: في شهر أبريل سنة ١٩٤٨م لأنني أصبت.

س: ولما توجهت لمحمد يوسف بك هل كنت بمفردك؟

ج: كان معي شخص آخر وأظنه من الإخوان.

س: ومن كان يدفع الثمن؟

ج : كنت أدفع من مالى الخاص وقد دفعت حوالي ١٥٠٠ جنيه شخصيا وكنت أترقب هذه الحالة للاستشهاد واستدعيت لهذه العملية من سنة ١٩٣٦م.

[هنا أحمد محمد حسنين أفندي المتهم الخامس استأذن في سؤال الشاهد فأذنت له المحكمة فسأله بالآتي]:

س: هل تسلمت خطاب عزام باشا من فضيلة المرشد العام أم من عزام باشا ؟

ج : إن الذي سلمني الخطاب هو المرشد والخطاب من عزام باشا إلى محمد بك يوسف.

من الأستاذ زكي عريبي:

س: ومبلغ الـ ١٥٠٠ جنيه ثمن الأسلحة التي اشتريتها وتبرعت بها هل دفع دفعة واحدة أم على مرات ؟
ج : لا على دفع.

س: ولمن تبرعت بهذا التبرع ؟

ج : أنا اشتريت بالمبلغ أسلحة وتبرعت بها للهيئة العربية.

هذا هو تاريخ كفاح فلسطين الذي جاء في المسلسل أن الإخوان افتعلوه ليداروا به على الآثار السيئة لمقتل الخازندار، علماً بأن مقتل الخازندار كان في مارس سنة ١٩٤٨م، وكفاح الإخوان في فلسطين بدأ من سنة ١٩٣٨م.

هذا هو كفاح الإخوان في فلسطين الذي جرؤ أحد أمراء التعذيب في السجن والمتهم بقتل كمال سنانييري أن يقول في الفصل الخاص بفلسطين «أنهم لم يقدموا شهيداً واحداً ولم يطلقوا رصاصة».

أعجب.. والله من جرأة ووقاحة وبجاعة هذا الكذاب الأشر، وأنه بدلاً من أن يبكي على جرائمه ويسأل الله التوبة.. لا يزال يمارس الكذب، ولكن التعذيب يحيل من يمارسه إلى أن يصبح مسخاً دميماً يمكن أن يأتي منه أي شيء.

الفصل السابع

العنف في تاريخ الإخوان المسلمين

تأخذ الهيئات والدعوات أساليبها من طبيعتها، فإذا كانت طبيعتها سلمية فإنها تسلك السلم، وإذا كانت هجومية صراعية، فإنها تسلك طريق العنف والقتال.

والإخوان المسلمون دعوة إسلامية تستلهم وسائلها من طبيعة الإسلام، والإسلام دعوة هداية، ودعوة الهداية لا بد وأن تكون سلمية لأن الهداية لا تفرض بالقوة، وإنما تتقبل بالإيمان، ولذلك فإن طبيعة الإسلام هي السلام، ويفترض في كل دعوة إسلامية أن تكون دعوة سلام.

ولكن الدعوات لا تعيش في سماء، ولكن على الأرض، ولا تدعو ملائكة ولكن بشر، والمجتمع البشري ليس إلا انعكاساً للطبيعة البشرية التي ألهمها الله فجورها وتقواها، ولهذا فقد لا تجد دعوة الهداية طريقها مفتوحاً أو مرحباً، وقد كانت صيحة الرسول الأولى هي «خلوا بيني وبين الناس»، لأن قريش كانت تحول بينه وبين الاتصال بالناس، وترسل في أثره من يقوله لمن اتصل بهم: لو كان فيه خير لكان قومه أولى به فينفض عنه الناس.

ولكن حتى هذا، فإنه لا يحمل الإسلام على العنف، لأن الرسول لا يمكن أن يسلك سبل العنف ليلبغ الناس رسالته، لأن هذا يخالف طبيعة الإسلام كما قلنا، وإنما عليه أن يبذل غاية الجهد، وإن لم يستطع فقد أعذر إلى الله، بل إن الله عاتبه لما ألع في الدعوة على كبار قريش وترك رجلاً ضعيفاً أعمى جاء ليسأله، وقال له بصريح العبارة «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى».

إذن السبيل الطبيعي للدعوة الإسلامية هو السلام، والقاعدة الحاكمة هي «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

ولكن ماذا يحدث عندما تهاجم الدعوة، ويهاجم أصحابها بمختلف وسائل العنف، فيخرجون من ديارهم وتُشن عليهم حرب تريد «فتنتهم» أي إعادتهم إلى ديانته الشرك وترك الإسلام؟

هنا يتحدد الموقف، إما المقاومة.. وإما الاستخاء والتسليم، إن المقاومة تكون دفاعاً مشروعاً عن حرية الاعتقاد، عن العرض، عن الشرف، عن الأرض، عن كل ما يصطحب بالإنسان من قيم أو عتاد.

والقتال ليس لهواً، وإذا كان عليك أن تقاوم فيجب أن تقاوم بكل جدية.. وكل صرامة، وإلا فهي الهزيمة التي تعني الأسر والعار وفقدان الحرية.

من هنا أباح الإسلام القتال دفاعاً عن الحرية والكرامة ونزلت أول آية أذنت بالقتال «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا

اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ».

هذه المعاني كانت واضحة تمامًا في ذهن حسن البناء، بل كان حسن البناء من العمق بحيث فرق بين القوة، والثورة (التي يمكن للعنف أن يرتبط عادة بها).

وفي مقطع واضح في خطابه في المؤتمر الخامس (١٩٣٨م) عرف القوة وميز بينها وبين الثورة والعنف:

«أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمة وتشريعاته، فالقرآن ينادي في وضوح وجلاء «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ»، بل إن القوة شعار المسلم حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة وسمع ما كان يدعو به النبي في خاصة نفسه ويعلمه أصحابه وينادي ربه: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)، وهكذا استعاذ رسول الله من كل مظهر من مظاهر الضعف: ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر...».

ثم يستطرد فيقول:

«والإخوان المسلمون أعمق فكرياً، وأبعد نظر من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا في أعماقها، ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة العقيدة والإيمان، يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بأنها قوية حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، فإنها إذا استخدمت قوة الساعد وهي مفككة الأوصال، مضطربة النظام، ضعيفة العقيدة، خاملة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك..».

ثم يتساءل الإمام البنا:

«ولكن، هل أوصى الإسلام - والقوة شعارنا - باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال، أم حدد لذلك حدوداً واشتراطاً شروطاً ووجه القوة توجيهها محددًا؟ وهل تكون القوة أول علاج أو أن آخر الدواء الكي؟

ويجيب على هذه الأسئلة:

«إن الثورة أعنف مظاهر القوة، ومن هنا كان نظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجن منها إلا ما تعلمون، وبعد كل هذه التقديرات أقول لهؤلاء السائلين: إن الإخوان المسلمين يستخدمون القوة العلمية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء، صرحاء وسينذرون أولاً وينتظرون بعد ذلك، ثم يقدمون في كرامة وعزة ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح.

أما الثورة، فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر، بأن الحال إذا دام على هذا المنوال، ولم يفكر أولو الأمر في الإصلاح العاجل السريع، فسيؤدي ذلك حتماً إلى ثورة ليست من عمل الإخوان، ولا من دعوتهم...».. (انتهى).

إن الإمام البنا عندما قال إن القوة من شعار الإسلام، فإنه لم يرد بها لا الثورة، ولا القتال، ولا العنف، ولكنه أراد أن تكون عزيزة.. متمكنة.. بعيدة عن الضعف والقصور، ووسائل القوة قد تكون التمرينات الرياضية ومختلف صور العناية بصحة الجسم، وقوة الدولة تكون بالعلم، وإشاعة المعرفة بين الناس واتخاذ أسباب القوة بما في ذلك «رِبَاطِ الْخَيْلِ» رمزاً إلى ما يتخذ في الحرب من وسائل، وبرز ذلك صراحة «تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ»، والإسلام هنا يتركز على مبدأ هو أن الضعف يغري بالعدوان، فغداً وجدت دولتان إحداهما ضعيفة والأخرى قوية، فالاحتمال الأكثر هو أن الدولة القوية ستحارب الدولة الضعيفة وتستلحقها، ولكن لو أن الدولة كانت قوية فإن ذلك سيصد كل فكرة للعدوان عليها، وهذا هو المقصود بكلمة «تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» في الآية.

الخط المقرر للإسلام هو أنه كدعوة هداية لا بد أن يسلك طرق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن أي اختلاف لا بد أن يعود إلى أسباب طارئة أو يعود إلى طرف آخر أو يكون انحرافاً عن الخط السليم أغرت به الشبهات كما في حالة الشهيد سيد قطب عندما تصور الجهاد وسيلة لإقامة الحاكمية الإلهية.

وقد ظل الإخوان المسلمون طوال العشرين عاماً - هي كل حقبة حسن البنا - يعيشون في سلام مع مجتمعهم الليبرالي رغم ما كان فيه من نقص أو عدم الالتزام بما يوجبه الإسلام، لأنهم رأوا أن إصلاح ذلك يمكن أن يتم بوسائل الإصلاح السلمية وعلى مراحل ودرجات.

ولكن عندما أعلنت وزارة السعديين الذين غلبت عليهم شقوتهم الأحكام العرفية، فإن هذا كان نهاية المرحلة الليبرالية وبدأ عهد الاستبداد والحكم العرفي.

والذي كان سبب إعلان الأحكام العرفية هو أن مصر أعلنت الحرب على إسرائيل، وهذا نفسه كان يدفع بالإخوان المسلمين إلى بدء بعض ممارسات العنف لأن عاملاً جديداً طرأ على الساحة، ولا يمكن التعبير عنه إلا بالعنف، وكان يمكن احتواء هذه الممارسات في الأحوال العادية، ولكن إعلان الأحكام العرفية أعطى الحكومة سلطة القمع، ولعدم ترويتها ودراستها لكافة الاحتمالات، فإنها أقدمت على أعظم حماقة يمكن لعهد أن يقترفها ألا وهي حل الإخوان المسلمين.

من هذه الممارسات التي يعترف بها الإخوان، وقد لا يعلمها السيد وحيد حامد:

(١) في ١١/٦/١٩٤٨م انفجار حارة اليهود نفذه قسم الوحدات (تم بعد توقيع الهدنة الأولى في حرب فلسطين).

(٢) في ٨/١١ و ٨/١٧ و ١٩٤٨/٨/٢٦م: أطلق محمد أمين عوض الرصاص على يهودي.

(٣) في ١٩٤٨/٩/٢٢م: انفجار ثان في حارة اليهود نفذه قسم الوحدات.

(٤) في ١٩٤٨/٩/٢٨م: انفجار أسفل محل شيكوريل نفذه قسم الوحدات.

(٥) في ١٩٤٨/١١/١٢م: نسف شركة الإعلانات الشرقية بشارع جلال، وكان مديرها هنري حاييم

الصهيوني، وتصدر عنها لاورص إجيشيان باللغة الفرنسية، ويديرها جان بيجون (عمل في فلسطين بعد ذلك)، وجريدتي إجيشيان ميل وإجيشيان جازبت.

هذه أحداث عنف اقترفها الإخوان واعترفوا بها، وكما هو واضح فكلها استهدفت مؤسسات صهيونية في مصر، وكانت تدعم الصهيونية التي تقتل وتشرد العرب عن منازلهم وتستولي عليها في فلسطين.

ولكن هناك ممارسات أخرى لم تستهدف مؤسسات صهيونية ولكن أشخاص ومؤسسات مصرية عامة كان اسوأها مقتل القاضي الخازندار في مارس ١٩٤٨م.

ومن هذه الممارسات محاولة تفجير دولاب بإحدى المحاكم فيه ملف لقضية للإخوان، وقد فشلت المحاولة لأن المكلف بوضع القنبلة سلمها إلى أحد السعاة الذين شك فيها فخرج بها وقذفها في الخارج فانفجرت وأصابت شظاياها بعض المارة.

وهذه الممارسة محاولة خاطئة سيئة تماثل مقتل الخازندار في أنها تمس القضاء، وحدثت الحالتان (مقتل الخازندار ومحاولة تفجير دولاب النيابة بالمحكمة) دون موافقة، أو علم المرشد، وقد غضب غضباً شديداً بالنسبة للمحاولة الثانية التي حدثت وهو في خضم محاولات التوصل إلى تسوية مع المسؤولين، وكتب بيانه «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» الذي يصور مدى استنكاره لهذا الفعل.

ونحن لا ندافع عن هذه الأعمال، ولكن نوجه النظر إلى أنها حدثت في الفترة التي مارس فيها النقراشي إرهاباً لم يسبق في المجتمع المصري وتخبطت سياساته وظفر بعداوة حزب الوفد، وبالطبع الإخوان، فلم يكن له أي علاقة بالشعب، وقد وصف كاتب لا يمكن أن يوصف بالتحيز إلى الإخوان عهد «السعديين» هو الأستاذ سلامة موسى في مقال له نشر بمجلة «صوت الأمة» تحت عنوان «ماضيكم.. قاضيكم»^(*):

«لن يستطيع أحد فضلاً عن حزب أن يتخلص من تاريخ الماضي وإذا هو حاول ذلك فإن الشعب لن ينسى فالماضي الذي يحكم على سياسية الحزب وأعماله، وأيضاً على أخطائه وجرائمه.

والشعب أيضاً سوف يحكم على هذا الحزب أو ذاك الآخر بما عرف عنه في الماضي.

فما هو ماضي حزب السعديين، أو ما هو القاضي الذي يحكم الآن عليهم؟

(*) صوت «الأمة»، العدد ١٠٤٥، الاثنين ٦ ربيع الأول ١٣٦٩هـ - ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩م.

هو أن السعديين عمدوا أول ما عمدوا إلى إلغاء المجانية من المدارس كأنهم كانوا يرمون إلى تعميم الجهل بدلاً من تعميم العلم، ولم يبالوا بأزمة الحرب وضيق الآباء والغلاء الفاحش، فأضافوا على كل ذلك مصروفات التلاميذ والطلبة.

هذا هو باكورة أعمالهم التي ابتدأوها منذ الشهر الأول من حكمهم.

ثم وجدوا أن الوفد قد نهض قبلهم بإصلاح ديمقراطي هو إجازة تأليف النقابات وجعل النقابة شخصاً معنوياً، ومثل هذا الإصلاح كان جديراً بأن يسير بنا نحو السعديين مازالوا يكافحون النقابات حتى جعلوها اسماً بلا مسمي، إذ سلطوا عليها البوليس السياسي يتعقب زعماءها بالمراقبة والقبض والتشريد حتى كادت هذه البذرة الطيبة أن تموت ونرجو ألا تموت.

ثم بعد ذلك رأينا المرحوم النقراشي باشا يقصد إلى ليلى سكس ويطلب باستقلالنا ولكن بلا ذكاء وبلا تبصر، حتى أن مكادو جان مندوب بريطانيا وبخه علناً، وقال بحق أجل بكل حق، إن الصحافة في السودان تحظى بحرية أوسع مما تحظى به الصحافة في مصر وكيف لا يقول هذا؟ وقد رأى أن حكومة السعديين قد حملت النيابة على القيام بأربعمئة تحقيق مع الصحفيين في أقل من سنتين.

ثم نكب السعديون مصر بالأحكام العرفية، فرأينا الاعتقالات وتعطيل الصحف وتعذيب المعتقلين واستخدام هذه الأحكام في غير ما خصصت له من شئون القتال في فلسطين، بل لقد رأينا البوليس السياسي يكبس المكتبات العامة وينزع منها الكتب الإنجليزية أو الفرنسية بدعوى أنها لا تليق لشعبنا أو أن شعبنا لا يليق لها، كأن الغاية هي نشر لجهل وكأن الثقافة خطر.

ورأينا الرقابة على الصحف تتناول حتى المقال الأدبي وحتى الصورة وحتى الخبر الذي لا يتصل أدنى اتصال بالقتال في فلسطين وهذا إلى غرامات مالية كلفتنا أكثر من مائة وثلاثين مليون جنيه.

ومع هذه الغرامات المليونية لم يشيد السعديون مدارس جيدة تكفي لاستيعاب أبنائنا، ولم يخرجوا العدد الكافي من المعلمين للتعليم ولذلك رأينا أبنائنا مشردين هذا العام ورأينا وزارة سرى باشا تحاول القيام بإسعافات وقتية مقابل بناء الفصول لخشب الورقة.

وأخيراً هل تذكر للسعديين ماضيهم أي قاضيهم في فرض الحصار الحربي على الجامعات وتفتيش الطلبة كأنهم قد أصبحوا في معتقلات؟ وهل تذكر أيضاً كوبري عباس الذي ضرب فيه الطلبة بالرصاص حتى أصبحت مأساته تذكرنا بمأساة دنشواي؟ هذا هو الماضي، هو القاضي للسعديين.

ومع ذلك لا يزالون يذكرون الوفد بالسوء وبالافتراء، فما هو الوفد؟ حسينا أن نذكر الوزارة الوفدية الأخيرة فيما بين ١٩٤٢م و١٩٤٤م.

نذكر أن الوفدين تسلموا الحكم والألمان على أبواب الإسكندرية وطائراهم تنزأر أزيما مزعجاً فوق القاهرة والإسكندرية والفيوم ليل ونهار، وكانت البلاد مع ذلك تعاني الجوع لقلة المؤن، فعمدت الوزارة الوفدية أول ما عمدت إلى توفير الخبز وعلى أداء المعونات لمكافحة الغلاء ولم تلهها حالة الحرب المزعجة عن الإصلاحات، فشرعت مشروع الوحدات الصحية للفلاحين لتوفير المياه النقية، وارتكبت في نظر السعديين الجريمة الكبرى في حق الوطن وهي جعل التعليم بالمجاني، وقد سارع السعديون إلي محو هذه الجريمة وإعادة المصروفات ما قلنا.

وكذلك ارتكب السعديون الجريمة الكبرى الأخرى وهي جعل النقابة أساساً للإصلاح الاجتماعي ولتأمين العمال من الإرهاق والظلم، فما زالوا بهذه النقابات حتى زيفوها وجعلوها اسمها على غير مسمى، وشرع الوفديون في العمل لاستقلال القضاء هذا الاستقلال الذي نرجو أن تنعم بآثاره.

وأخيراً أقول وفي حلقي غصة على ذلك الرجل الوفدي الأمين عبد الواحد الوكيل الذي كان يسهر إلى منتصف الليل في الوزارة، وقد مات شهيداً عقب زيارته للصعيد للإشراف على معالجة الفلاحين الذين أصيبوا بالمalaria، وعاد إلى القاهرة وهو يحمل جرثومتها التي قضت عليه بعد أيام.

هذا هو الماضي هذا هو القاضي لكل من الوفديين والسعديين ولعنة الله على من خانوا الوطن والحرية والشرف، وعلى من ضربوا أبناء الشعب بالرصاص وأجاعوهم وحرموهم من التعليم».

* * *

بل الأكثر من ذلك، فقد اتضح أن القرار العسكري الذي تم بموجبه حل الإخوان لا يقتضي الحل، وإنما منع الاجتماعات وصدر حكم محكمة القضاء الإداري، دائرة وقف التنفيذ، المشكلة برئاسة محمد سامي مازن بك، جلسة ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥١م، وجاء في الحكم:

وحيث أن مناط النظر في هذا النص هو تخويل الحاكم العسكري في الهيمنة والإشراف على الاجتماعات، فللحاكم العسكري له منع أي اجتماع قبل عقده كإجراء وقائي، وله حل الاجتماع بعد عقده كإجراء علاجي.

ومن حيث أن المقصود بالاجتماع هو تواجد لفيف من الأشخاص في مكان واحد، ولهذا يكون مؤدى السلطة الممنوحة للحاكم العسكري وفقاً للنص المشار إليه هو منع هذا التواجد والحيلولة دونه أولاً ثم حله إذا ما تم وتفريقه ثانياً.

ويظهر من ذلك أن سلطته في حل أية جمعية لا تشمل أو تمتد إلى إعدام الجمعية وإنهاء حياتها القانونية جملة، يدل على أن الشارع قرن الحل باستخدام القوة، والقوة بطبيعتها إنما تتوجه للاجتماع الذي هو مظهر مادي، لا إلى الشخصية التي هي وضع أو تكييف قانوني ويؤكد الألفاظ التي استخدمها الشارع، فقد استخدم كلمتي المنع والحل، وهما ذواتا مدلول معين مصدره وبنيته في القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٢٣م الخاص بالاجتماعات العامة والذي صدر معاصراً للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣م الخاص بالأحكام العرفية، ولو كان يتضمن الحل لكان من اللازم أن ينص على مصير الأموال المصادرة.. إلخ.

واستطردت المذكرة أنه لو أجاز القانون الحل لكان من الممكن أن تحل السلطة الأحزاب السياسية التي لا تخرج عن كونها جمعيات ذات غرض سياسي، بل إن الأمر العسكري ٦٣ نصت المادة الأولى منه على إغلاق الأمكنة المخصصة لنشاط الجمعية، وحظرت على أعضاء مجالس إدارتها مواصلة نشاطها وعقد اجتماعات لها أو لإحدى شُعبها.

ومن حيث أنه بمقتضى ما سبق تكوّن جمعية الإخوان كشخص معنوي باقية رغم صدور الأمر رقم ٦٣ محتفظة بكيونتها القانونية، ويحق لها بسقوطه أن تسترد نشاطها وتعود سيرتها الأولى» انتهى الحكم.

* * *

كل الذين كتبوا عن هذه النقطة أعادوا انحراف النظام الخاص إلى تسرع أو عدم مقدرة رئيسه وكان وقتئذ عبد الرحمن السندي لوزن القرارات ومعرفة آثارها الحسنة أو السيئة، ونحن نسلم بهذا، ولكننا نعلم أن إرادات الأفراد لا تنتشأ من فراغ، ولا تعمل في فراغ، أنها تنشأ عن أحداث تؤثر عليها وواقع يحكمها، بمعنى أن عدم كفاءة عبد الرحمن السندي ليست هي السبب الوحيد، أو السبب الموضوعي، أنها السبب الثاني، ولكن وراء هذا السبب الذاتي سبب موضوعي يعود إلى واقع المجتمع، بحيث أن ما عمله عبد الرحمن السندي كان قدرًا مقدورًا أو أنه كان «مدرّك ذلك لا محالة» بتعبير نبوي، لأن العوامل الموضوعية أغلب وأقوى من العوامل الذاتية.

والعنصر الموضوعي في هذه القضية هو أن من المبادئ المقررة أن لكل فعل رد فعل يظهر عند وقوع الفعل، والفعل هنا هو الإرهاب الذي بسطه الحكم العسكري وبالسياسة العقيمة الفائلة القائمة على قوة الأمن والبوليس وسلطة القبض والاعتقال، وكانت الخطيئة العظمى هي حل الإخوان عنوة واقتدارًا دون استشارة مجلس أو تأييد شعب، أفلم يكن من الطبيعي أن يولد الاستخدام الطليق للقوة البوليسية، وما فرضته من إرهاب أن يولد هذا الفعل من ذا الذي يماثله الفعل، عندما قيل للداهية معاوية إن عمار قد قُتل، قال له «أنحن قتلناه؟ إنما قتله من أخرجه»، وهذا الرد ليس مجرد تملص أجوف من مسئولية قتله، وإنما هو يشير إلى حقيقة أعم من مقتله هي «خروجه»، هذا الخروج الذي تسبب في مصرع طلحة والزبير واشتباك المسلمين بعضهم ببعض.

وهكذا فإن تصرفات النظام الخاص كانت رد فعل على المناخ الاستبدادي الذي فرض الأحكام العرفية، وكبت الحريات، وحل أكبر هيئة شعبية بقرار اتضح إنه غير دستوري، ولأسباب لا تبرر الحل. ومن لم يقتنع بالقانون الفيزيائي عن الفعل أو رد الفعل، فإن وقائع التاريخ كفيّلة بأن تقنعه، فأحداث التاريخ تثبت أنه أينما ظهر الاستبداد وكبتت الحريات، لا بد أن تظهر هيئات سرية تلوذ بصور من العنف بعد أن حرمت حقها في العمل المشروع، وهذا المبدأ يتحقق أيضًا بمفهوم المخالفة، أي إنه حينما يكون المجتمع حرًا فإنه يعيش في سلام ويحل مشاكله بآليات ووسائل تسمح بها طبيعة الحرية، كما كان الحال في مصر خلال الحقبة الليبرالية من ١٩٢٨م إلى ١٩٤٨م، وهكذا تتحقق القاعدة إيجابًا وسلبيًا.

والأمثلة العملية على هذا عديدة، فعندما أصم قيصر روسيا عن سماع نداء شعبه الملح في السماح بـ «دوما» أي مجلس نيابي ورفض في إصرار، تحركت مجموعة من أبناء النبلاء وعامة الشعب فكونوا المجموعة التي أطلق عليها «النهليست» وأخذت تغتال المحافظين وقادة الجيش والبوليس حتى تمكنت من تفجير قطار القيصر.

صور لنا الكاتب الفرنسي البير كوما أخلاق هذه المجموعة في مسرحية بعنوان «العدول»، فأشار إلى العضو الذي كان عليه أن يلقي بقنبلة على عربة الدوق الكبير سيرجي، وأنه كان سعيداً بهذا الشرف، ولكن ما أن ظهرت العربة وتهيأ لإلقاء القنبلة حتى رأى طفلاً وادعاً بجانب الدوق، فتوقف ولم يقذف قنبلته حتى لا يتم العدل «بالظلم».

وعندما رفضت الحكومة البريطانية منح المرأة حق التصويت رغم المطالبة بها لاذت جمعية المصونات Suffragettes بصور من العنف كأن يسكن في صناديق البريد سائل حارقة، أو تدمير البيوت الصيفية لبعض اللوردات، وفي النهاية أُلقت الأنسة إيميلي دافيسون بنفسها أمام خيول السباق «دربي» فماتت.

وفي المجتمع الإسلامي فعندما حرم الأمويون الشيعة من الوجود، وأعلنوا لعن علي بن أبي طالب على المنابر، فإن الشيعة انتقلت إلى خراسان وسيطروا عليها، وعادوا منها إلى بغداد فاقتلوا الخلافة الأموية، وفعلوا بالأمويين الأفاعيل.

من هنا نرى أن حكم الاستبداد الذي فرضه حزب لا شعبية له كان هو السبب الموضوعي لظهور ممارسات العنف، ولقيام النظام الخاص بما قام به، بل أكثر من هذا أن هذه السياسة سمحت للوزارة التي تحمي الناس وتؤمنهم على حياتهم أن تدبر مؤامرة لاغتيال معارض سياسي أعزل في جنح الظلام، وخروج جنازته على أيدي النساء، مما أثار الخواطر مما يعد وصمة كبرى في أي نظام للحكم.

* * *

على كل حال إذا فرضنا أن بعض أعضاء الهيئة اقترفوا مخالفات، فهل معنى هذا حل الهيئة ؟ أو أن معناه عقابهم ومجازاتهم.. لقد ظهر أن الهيئة لديها أسلحة وضبطت في عربية الجيب وفي حافظة الأستاذ مصطفى مشهور وقبض على المسؤولين وعرضوا على القضاء، فهذا ما كان يجب أن يتبع خاصة وأن الأمر أصبح في يد القضاء.

أما أن تحاسب الهيئة ويحاسب رئيسها، فهذا ما لم تجر به العادة، ولا يجيزه القانون، وقد حدثت اغتالات قبل الإخوان، فلم يحاسب إلا من قام بالاغتيال أو حرض عليه أو اشترك فيه، أما أن تحاسب هيئة عن ذلك، فهذا ما لم يحدث من قبل.

فقد قتل إبراهيم الورداني بطرس باشا غالي، وقيل إنه من الحزب الوطني، فهل مس احد الحزب الوطني ؟ وهل تقاعس المحامون عن الدفاع عنه، فقد ترفع عنه أكبر المحامين وقتئذ إبراهيم الورداني وأحمد لطفي بك ومحمود أبو النصر، وتقبل الشعب هذا الاغتيال، ورأى في صاحبه وطنياً ثار لقضية دنشواي والتفريط في السودان.

وعندما اغتيل السير لي ستاك واتهم الأستاذ شفيق منصور عضو مجلس النواب وعضو الهيئة الوفدية وحكم عليه بالإعدام وأعدم، هل مس أحد الوفد أو زج به في مجال الاتهام.

في سنة ١٩٢٢م.. وفي أعقاب تكوين حزب الأحرار الدستوريين، وعلى باب الحزب سقط صريعاً برصاص المسدسات من شبان مجهولين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك وكان التطاحن الحزبي على أشده بين حزب الأحرار الدستوريين والوفد، ولم يستطع أحد أن يرمي الوفد بالاشتراك في الجريمة.

وقد ارتكبت ثلاث محاولات لاغتيال مصطفى النحاس واتهم النحاس باشا في إحداها الأستاذ فتحي عمر الذي كان مدير مكتب إبراهيم عبد الهادي، وكامل الدماطي مدير مكتب النقراشي وفتح تحقيق في هذا وحفظ، ثم تولى الوزارة النحاس، فلم يفتح التحقيق مرة أخرى.

وهذا ما أخذت به المحكمة التي نظرت قضية عربة الجيب المهورة التي ضمت ذخائر ومفرقات كما ضمت محفظة مصطفى مشهور بيانات مسهية عن أفراد النظام الخاص واتهم ثلاثون من النظام الخاص وظلت في القضاء سنتين وبضعة أشهر (من نهاية سنة ١٩٤٨م حتى مارس سنة ١٩٥١م) عندما أصدرت حكمها فإنها برأت الجماعة، بل امتدحتها وفرقت بين انحراف بعض أعضائها، وبين أصولها الفكرية، وقالت إن الجماعة: «ترمي إلى تطهير النفوس.. وإنشاء جيل جديد من أفراد متقفين ثقافة رياضية عالية، مشربة قلوبهم بحب وطنهم والتضحية في سبيله بالنفس والمال»، وكما قالت أيضاً: «ولما أن وجدوا أن العقبة الوحيدة في سبيل إحياء الوعي القومي في هذه الأمة هو جيش الاحتلال الإنجليزي الذي ظل في هذا البلد قرابة سبعين عاماً.. ولم تنته المفاوضات والمجادلات الكلامية إلى نتيجة طيبة، ثم جاءت مشكلة فلسطين وما صاحبها من ظروف وملابسات.. لما كان كل هذا، اختل ميزان بعض أفراد شباب جماعة الإخوان، فبدلاً من أن يسيروا على القواعد التي رسمها زعمائهم عند إنشاء الجماعة، والتي كانت تؤدي حتماً إلى تربية فريق كبير من الشعب وتثقيفهم وإعلاء روحهم المعنوية.. بدلاً من ذلك أرادوا أن يختصروا الطريق، ظناً منهم أن أعمال النسف تبلغ بهم أهدافهم من سبيل قصير.. وحيث إنه من هذا تبين للمحكمة أن أفراد هذه الفئة الإرهابية لم يحترفوا الجريمة، وإنما انصرفوا عن الطريق السوي، فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درساً حتى تستقيم أمورهم ويعتدل ميزانهم، على أن المحكمة تراعى في هذا الدرس جانب الرفق فتأخذهم بالرأفة تطبيقاً للمادة ١٧ عقوبات نظراً لأنهم كانوا من ذوي الأغراض السامية التي ترمي أول ما ترمي إلى تحقيق الأهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره».

* * *

عاد الإمام البنا إلى القاهرة في ٢٨/١١/١٩٤٨م فوجد الجو متوتراً أشد التوتر، فحاول الاتصال بالمسؤولين بوزارة الداخلية فلم يستمع إليه أحد، وكانت الوزارة قد بدأت بالفعل في وضع البيان الذي ستبرر به حل الإخوان، والذي وضعه عبد الرحمن عمار (الذي كان قبلاً يتردد على اجتماعات الإخوان المسلمين ليتقرب منهم)، ولكن أصبح عدوهم اللدود، ولما وجد باب النقراشي مسدوداً اتصل بمرتضى المراغي - ابن الشيخ المراغي شيخ الأزهر - وكان بينه وبين والده مودة، ورجا الأستاذ البنا الأستاذ مرتضى الاتصال بالملك وتبليغه أن حل الإخوان سيثير مشاكل كبرى مستعصية، ووعده مرتضى

المراغي لأنه وجد نفسه أمام قضية أمن قومي ، وأخبر النقراشي بذلك، فغضب النقراشي وأمره بأن لا يبلغ هذه الرسالة، ولكن مرتضى رفض.

وبعد الأمر بالحل والمصادرة والاعتقالات جدد الإمام البنا اتصالاته بالوزارة التي كانت قد كلفت بتولي «ملف» الإخوان من الأستاذ مصطفى مرعي، وكان مطلبه الإفراج عن المعتقلين أو على الأقل تيسير الاتصال بهم، وكان السر في إلحاحه هو أن زوجات وأبناء المعتقلين وأبناء المعتقلين ومعظمهم من العمال والموظفين انقطعت مرتباتهم وتعرضوا للمجاعة، وظن النقراشي وأتباعه أن إرهابهم قد نال من حسن البنا وما علموا أنها صيحات روحيات الإخوان وأطفالهم، وأخذ الرجل يراوغ الأستاذ البنا ويخدعه، ويوعده ويطلب إليه معرفة مكان الإذاعة السرية التي أقامها سعد جبر وأماكن الأسلحة والمتفجرات، وهو يقول لهم أنه يمكن أن يسوي بعض الأمور إذا صرحوا له بلقاء المعتقلين من مصر.. إلى آخر المأساة.

ولكنهم رفضوا، كما رفضوا كل محاولات الوصول إلى تسوية، ولجأوا إلى الابتزاز، وتصوروا أن تأثيره العاطفي هو لما أوقعوه به دون أن يعلموا أن ما كان يهمه، وأن الذي نال منه وأثر عليه هو حال زوجات وأبناء المعتقلين، وكيف يسد الأفواه الجائعة بعد إيقاف مرتباتهم.

عندما تأكد النظام الخاص أن الحكومة رافضة كل مسعى لحل المشكلة، وأنها ماضية في غلوائها إلى النهاية تحرك، ودفعوا بأحد أفرادهم لأن يدخل وزارة الداخلية بعد أن تزي بزي ضابط، وما أن دخل النقراشي حتى أطلق عليه النار وأرداه قتيلاً.

* * *

الاغتيال من ناحية المبدأ هو أقصى درجات التحريم لأنه ليس فحسب القتل، ولكنه القتل بوسيلة الخداع أيضاً.

ولكن فلنناقش في هدوء هذه الواقعة بالذات إن النقراشي استغل صفته كحاكم عسكري فأصدر أمر الحل الذي لم يعرض على مجلس النواب ولم يرقم على أساس مشروع كما وضحت المحكمة ذلك، ولم يصغى للراجاءات العديدة من شخصيات بارزة للإقلاع عنه أو الدخول مع المرشد في مفاوضة، وأصر على الحل والاعتقال.

وماذا يعنيه حل هيئة ؟

إن الهيئة شخصية اعتبارية، والحل بالنسبة لها هو كالقتل بالنسبة للشخصية العضوية.

وقد قتل النقراشي هيئة فيها أكثر من نصف مليون عضو، كل واحد تتبعه عائلته، وصفي شركاتها وصحافتها ودورها.

* * *

الفصل الثامن

الذين أنصفوا الإخوان

للإخوان خصوم، كما أن لهم عدول، وإنما قلنا خصوم لأنهم يكونون كذلك بحكم الصفة التي يجعلهم يعارضون ما تدعو إليه الإخوان المسلمين من أن يكون الإسلام منهج حياة، كما أن لهم «عدول» أي أناس يحكمون بالعدل فينصفون الإخوان، وإن لم يكونوا من الإخوان.

والخصوم بالصفة يكونون خصومًا «بالجملة» لأن الصفة تعمهم، ولكن هذا لا ينفي أن يشذ أفراد قلائل من «الصفة» التي عمتهم.

ويدخل في «الخصوم» من يحول «حاجز الدين» عن أن يؤمنوا بأي دين آخر، لأنهم يتصورون أن إيمانهم بأن دينهم هو الصحيح ويتطلب ذلك أن لا يناصروا دعوة لدين آخر، وإن لم يمنع هذا من أن يشذ أفراد، كما أشرنا آنفًا، مثل الأب سرجيوس خطيب المساجد في ثورة سنة ١٩١٩م، ومثل مكرم عبيد، ومریت غالي، وسلامه موسى في أيامه الأخيرة، ومثل نظمي لوقا، وفيليب جلاب ورفيق حبيب، والأب أندراوس، فهؤلاء جميعًا آمنوا بتعايش الأديان، وأن المواطنة لا تتعارض مع الإيمان القلبي - نقول - رغم ذلك فإن الأغلبية تدين للكنيسة التي سلبت المسيحية من المسيح وأحلت نفسها محله، ولهذا فقلما يؤيد الأقباط الإخوان انسيافًا مع الكنيسة.

ومع أن الإخوان - خاصة في حقبة البنا - أعربوا بكل قوة أنهم لا يريدون «الحكم» إلا أن هذا وإن كان حقيقيًا لا يطمئنهم لأن المؤكد أن الإخوان وإن كانوا لا يريدون حكمًا لأنفسهم ولكنهم يريدون حكمًا يطبق توجيهات الإسلام بما فيه السياسة وأبرزها الشورى والبيعة والبعد كل البعد عن الاستبداد، وأن لا يكون الحكم مغنمًا أو ميراثًا لأن الذين يلون الحكم يضيقون بهذا كله، وهذا هو السبب في أن كل من ولي الحكم قاوم الإخوان بطريقة أو أخرى، حتى حكم عبد الناصر الذي قام بمشاركة ومباركة الإخوان.

ويتبع الحكم الأحزاب التي تجعل الحكم هدفها - وكل الأحزاب كذلك - فهي ترى في الإخوان قوة تحتل ميدان العمل العام وتزاحم الأحزاب، وينطبق عليها ما ذكرناه على الذين يلون الحكم - فالأحزاب هم هيئة حكم في الظل - والاحتمال أن يأتيها الحكم في أي وقت.

ولسنا في حاجة للقول أن القوى العالمية تضيق بالإخوان، لأن هذه القوى هي وريث العالم الوثني الأثيني/الروماني القديم، ولأنها بنت جزء من أمجادها بنهب وسلب العالم، واستعمار الدول الإسلامية، فضلًا عن أنها حاليًا تخضع لتأثير القوى اليهودية/الصهيونية.

من هذا نعرف أن خصوم الإخوان كثير، وأنهم أقوياء أيضًا، وفي مراكز السلطة والنفوذ والإعلام، وهذا هو سر الاستبعاد المستمر للإخوان من الميدان.

ولكن للإخوان أصدقاء عدول، أي أن الصفة الشخصية لهم هي الغالبة بحيث لا يمكن حصرهم في إطار «صفة ملزمة»، ولو أنك سألت أي عمدة في إحدى قرى الشمال أو الجنوب عن حسن البناء، لقال لك إنه تغدى معه يوماً، وقال آخر إنه تعشى معه، وقال ثالث إنه صلى بهم في الجامع، فقد ذرع حسن البناء قرى مصر، واختار من كل قرية شخص أنس فيه النجابة والهمة وأوكل إليه عمل شُعبة.

ولو سألت الموظفين في أزقة القاهرة وشاورها لقالوا لك إنهم في شبابهم انضموا إلى «شُعبة» لأنهم وجدوا فيها ملاذاً مفتوحاً فيع طابولة بنج بونج، وفيه ركن مطالعة، وتنظم مسابقات للخطابة، وتحفيظ القرآن والرياضة والجوالة وغيره من المناشط الاجتماعية التي لا يتيسر للشباب الفقير القادم من القرية لإتمام الدراسة التوصل إليها إلا في شُعبة الإخوان المجانية المفتوحة للجميع، وليست كالنوادي البعيدة والمقصورة على الأغنياء.

وهناك شخصيات في أعلى قمة المجتمع قد تسنح الفرصة فيعترف لك إنه كان يوماً عضواً في الإخوان، وهو ما ينطبق على عبد الناصر والسادات، كما حدث للرئيس مبارك نفسه الذي اعترف في إحدى المناسبات إنه تعرف على الإخوان حيناً في شبابه كهيئة تعمل للبر والتقوى والخدمة الاجتماعية.

ولكن هؤلاء ليس لهم «الصفة» التي تجعلهم قوة مؤثرة، ولعلمهم كانوا في شبابهم باعتبارهم طلبية، أو في نقاباتهم كمهنيين قوة ولها صفة، ولكنهم بعد التخرج انتاشتهم هموم الحياة.

مع هذا أننا لا نعدم من يؤيدون الإخوان - حتى في الأحزاب - وحتى بين الكتاب الذين في يوم من الأيام هاجموا الإخوان عندما طلبت منهم الدولة ذلك.

وفي الصفحات التالية سنعرض لبعض هذه النماذج:

- ١ -

مع أن الأحزاب التقليدية (حزب الوفد والأحرار الدستوريين والسعديين) كانوا في عداد «خصوم الإخوان»، فإذا كانوا في الحكم فهم خصوم بالفعل والعمل، وإذا لم يكونوا بالحكم فهم خصوم في انتظار الحكم، إلا أن هناك حزباً يُعد استثناءً هو حزب «مصر الفتاة» الذي أسسه شاب طموح موهوب هو الأستاذ أحمد حسين في مستهل الثلاثينات، وكان الأستاذ أحمد حسين مثلاً للوطني المصري المتعصب لوطنيته، والذي يرى أن «مصر فوق الجميع» وتأثر في شبابه بالظهور الطاغي للهتلرية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا فدعا إلى قمصان «خضر»، وكان حوله مجموعة من الشباب المتميز منهنما اثنان يقربان من الملائكة في نبل الخلق، ويشبهان محمد فريد، هما «مصطفى الوكيل» الذي هاجر إلى ألمانيا، و«محمود شكري» - الذي أنفق ثروته على الحزب - كما كان هناك شابان لا يقلان نبوغاً هم محمد صبيح وفتحي رضوان، بالإضافة إلى مجموعة من شباب الجامعات.

وقد قتل الأول في ألمانيا اثناء ضرب الحلفاء بالقنابل، وحزن عليه أحمد حسين حزناً عميقاً، أما الثاني فكان ابن أحد الباشوات و«الإقطاعيين» في مصر، وكان من الذين قابلوا الموت في حادث كوبري

رئيس عندما كان طالبًا بكلية الزراعة، وفي العهد الملكي انتخب نائبًا عن «كفر شكر» وطالب بتحديد ملكية الأراضي، وظل محمود شكري ذراعًا أيمن لأحمد حسين حتى النهاية.

ورزق أحمد حسين شهرة كبيرة عندما فكر في تكوين مصنع طرابيش مصري يصنع الطرابيش التي كان يضعها المصريون على رؤوسهم وكانت تصنع في النمسا، ودعا المصريين للتبرع كل واحد بقرش، ونجحت الفكرة وجمع من هذا القرش ألوف الجنيهات التي أقام بها أحمد حسين مصنعًا للطرابيش فصنعها بطريقة لا تقل عن طريقة النمسا.

وكان لجماعة «مصر الفتاة» صحيفة هي «الصرخة» كانت صرخة جريئة بالفعل.

وتزامن قيام «مصر الفتاة» مع قيام «الإخوان المسلمين» بالقاهرة، وحدث نوع من الصراع والمعارضة كانت البادئة هي «مصر الفتاة» وتقبل الإخوان تنديدات مصر الفتاة بكثير من الحلم والإغضاء.

ومع الزمن كان الإخوان يتقدمون، بينما يفقد حزب مصر الفتاة جذوة الحماسة المتقدة، وكان الإمام البنا يعرف الإسلام بطريقة جديدة، وتأثر أحمد حسين بهذه الشمس الطالعة في الوقت الذي كانت تأفل فيه شمس الهتلرية والفاشية، فتحول أحمد حسين إلى الاشتراكية وبذل اسم الحزب فأصبح الحزب الاشتراكي، ولكن اشتراكيته كانت إسلامية وليست ماركسية، وحل نوع من التقارب محل التباعد أو الهجوم القديم، وكان أحمد حسين يؤمن كل يوم أكثر بفكرة الإسلام، وحدث أن فكر في أن يندمج الحزب الاشتراكي في الإخوان، ولكن هذه الفكرة لم تتجح، ولم يؤثر هذا على العلاقة الحسنة، وعندما مرت الإخوان بمحنتها وقف بجانبهم وترافع باسمهم في قضية اغتيال النقراشي وشيئاً فشيئاً عكف على الكتابات الإسلامية وأصدر عددًا كبيراً منها، وعندما حدثت هزيمة ١٩٦٧م أصيب بالشلل وتوفي بعدها.

ولكن قدر للحزب الاشتراكي أن يعود على يد الصحابي محمود شكري الذي كان قد تجاوب مع عبد الناصر، وعين وزيراً للزراعة في عهد السادات وشغل مناصب رفيعة في الاتحاد الاشتراكي، ولما أراد السادات أن يوجد نوعاً من الديمقراطية والتعددية الحزبية فإنه أيد تكوين حزب العمل - الصورة الأخيرة لمصر الفتاة والحزب الاشتراكي - على أن يكون على رأسه محمود شكري، بل دفع عددًا من خاصته ليكونوا من الأعضاء المؤسسين، وظهر حزب العمل بجانب حزب الأحرار وحزب التجمع وورث محمود شكري تراث أحمد حسين، واندفع قدمًا في الاتجاه الإسلامي الذي انتهى إليه أحمد حسين، وفي سنة ١٩٨٧م تألف حزب العمل مع الإخوان المسلمين مع حزب الأحرار وكسبوا قرابة مائة نائب، وأخذت الصحافة الحزبية واليسارية تهدد «الإخوان قادمون».

ولم يحدث شيء من هذا رغم أن المجلس كان به الدكتور حلمي مراد وممتاز نصار وغيرهما من الشخصيات السياسية البارزة والتي عرفت بالصلابة والأمانة وأعضاء آخرين بارزين لأن رئيس مجلس الأمة الداهية الدكتور رفعت المحجوب استطاع أن «يججم» هذه المجموعة القوية للمعارضة وأن يحول

دون أن تظهر قوانين الشريعة التي عكف عليها الشيخ صلاح أبو إسماعيل مع الدكتور صوفي أبو طالب
فقد أودعها درج مكتبه وأغلقه بالمفتاح واغتيل والمفتاح معه !!!

إن تقارب مصر الفتاة التي أخذت اسم «الحزب الاشتراكي» والتي ظهرت في ثوب جديد باسم
«حزب العمل» مثال فريد من اكتساب الإخوان تأييد حزب سياسي نابيه كان يمثل المعارضة ويُعد إلى حد
ما خليفة للحزب الوطني حزب مصطفى كامل ومحمد فريد وكانت صحيفة «الشعب» من أقوى صحف
المعارضة وأكثرها انتشاراً، ومن المؤسف أن الحزب انساق مع اتجاهه الإسلامي بتأييد أمينه العام عادل
حسين الذي كان ماركسياً في شبابه، ثم آمن بالإسلام إلى الدرجة التي أثارت مخاوف الحكومة، فانتهزت
فرصة إثارة صحيفة الشعب ضد مسرحية أساءت إلى الإسلام حجة لأن تحل الحزب وتصادر الجريدة،
وهناك قرابة عشرين حكم قضائي بعودة الحزب والجريدة.. دون جدوى.

ففي هذه البلاد تفعل الحكومة ما تشاء !!!

* * *

الأستاذ إحسان عبد القدوس ينصف الإخوان ويعلن ما يمكن أن نطلق عليه «وصية كاتب مسلم»

الأستاذ إحسان عبد القدوس كاتب ناب، وهو أحد الذين آثروا على الصحافة وتركوا بصمتهم عليها، فهو الناهض بمجلة «روز اليوسف» أقوى صحيفة معارضة، وأكثر صحيفة استخدمت الكاريكاتير، ثم أسس مجلة «صباح الخير» التي أثرت على المجتمع المصري تأثيراً بالغاً.

نشر الأستاذ إحسان أول كلمة تقدير للإخوان تحت عنوان «الرجل الذي يتبعه نصف مليون» ولما كان كاتباً موسوعياً، فناناً، وصحفيّاً، وروائيّاً، فإن رؤيته انتهت إلى الإسلام، وقد كتب في صباح الخير ما يمكن أن يطلق عليه «وصية كاتب مسلم».

بالطبع لم ينضم إحسان عبد القدوس للإخوان، ولكنه اتجه الاتجاه الإسلامي مما يمكن أن يصب في خندق الإخوان المسلمين.

وفيما يلي مقاله المشهور «الرجل الذي يتبعه نصف مليون»^(*):

اركب أي سيارة أجرة، وقل للسائق «الإخوان المسلمين» ولا تزدد.. لن يلتفت إليك السائق ليسألك ماذا تقصد بالإخوان المسلمين، ولا أين تقع هذه الدار التي يطلق عليها هذا الاسم، بل سيقودك إلى هناك دون سؤال بعد أن يرحب بك بابتسامة لم تتعود أن تراها على وجوه سائقي سيارات الأجرة، وقد يرفض أن يتناول منك أجراً، ولا شك أنه سيملك سلامه - قبل أن تغادره - إلى فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين.

وستمر في طريقك داخل الدار بمخازن الذخيرة التي يملكها الإخوان المسلمون، وذخيرة الإخوان هي الشباب.. شباب امتلأت بهم حجرات الدار على سعتها.. ترى على وجوههم نور التقوى والإيمان، وفي عيونهم حماسة الجهاد، وبين شفاههم ابتسامة تدعو إلى المحبة والإخاء، وفي يد كل منهم مسبحة انحنى عليها بروحه يذكر اسم الله.

وهم مع كل ذلك شبان «مودرن» لا تحس فيهم الجمود الذي امتاز به رجال الدين وأتباعهم ولا تسمع في أحاديثهم التعاويذ الجوفاء التي اعتدنا أن نسخر منها، بل أنهم واقعيون يحدثونك حديث الحياة لا حديث الموت، قلوبهم في السماء ولكن أقدامهم في الأرض يمشون بها بين مرافقها ويناقشون مشاكلها ويحسون بأفراحها وأحزانها، وقد تسمع منهم من «ينكت» ومن يحدثك في الاقتصاد والقانون والهندسة والطب.

إنهم ذخيرة.. وستنطلق عند الإشارة الأولى.. فاحذروا !!

(*) مجلة «روز اليوسف»، العدد ٩٠٠، بتاريخ ١٢/٩/١٩٤٥م

ويستقبلك الأستاذ حسن البنا بابتسامة واسعة، وآية من آيات القرآن الكريم يعقبها بيتان من الشعر يختمهما بضحكة كلها بشر وحياء !!

والرجل ليس فيه شيء غير عادي، ولو قابلته في الطريق لما استرعى نظرك اللهم إلا بضآلة جسمه ولحيته السوداء التي لا تتلاءم كثيراً مع زيه الإفرنجي وطربوشه الأحمر الغامق، ولن تملك نفسك عن التساؤل كيف استطاع الرجل أن يجمع حوله كل هؤلاء الإخوان؟ وكيف استطاع أن ينظمهم كل هذا التنظيم بحيث إذا عطس فضيلته في القاهرة صاح رئيس شعبة الإخوان في أسوان «يرحمكم الله» !!؟

ولكنك لن تلبث قليلاً حتى تقتنع بأن قوة الرجل في حديثه وفي أسلوبه الهادئ الرزين، وفي تسلسل أفكاره التي يعبر عنها تعبيراً منطقياً، وربما كان أغرب ما في حديثه أنه يحس بما يقوم في نفسك من اعتراضات، فيجيبك عنها ويفندها لك قبل أن يترك لك الفرصة لتصدمه بها.

وهو لبق يستطيع أن يحلل شخصيتك ويدرس نفسيتك من النظرة الأولى، وربما أحس إنني دخلت إليه وتحت لساني مائة تهمة أستطيع أن أوجهها إليه، فكان من لباقتة أن عرض عليّ قبل أن أغادره تقريراً عن الحسابات المالية لجمعية، وفي هذا التقرير تقرأ عجباً.

فهذا «أخ» أراد أن يساهم في شراء دار الإخوان ولم يكن يملك مالاّ قباع أرضه وخصص ثمن أربعمئة متر منها للجمعية وصورة العقد والتخصيص منشور بالزنگراف ضمن التقرير.

وهذه زوجة لم تجد لديها ما تقدمه فوهبت قرطها الذهبي وكان حليتها الوحيدة للإخوان، وصورة القرط منشورة أيضاً ضمن التقرير.

وهذا رجل من مسلمي بومباي في الهند تبرع بفتح اكتاب بين ابناء بلده للمساهمة في بناء الدار.

وهذا زوج اختلف مع زوجته فهو يريد أن يتبرع للجمعية بجنيه واحد وهي تريده أن يتبرع بثلاثة جنيهات، وجاء ليحتكما إلى الأستاذ حسن البنا، فحكم بينهما بأن يتبرعا بجنيهين اثنين حسماً للنزاع.

وهذا رجل آخر من العراق يرسل تبرعه عن طريق سعادة عبد الرحمن عزام بك.. وآخر يتعهد بكل ماله لتغطية كل ما تحتاجه الجماعة من مال.. و.. و..

وبين أسماء المتبرعين أعضاء في مجلس النواب وشخصيات كبيرة وشباب لامع لم أكن أحسب أنهم يدخلون ضمن النصف مليون الذي يؤمن بالأستاذ حسن البنا.

نصف مليون وأكثر انتظموا في أكثر من ألف وخمسمائة شعبة انبثت في كل قرية وكل «كفر» وبينها مائتان وخمسين شعبة في القاهرة وحدها، وهناك شعب في جميع البلاد العربية، وكانت هناك شعب في باريس ولندن وجنيف قبل قيام الحرب.

وفي ١٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٨م وبعد ثلاث سنوات وأيام، كتب الأستاذ إحسان مقاله المؤلم الأليم.

وهذه فقرات منه:

• كان الإخوان المسلمون قوة كبرت على حساب الحكومات السابقة التي كانت تستغلها في محاربة الوفد.

• إن جلسة واحدة مع مرشد الإخوان تقنعك بان الزعيم الناجح لابد أن يختار ثوبًا من ثوبين اثنين يظهر به أمام الجماهير ليتمكن من السيطرة على أتباعه نفسيًا، إما أن يرتدي ثوب المظاهر البراقة فيقتني القصر المنيف والسيارات الفاخرة، وإما أن يرتدي ثوبًا آخر لا مظهر فيه ولا بريق، ولكن فيه سرًا عرفه مرشد الإخوان.

ثوب يقول كل من يراه أن صاحبه يؤثر الأخرى عن الأولى والباقيات على الفانيات.

هذا الثوب نمقه مرشد الإخوان فأحسن بتنميته، فهو يبتدي لزارئيه الكثيرين وأتباعه العديدين في جلبابه الأبيض ومعطفه الأسود الشالح، وقد انجنى ركنًا تخاطفت فيه الظلال من أركان قاعة فسيحة سقط طلائها وتآكل بلاطها الذي يطل من تحت عدد من الأكلمة الصوفية البالية وانتشرت فوقها بغير نظام مقاعد ناقصة الأرجل جوفاء النسيج.

هذا هو حسن البناء زعيم المليونين !!

أليس الرجل قديسًا.. أليس الرجل صديقًا.. لابد أن يكون كذلك في نظر أتباعه على الأقل.

• ودخل أحد الأعضاء يعلن للمرشد العام أن الحكومة قررت اتخاذ دار المركز العام مخفرًا للبوليس. وهنا ضحك المرشد ضحكة طويلة، وقال.. ها هم الإخوان كدأبهم دائمًا يساهمون في مكافحة أزمة المساكن بتقديم خمسة آلاف دار لشغلها.

ثم عاد يقول: إن سحب شهادة الميلاد من الشخص (يقصد حل الإخوان) لا يفقده كيانه ووجوده الإنساني.

ثم نتركك لتفهم ما يعنيه.. فنتنظر إلى عينيه فإذا فيهما علامات النهاية.

وقد ظهر أن هذا الإنصاف يعود إلى جذر إسلامي عريض في حياة إحسان عبد القدوس - الذي قيل عن أنه تربى بين أحضان الممثلات - ولا يضير الأستاذ إحسان أن يكون ابنًا لروز اليوسف، بل إنه أمر يفخر به، لأن الممثلة القديرة روز اليوسف كانت «موهبة»، والموهبة لا يعينها الجنس أو الأصل، إنها تتوهج في أي مكان، وفي كل مكان، ومع أن لها إنتاجًا فنيًا وصحفيًا ثمينًا، وأنها أدارت مجلة، وجريدة، روز اليوسف بيد قديرة وواثقة، فإن إنتاجها الأعظم يظل هو إحسان عبد القدوس، وقد كتب الأستاذ إحسان عبد القدوس في أيامه الأخيرة مقالًا طويلًا في مجلة صباح الخير في ١٧/١/١٩٩١م يمكن أن يُعد «وصية كاتب مسلم».

إن مقال الأربعين، ومقال التسعين يضعانه في خانة الذين أنصفوا الإخوان، إما بالاسم، وإما بأن الإسلام منهج حياة، وهو المثل الذي أراده الإخوان.

وفيما يلي مقاله في ١٧/١/١٩٩١م الذي يمكن أن نطلق عليه «وصية كاتب مسلم»:

[٢]

«لقد نشأت في بيت جدي لأبي الشيخ أحمد رضوان، وقد كان من خريجي الأزهر الشريف ومن رجال القضاء الشرعي.. وكان جدي حريصاً على تنشئة أفراد العائلة كلها على الإيمان الكامل بالإسلام وأداء كل الفروض والاستجابة لكل التعاليم.. ومن قبل أن أصل إلى السابعة من عمري وأنا أحاول استكمال قدرتي على أداء كل الفروض.. كالصلاة والصوم وحفظ آيات القرآن.. وربما كان جدي يعتبر مغالياً في تزمته على أداء الفروض.. حتى أنه كان يحرم علينا أن نؤدي الصلاة ونحن نرتدي ثوباً يكشف عن ساقينا فوق الركبة.. وقد كنت أذهب إلى المدرسة الأولية ثم المدرسة الابتدائية وأنا أرتدي بنطلوناً قصيراً يكشف عن ركبتي.. فكيف أؤدي صلاة الظهر وأنا في المدرسة؟! لذلك كانوا يضعون في حقيبتي التي أذهب بها إلى المدرسة جورباً طويلاً يرتفع على ساقي حتى يغطي ركبتي حتى ألجأ إليه كلما حل موعد صلاة الظهر لأؤديها داخل جامع المدرسة.

وكننت لم أصل إلى عمر السابعة عندما حفظت جزء «عم» من القرآن الكريم ثم بدأت أحفظ من القرآن على مدى العمر.. وإن كنت لم أحفظه كله إلا أنني قرأته كله عشرات المرات واستوعبت كثيراً من الآيات.. لازلت إلى اليوم أرددتها دائماً وفي كل يوم تبركاً وتقرباً إلى الله سبحانه وتعالى.. وتزوداً باستكمال راحتي النفسية وشخصيتي المسلمة.

ولكن بعد أن نما وعيي وتجاوزت سن الخامسة عشرة بدأت تدهمني حيرة دينية ربما كان سببها أن بدأت ألاحظ اختلاف مظاهر الإيمان بين الأفراد المسلمين.. فكثير من مظاهر المجتمعات الإسلامية مختلفة في أداء ما يفرضه الإسلام.. وبدأ فكري يسيطر عليّ حتى أفنعتني بأني لا يجب أن أكتفي بأن أكون مسلماً بالوراثة.. أي مسلم.. لأن أبي وجدي وجد جدي مسلمون.. بل يجب أن أكون مسلماً عن اقتناع بالإسلام أي أن أختار الإسلام إيماناً ولست مجرد مستسلماً له.. ولذلك بدأت أفيض في دراسة الإسلام.. دون أن أتخصص كرجل دين إنما لمجرد إقناع نفسي بما أؤمن به.. ووصلت بي دراسته إلى حد أنني بدأت أحاول اكتشاف أسرار تعاليم الديانة اليهودية ثم الديانة المسيحية.. وكننت أتعمد لقاء رجال الدين اليهودي والمسيحي لأفهم منهم وأجادلهم.. وانتهى بي هذا البحث الذي استغرق شهوراً طويلة إلى أن اخترت الإسلام ديناً عن إيمان قائم على اقتناع.. ولكن هذا الجهد العنيف الذي بذلته خلال هذه الشهور أدى إلى حالة معاناة إلى حد أن رقدت في فراشي مريضاً بمرض عجز عن شفائي منه الأطباء.

وفي فترة مرضي جاءني أبي المرحوم محمد عبد القدوس رضوان بالمصحف الذي كان خاصاً بجدي وكانت العائلة تحتفظ به بعد أن مات تبركاً وتكريماً لذكراه.. وقال لي: اقرأ يا بني.. فالله هو القادر على شفائك.

وقد قرأت القرآن كله وأنا راقد في فراشي.. ولكنني أحسست بأني قرأته تيرگا وتوسلاً إلى الله أن يشفيني.. ولم يكن هذا هو كل ما أريده.. فبدأت أقرأ القرآن مرة ثانية وأنا أحاول أن أفهم وأفسر كل آية وكل كلمة من كلمات الله.. وأستعين على الفهم بكتب التفسير التي تزدهم بها المكتبة التي تركها جدي.. ولكنني مع هذا انتهيت من قراءة القرآن كله ولا أزال قاصراً عن فهم وتفسير بعض الآيات.. فبدأت أقرؤه مرة ثالثة.. وأضع بنفسي تفسيراً لكل ما كنت عاجزاً عن استيعابه.. واسترحت.. استكملت إيماني على أساس اقتناعي وفهمي.. وشفيت فعلاً من مرضي.. ومما أدهشني أن كثيراً من الآيات التي كنت أعتقد أنني وصلت إلى تفسيرها بنفسي ووفقاً لعقليتي كانت قد سبق أن فسرت وسجل تفسيرها نفس التفسير الذي وصلت إليه.. وهو ما أقتعني بأن صدق وعمق الإيمان يمكن أن يصل بالمؤمن إلى التفسير الصحيح.. وإن كنت أتمنى وأدعو حتى اليوم في أن يبذل رجال الدين الإسلام مجهوداً أكبر في إعلان التفسيرات المبسطة التي يمكن أن تصل إلى عقول البسطاء.. حتى تتم وحدة كل مظاهر الإيمان بين المسلمين.

(٢)

إنني أعيش كمسلم.. كل حياتي الخاصة والعامة تجري تحت تأثير من وحي بالإسلام فإن أصبت في تصرفاتي فلأن الإسلام وفقني إلى أن أصيب.. وأن أخطأت فلأنني عجزت عن اتباع ما يفرضه الإسلام عليّ.

(٣)

الدين هو الأساس الذي يقوم عليه كيان الإنسانية كلها.. الدين هو محاولة الوصول إلى حكم القدر.. والقدر هو ما يحكم به الله.. والكيان الإنساني متعدد الجبهات بتعدد الأديان.. بما فيها من أديان سماوية وأديان أرضية.. وقد حاولت بعض جبهات هذا الكيان في الإنسان أن تنكر الأديان.. أي تنكر وجود الله.. ولكن هذه الجبهات مهما طال بها زمن الوجود فمصيرها أن تعود إلى الاعتراف بالله والخشوع له وللقدر الذي يفرضه على خلقه.. ولن يتحقق السلام بين بني الإنسان إلا إذا تقاربت الأديان إلى أن تتجمع في دين واحد.. دين الإسلام.

(٤)

إنني أعتقد أن أي كاتب باللغة العربية لا يستطيع أن يجمع حواراً قرأه إلا إذا كان أساساً قد استوعب قراءة القرآن.. فالقرآن هو أساس أسلوب اللغة العربية.. أو هو الموسيقى للغة التي يقوم عليها أي تطور موسيقي في اختيار أسلوب الكتابة بالعربية.. وحتى الكاتب إذا لم يكن مسلماً لا يستطيع أن يكتب باللغة العربية إلا إذا استوعب أسلوب أو رنات صياغة كلمات وآيات القرآن.. ومعروف أن المرحوم مكرم عبيد باشا كان عبقرية في إلقاء الخطب وكتابة الرسائل باللغة العربية، لأنه كان يحفظ القرآن رغم أنه قبطني الديانة.. وهكذا كل كاتب عربي.. وأنا نفسي لا أعتقد أنني استطعت أن أكون كاتباً ولي قراء إلا لأني بدأت باستيعاب أسلوب ورنات لغة القرآن.. أما بالنسبة للمفكرين فإن القرآن يعتبر الأساس الفكري لأي محاولة في تفسير الواقع والمستقبل الإنساني.

ولا يمكن لأي فكر سواء فكر إسلامي أو غير إسلامي أن يستوعب أسس الكيان الإنساني ومصير
الإنسان إلا باستيعاب ما سجله القرآن وهو ما يشمل كل تفاصيل الحياة وما بعد الحياة.

(٥)

الهدف الذي يدعو إليه الإسلام هو أن يصل بوحدة الإيمان إلى وحدة الوجود أي أن يجمع المسلمون
أنفسهم في قوة موحدة مهما تفرقوا في دول أو في نظم إدارية أو شعوب منتشرة في كل نواحي الأرض..
أي أن نصره الإسلام تقوم على وحدة المسلمين.

(٦)

الإسلام دين يحتفظ للمرأة بكامل شخصيتها وكامل حقوقها.. وهو دين يعترف بواقعية طبيعة المرأة
وواقعية طبيعة الرجل.. يجمع بين الطبيعتين ويصونهما على أساس إشهار وإعلان العلاقة بينهما.. ومن
وسائل الإشهار مثلا هو عقد الزواج.. وإذا كان قد أباح للرجل الزواج بأربع نساء تحت شروط محددة
مفروضة عليه.. فلأنه حريص على ألا تفرض عليه طبيعته علاقة خفية سرية بينه وبين أي امرأة.. ولكن
شعوباً أخرى لا تدين بالإسلام تفرض على نفسها علاقات خفية سرية بين الرجل والمرأة.. وهو ما
يرفضه الإسلام ويعتبر جريمة يعاقب عليها.. وهي جريمة الزنا.. مهما كان الدافع إليها منطلقاً من
الطبيعة التي خلق بها الرجل.. فالمرأة المسلمة أقوى في مواجهة الواقع من أي امرأة تدين بدين آخر..

انتهى اعتراف الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس.. رحمه الله

الإخوان المسلمون أول حركة اجتماعية حديثة

بقلم: ايفيزا لوبن

[هذه الكلمة هي محاضرة ألقته الأستاذة ايفيزا لوبن Ivesa Lubben في المركز الأكاديمي الألماني، والأستاذة ايفيزا لوبن سيدة ألمانية تخصصت في دراسة الدعوات الإسلامية المعاصرة، مع عناية خاصة بالإخوان المسلمين، وقد أقامت فترة طويلة في سوريا والقاهرة، وهي تجيد العربية وفي مكتبتها الخاصة كل ما كتب عن الإخوان بالعربية، بالإضافة إلى ما كتب بالألمانية، وقد تعرفت علينا ووثقت علاقتها بنا وبفضل هذه الملاحظات فإنها توصلت إلى ما عجز عنه كل من كتب عن الإخوان من أوروبيين ومستشرقين، كما أنها لحظت ما فات الكتاب الإسلاميين لاستغراقهم في اتجاههم الديني، فوجدت أن الإخوان ليست هيئة أصولية بالمعنى التقليدي قدر ما أنها محاولة لتحديث الإسلام وأسلمة الحداثة].

جاءت الانتخابات البرلمانية المصرية في نوفمبر سنة ٢٠٠٠م بأكبر المفاجآت للمراقبين، ألا وهي النجاح المعقول نسبياً للإخوان المسلمين، فبالرغم من التدخلات الضخمة لقوات الأمن، وأيضاً رغم حملة الاعتقالات الجماعية والمحاكمات التي تعرض لها أعضاء الجماعة منذ منتصف التسعينيات - والتي غالباً ما استهدفت أنشط الكوادر الوسيطة - برغم كل هذا حصل الإخوان على سبعة عشر مقعداً في البرلمان، ومع أن هذا العدد لا يمثل سوى ٥% من مقاعد البرلمان، إلا أنه يزيد عما حصلت عليه أحزاب المعارضة مجتمعة.

لهذه النتيجة قبل كل شيء معنى رمزياً يتجاوز كثيراً الوزن البرلماني الفعلي للإخوان المسلمين، فقد كشف هذا للرأى العام أن الإخوان يمثلون القوة المعارضة الوحيدة الحقيقية في مصر، بل يمكن القول أنها القوة الوحيدة الفاعلة اجتماعياً، التي تتمتع بنفوذ جماهيري يتجاوز حدود النخبة السياسية والثقافية في مصر، وهذا بالرغم من الحظر الذي فرض عليها منذ أيام جمال عبد الناصر ولمدة تزيد عن نصف قرن من الزمان، وإذا ما أخذنا بالاعتبار أن عدد الأعضاء العاملين بالإخوان بلغ نحو نصف مليون عضو في نهاية الأربعينيات، فإنها تمثل منذ ذلك الحين وحتى الآن أقوى المنظمات المستقلة في تاريخ مصر الحديثة، وإحدى أقوى الحركات الجماهيرية في الشرق الأوسط.

لا يمثل الإخوان المسلمون قوة سياسية واجتماعية هامة في مصر فحسب، بل للمنطقة ككل، إذ أن الطلاب الوافدين من البلدان العربية والذين احتكوا بحركة الإخوان أسسوا منذ فترة مبكرة فروعاً في بلدانهم الأم، واليوم توجد تنظيمات إخوانية - شرعية أو غير شرعية - في بلدان كثيرة من أهمها التنظيمات الموجودة في سوريا ولبنان والكويت واليمن والسعودية والجزائر والمغرب والسودان. كما وأن الكثير من إخوان الجيلين الأول والثاني يعملون كمستشارين سياسيين في العديد من البلاد الإسلامية من المغرب وحتى ماليزيا، ومن بين الإخوان أعضاء مؤسسون في الشبكات الدولية للبنوك الإسلامية، ومن بين هذين الجيلين أيضاً من بنى مؤسسات الإغاثة الإسلامية العاملة على المستوى العالمي، ومن

بينهم أيضاً من وضع أسس تيار أسلمة العلوم، خاصة فى ماليزيا والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن التأثير الحالى الملحوظ للإخوان المسلمين على الجاليات الإسلامية فى أوروبا والولايات المتحدة.

وفى مصر، يلعب هؤلاء المتأثرون سياسياً وأيديولوجياً بتيار الإخوان المسلمين - سواء كانوا ملتزمين بفكر الجماعة أو مجرد متعاطفين معها، وبغض النظر عن طبيعة العلاقات التى تربطهم بالقيادة الحالية للجماعة - يلعب هؤلاء أدواراً هامة سواء فى النقابات المهنية أو فى المساجد أو البنى الاقتصادية أو كمتقنين أو أعضاء فى السلك القضائى أو فى الشبكات الاجتماعية غير الرسمية.

لقد أثرت حركة الإخوان المسلمين ومؤسسها حسن البنا تأثيرات حاسمة على الخطاب الإسلامى، ومن خلال هذا أثروا تأثيراً ملحوظاً على التطورات الاجتماعية والثقافية والأيديولوجية فى العالم الإسلامى أجمع، وفى غالب الأحيان حدثت هذه التأثيرات دون الرجوع علناً إلى اسم الجماعة أو الاعتماد على حسن البنا، فالخطاب يميل عادة إلى إعادة إنتاج نفسه تاركاً خلفه المؤلف فى دائرة النسيان.

ملاحظات نقدية على الأدبيات السابقة:

قبل أن أقدم فرضياتى الخاصة، أريد أن أبدأ بتسجيل بعض الملاحظات النقدية على ما قدم حتى الآن فى الغرب وكذلك العالم العربى، خاصة مصر حول هذا الموضوع.

رجوعاً إلى الخطاظة الأولية التى أشرت إليها فى البداية حول الإخوان المسلمين، سنتوقع وجود عدد هائل من الباحثين الذين اهتموا بدراسة جماعة الإخوان ومؤسسيها. وسنتوقع كذلك أن القضايا التفصيلية - ومنها على سبيل المثال موقف الإخوان من قضية المرأة، وتصورهم للنظام الدولى، وتصورهم للسياسات الاقتصادية والاجتماعية.. إلخ - قد عولجت بتعمق وعلى نحو شمولى، وأن سيرة حياة حسن البنا وبقية مؤسسى الحركة متوفرة فى لغات كثيرة مثلما هو الحال بالنسبة للشخصيات البارزة الأخرى فى القرن العشرين.

بيد أن الغريب فى الأمر، وعلى عكس المتوقع، أنه لا تكاد توجد أية كتابات فى الموضوعات المشار إليها خارج العالم العربى، فهناك فيض من الكتابات حول الإسلام كدين، والإسلام السياسى، والأصولية الإسلامية، والإرهاب الإسلامى، والمرأة والإسلام.. إلخ، بينما لا يتجاوز عدد الدراسات التى يمكن أخذها بجدية حول أهم واكبر حركة إسلامية جماهيرية فى القرن العشرين عشر دراسات تقريباً.

صحيح أن الكثير من الكتب التى تتناول موضوع «الأصولية الإسلامية» تتناول من ضمن جماعة الإخوان المسلمين فى عدة صفحات أيضاً، لكن إذا ما دققنا النظر قليلاً سنجد أن أحداً لم يكدهم يرجع إلى المصادر الأصلية العربية، كرسائل حسن البنا ذاتها على سبيل المثال، فالكل ينقل عن سبقه، وبالتالي يبتعد الخطاب المصاغ حول الإخوان المسلمين أكثر فأكثر عن الواقع التاريخى الفعلى. ويظل العمل الموسوعى الوحيد المتوفر عن هذا الموضوع حتى الآن هو رسالة الدكتوراه التى أعدها ريتشارد ميتشيل (Richard Mitchell) فى نهاية الستينيات، وقد ترجمت إلى لغة واحدة فقط وهى العربية.

هناك إذن فجوة بحثية ومعرفية واضحة حول حركة الإخوان ومؤسسيها، سواء فى الأدبيات العلمية أو فى وسائل الإعلام، وعادة ما يتم ملاً هذه الفجوة بتخمينات وأسطرة وإسقاطات متعسفة.

ربما كان أحد أسباب هذا هو أن انتباه المراقب - وهذا ينطبق على الصحفيين والمحررين في وسائل الإعلام مثلما ينطبق على الكثير من الباحثين المختصين بالشرق الأوسط - ينصرف إلى كل ما هو مثير وغير عادي، فالظواهر التي تشكل الآخر الثقافي/ الحضاري بوصفه نقيضاً متطرفاً للأنما هي الأكثر تشويقاً وإثارة، أما الجماعات الإصلاحية الأقل إثارة فلا تحقق هذه الوظيفة، ومن ثم يتم إهمالها.

يتحول هذا الإهمال إلى نوع من انعدام الأمانة في البحث، بل ويوشك أن ينقلب خطراً إذا ما أدى تناول ما هو استثنائي إلى استخلاص نتائج عامة وقطعية يتم إسقاطها بدون تحقيق أو مراجعة على تيارات أخرى.

هذا ما حدث بالضبط خلال العقدين الأخيرين في المناظرة حول ما يسمى بالأصولية الإسلامية، فقد اندلعت المناظرات الحديثة حول ما هو إسلامي بسبب أحداث تاريخية فارقة لها بُعد عالمي، مثل إسقاط الشاه في إيران واغتيال الرئيس السادات في مصر، فانطلاقاً من هذه الأحداث ركزت الأبحاث على أسباب العنف الإسلامي ونشأة الجماعات المتطرفة ومن هنا تم تعميم النتائج على كافة أشكال التيارات الإسلامية بما فيها الحركات الإصلاحية، دون الأخذ بعين الاعتبار لما بينها من اختلافات وتميزات كبيرة.

وهنا سوف أتطرق إلى عدة أمثلة لتوضيح ما أعنيه:

كانت فرضية التهميش، وما زالت، أحد النماذج التفسيرية المفضلة بصدد تحليل نشأة الجماعات الإسلامية الراديكالية: فوفقاً لهذا النموذج التفسيري تجتذب الأصولية صبية مهمشين وشباباً لا يتوفر لهم أفق للتحقق في المستقبل، ووفقاً لهذا المنظور تبدو الأصولية أيديولوجية حثالة البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة المحبطة، ينطلق رينهارد شولتسه (Reinhard Schulze) مثلاً، الذي يُعد أحد الدارسين الجادين للإسلام في المناطق المتحدثة بالألمانية، من هذه الفرضية، وذلك في سياق حديثه عن نشأة الإخوان المسلمين.. فحسن البناء، طبقاً لما أشار إليه شولتسه في دراسته عن الإسلام في القرن العشرين، كان محبطاً لأنه لم يحصل بعد تخرجه سوى على وظيفة مدرس في الإسماعيلية، أي في أحد الأقاليم وليس في القاهرة، ومن ثم يعتبر شولتسه أن تجربة الإحباط هذه، واحباطات أخرى متعلقة بطفولته، كانت أحد العوامل الذاتية التي دفعته لتسييس الإخوان المسلمين^(١).

لكن الصورة سوف تختلف تماماً عما ذكره شولتسه إذا ما قرأنا الخطابات التي أرسلها حسن البناء ابن الثالثة والعشرين من الإسماعيلية إلى والده، فالشاب كان فخوراً بحصوله على راتبه الأول ومن ثم طلب حضور أخيه الأصغر إلى الإسماعيلية حتى يعتنى بتربيته ويخفف من حمل والديه، واستطاع البناء فضلاً عن ذلك أن يندمج وبسرعة في النخبة المحلية للإسماعيلية، وأن يتزوج من ابنة أحد التجار المرموقين بالمدينة^(٢)، الأمر إذن أقرب إلى أن يكون قصة نجاح وليس إحباطاً كما أشار شولتسه.

(١) انظر:

einhard Schulze, *Geschichte der islamischen Welt im 20. Jahrhundert*, München, 1994, S.124f

(٢) جمال البناء: خطابات حسن البناء الشاب إلى أبيه، القاهرة.

وفى أعمال أخرى يتم إسقاط الموضوعات الإسلامية العامة على الجماعات المفردة، فاندرياس ماير (Andreas Meier) ، الذى حرر بالألمانية مجموعة من نصوص مصادر الحركات الإسلامية، يطرح السؤال الآتى: لماذا تمكنت الناصرية من الهيمنة الأيديولوجية مقارنة بالبرنامج الإسلامى للإخوان؟، وتقول إجابته أن الإخوان أرادوا أن تكون حركة التحرر من الاستعمار البريطانى فى إطار الخلافة العثمانية التى يجب استعادتها، بينما أراد الضباط الأحرار أن يكون هذا التحرر فى إطار الدولة القومية، وفى النهاية نجحت خطتهم الأقرب إلى الواقع^(١).

إذن.. هل كان الهدف الحقيقى للإخوان المسلمين هو استعادة الخلافة؟!، صحيح أن قضية الخلافة كانت موضع نقاش حيوى فى عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضى، لكن الإخوان كانوا بعيدين عن تلك الحوارات بل وتجاهلوها، ولقد ناقشها البنا فى صياغات حذرة ومهذبة وهو الأسلوب الذى اعتاده البنا فى تعامله مع خصومه وحلفائه على السواء دون استخدام هجوم لفظى قاس، نقول أن البنا ناقش مسألة عودة الخلافة فى المؤتمر العام الخامس عام ١٩٣٩م^(٢) بوصفها أمراً غير واقعى محيلاً إياها إلى مقعد انتظار التاريخ حتى لا يعاد الحديث عنها مرة أخرى، ولدينا الكثير من الأمثلة لهذا النوع من الاستقراء المنطقى وتعميم العام على الخاص.

يصبح هذا التعميم وخيم العاقبة فى الحوارات العامة بعد ١١ سبتمبر، وبالتحديد فيما يخص قضية العنف، ففي أغلب الدول الغربية ترسخ تصور يأخذ بهذا التطابق السهل: الإسلامية = الأصولية = العنف، وعلى أساس مثل هذه الصورة رأى البعض أنه من المشروع اتخاذ مواقف تمييز بدون تفرقة ضد كل أشكال الإسلام السياسى وتجريمها فى المجال العام، بل أخذ رأى العام نفسه يطالب بذلك، ونذكر فى هذا السياق، على سبيل المثال الحوارات حول إمكانية حظر جماعة ميللى جورس (Milli Görüs) القريبة من الإخوان المسلمين والتى تعد أكبر جماعة إسلامية تركية فى ألمانيا.

وإذا ما انتقلنا إلى المناظرات الجارية فى مصر نجد أنفسنا أمام مشكلة من نوع آخر: فلقد صدر فى مصر، ولازال يصدر، عدد لانهاى من الكتب حول جماعة الإخوان فى مراحلها الأولى. لكن نشر أكثر هذه الكتب يُعد جزءاً من الصراعات السياسية الحالية لذا تكون تلك الكتب مؤدجة بشدة، والقليل من هذه الأعمال ما يلتزم بالمعايير العلمية، وتأتى هذه المؤلفات لتبرير الموقف السياسى الخاص بالمؤلف، سواء كان مع الإخوان أو ضدهم. وهذا ما أدى الى أشياء متناقضة ومثيرة للضحك بمعنى الكلمة أحياناً: ففي فترة الأربعينيات اتهمت تقارير استخباراتية الإخوان بأنهم يخططون لمؤامرة شيوعية، هذا بينما يفسر الإخوان مطاردة الحكومة لهم بأسباب عدة منها أنها مؤامرة شيوعية ضدهم.

مثال آخر يتمثل فى رفعت السعيد، السكرتير العام لحزب التجمع اليسارى، وأحد أبرز من انتقد حركة الإخوان. فعندما يتحدث إلى مستمعيه اليساريين فإنه يتهم الإخوان بأنهم كانوا عملاء للبريطانيين.

(١) Andreas Meier, Der politische Auftrag des Islam, Wuppertal, 1994

(٢) رسالة المؤتمر الخامس، فى: حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٤٤ وما يليها.

وهنا يشير إلى اتصالات جماعة الإخوان المسلمين بالسفارة البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية. وعندما يريد أن يبرر مطاردة الحكومة لأعضاء الجماعة، فإنه يشير إلى الهجمات التي قام بها بعض الإخوان في الأربعينيات على المؤسسات البريطانية وعلى العناصر المؤيدة للبريطانيين، وذلك بهدف التذليل على الجنور الإرهابية للجماعة.

لا نستطيع إعفاء الإخوان أنفسهم من المسؤولية في هذا الصدد حيث قدم بعض الإخوان معالجات سطحية للغاية لتاريخهم المبكر، باستثناء بعض الكتب التي أضاعت بعض من جوانب هذا التاريخ، خاصة السير الشخصية لمعاصري حسن البنا من رفاقه. ففي دار نشر واحدة تجد كتباً تسعى إلى إقامة علاقة تواصل فكرى بين حسن البنا وسيد قطب، جنباً إلى جنب مع كتب أخرى تقرر عكس ذلك، دون أن يشير أحد المؤلفين إلى الأخرى، أو يبذل جهداً لمناقشة هذه القضية.

هناك أيضاً مشكلة بحثية أخرى تتعلق بالمنهجيات المستخدمة فالأبحاث حول الحركات الاجتماعية، والنقابات المهنية والتيارات الشبابية، أو حول تغيرات الخطاب السياسى، يتم عادة إنجازها داخل حقل البحث الاجتماعي، ولأجل ذلك تم تطوير أدوات بحثية كاملة سواء للدراسات النظرية أو الإمبريقية، أما الأبحاث حول الحركات الإسلامية فقد بقيت في الغالب خارج حقل السوسيولوجيا، إذ تم التعامل معها على أنها حكر للعلوم الإسلامية التي تعتبر نفسها علوم فقه - لغوية تستهدف النص فحسب - وتميل بالتالى إلى النظر إلى كل الظواهر الاجتماعية فى البلدان الإسلامية من خلال منظور دينى، وكثيراً ما لا توجد لتلك العلوم الإسلامية أية علاقة بالواقع الاجتماعي الذى تنشأ وتتطور فيه الحركات الإسلامية وما تنتجه من خطاب، وعليه لا يصبح بإمكان تلك العلوم الإسلامية تفسير المعنى الاجتماعي لهذا الخطاب.

قراءة مغايرة لحركة الإخوان المسلمين كحركة اجتماعية حديثة:

أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين، كما سبق وأشرنا عام ١٩٢٨م في مدينة الإسماعيلية، وكانت الإسماعيلية آنذاك مقراً لشركة قناة السويس التي يسيطر عليها البريطانيون. من هنا كانت المدينة في نظر الكثير من المصريين رمزا للوجود الاستعماري بحى فيلات الأجانب والأحياء الفقيرة التي تأوي العمال وأسره من أبناء البلد ولقد ظهر هذا بوضوح في قسم الولاء لأول مجموعة إخوانية: «لا ندرى ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين ولقد سئمنا هذه الحياة، حياة الذلة والقيود، وها أنت ترى أن العرب والمسلمين في هذا البلد لا حظ لهم من منزلة أو كرامة، وأنهم لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين لهؤلاء الأجانب (...) وإن جماعة تعاهد الله مخلصه على أن تحيا لدينه، وتموت في سبيله، لا تبتغى بذلك إلا وجهه، لجديرة أن تنتصر، وإن قل عددها وضعفت عددها»^(١).

كان البنا يطمح إلى تأسيس نظام اجتماعي إسلامي ودولة إسلامية تقوم على قيم أساسية مثل «الأخوة» و«النهوض بالرجل والمرأة معاً» و«تأمين الحق في الحياة والتعليم والملكية والعمل على

(١) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية. والنص منقول عن:

Richard P.Mitchell, The Society of the Muslim Brothers, Oxford 1993, S.8.

العناية الصحية» وكذلك على «الحرية والأمن»، وهو ما شرحه في رسالة «بين الأمس واليوم»^(١)، أما الاهتمام بالسياسة الخارجية فقد تمثل لديه بداية في تحرير مصر من نير الاستعمار.

نمت جماعة الإخوان المسلمين في وقت قصير حتى أصبحت نوعاً جديداً تماماً من التنظيمات الاجتماعية، ولم يأت هذا من فراغ فقد انطلق البناء من الأشكال الموجودة بالفعل للتنظيمات الاجتماعية بغرض إعادة صياغتها والوصول بها إلى مستوى أعلى للفاعلية والتدخل الاجتماعيين وهذا تمثل في:

أولاً: شهدت مصر قبل ظهور الإخوان حركات وانتفاضات شعبية واسعة، مثل تلك المظاهرات التي قادها سعد زغلول وحزب الوفد ضد البريطانيين عام ١٩١٩م، لكنها ظلت انتفاضات شعبية عفوية، وكانت الأحزاب آنذاك - باستثناء الوفد - شبكات مصالح لشرائح النخبة الأرستقراطية ونخبة الطبقة البرجوازية العليا، ولم تكن بالتالي تمتلك أية جذور جماهيرية وفي سنوات ما قبل تأسيس جماعة الإخوان المسلمين نمت شبكة من الجمعيات الإسلامية، لكنها كانت في الغالب الأعم مندديات خطابية حوارية أو جمعيات خيرية، أما البناء فقد صاغ إستراتيجيته انطلاقاً من «الفرد المسلم»، مروراً بـ «الأسرة المسلمة»، ثم «الشعب المسلم»، نهاية بالحكومة الإسلامية»، تلك الإستراتيجية التي جمعت بين التنقية الروحية للفرد المسلم، والتحديث المجتمعي، وتطوير القدرة على الفعل السياسي، في سياق عضوي اجتماعي جديد.

ثانياً: وجد كذلك قبل البناء مصلحون إسلاميون مثل الأفغاني وعبدو ورشيد رضا صاحب مجلة المنار، لكن هؤلاء مثلوا تياراً إسلامياً فكرياً افتقد الربط بين الفكرة والفعل الاجتماعي، في حين تمكن البناء من تحويل هذا التيار الفكري الإسلامي إلى أيديولوجية سياسية شعبية، وخلق تنظيمًا يُعد بمثابة الحامل والتجسيد الاجتماعي لهذه الأيديولوجية.

ثالثاً: حاول البناء أن يتجاوز انقسام الحركات والمؤسسات الإسلامية بين إسلام صوفي وسلفية نصية أخلاقية منغلقة، كما رفض أيضاً انقسام الخطاب الإسلامي الفقهي إلى مذاهب مختلفة، لقد كان يفضل إسلاماً بسيطاً يسيراً لكن من دون أن يشكك في السلطة الفقهية للأزهر.

وقد صاغ البناء السمات الأساسية للجماعة في مؤتمرها الخامس بالكلمات التالية: «دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية»^(٢).

في نهاية الأربعينيات أصبح لدى الإخوان المسلمين في كافة أنحاء البلاد مراكز يضم كل منها مسجداً ومدرسة، وكثيراً ما كان يضم أيضاً ورشاً لتشغيل العاطلين والنساء والفتيات، وكانت فرق الجواله تنظم المسابقات الرياضية والرحلات والمعسكرات الصيفية كذلك افتتحو مراكز صحية، وامتلكوا بعض الصحف ومطبعة وأسسوا بعض الشركات الاقتصادية في شكل شركات مساهمة. علاوة

(١) حسن البناء، بين الأمس واليوم، في: حسن البناء، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البناء، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٩٤.

(٢) رسالة المؤتمر الخامس، في: حسن البناء، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البناء، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٢٢ وما يليها.

على ذلك قاد الإخوان أول حملة لمحو الأمية على مستوى مصر، كما وضعوا أنفسهم ضمن القوى التي تخوض حركة النضال ضد الاستعمار، من هنا تطور إحساسهم بأهمية دورهم حتى أنهم أرسلوا مصطفى مؤمن إلى نيويورك عام ١٩٤٧م بوصفه صوت الشعب المصري في مشاورات مجلس الأمن حول مستقبل مصر.

وفي اعتقادي مثلت حركة الإخوان أول حركة اجتماعية حديثة في تاريخ مصر، سواء من حيث أساسها الاجتماعي، أو من حيث طروحاتها ومبادئها، فالحركات الاجتماعية نتاج للتغير ومنتجة له في الوقت ذاته، هكذا كتب يواخيم راشكا في عمله الأساسي حول الجماعات الاجتماعية، فهي من ناحية نتاج للمجتمعات الحديثة، فعمليات التصنيع ومحو الأمية والتمدين أفرزت إشكاليات لم يكن من الممكن التعامل معها من خلال الأشكال السياسية التقليدية أو المفروضة من قبل الدولة السلطوية ما قبل الرأسمالية، ومن ناحية أخرى تتمثل محاولة إنجاز هذا التغير الاجتماعي بوصفها فعلا جماعيا نافذاً، أما ما يميزها في ذلك عن الحركات ما قبل الحديثة فهو وضعها لأطر عقلانية الهدف والفعل. فالأهداف تفهم من خلال أسبابها حيث تحدد في سياق أيديولوجي شامل وتطوير إستراتيجية عقلانية، قصيرة المدى وبعيدة المدى، لأجل التغلب على تردى الواقع.

صعود الأفندية:

جاء تأسيس الإخوان المسلمين في عصر شهد تغيراً اجتماعياً سريعاً، وتكون طبقة وسطى ذات أفق برجوازي (bürgerliche) أطلق عليها «طبقة الأفندية»، وكان ذلك في سياق توسع نظام التعليم الحكومي وجهاز الإدارة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وتشمل «طبقة الأفندية» موظفي الجهاز الحكومي، المدرسين، الأكاديميين أصحاب المهن الحرة مثل الأطباء والمحامين والتجار، وكذلك طلبة المدارس العليا، وبدأ الأفندية المنحدرون غالباً من البرجوازية الصغيرة المدنية التقليدية، ومن الطبقة الوسطى في الريف، بدأوا يبحثون عن توسيع وجودهم تدريجياً داخل المجال العام الذي كان أعضاء الطبقة الأرستقراطية العليا (طبقة الباشاوات) يهيمنون عليه حتى ذلك الوقت. هذا في الوقت الذي كانت الجاليات الأجنبية تسيطر على الجزء الأكبر من الاقتصاد. من هنا كانت «طبقة الأفندية» ترى في نفسها طليعة الشباب الذين يتطلعون إلى امتلاك مستقبلهم.

أن صعود هؤلاء الأفندية، الذين انتقلوا غالباً على المستوى الشخصي من تنشئة اجتماعية أسرية تقليدية إلى طريق حديثي للصعود متضمناً تحول الخطاب السياسي، أدى صعود هؤلاء الأفندية إلى بروز أكبر للخطاب الإسلامي في الخطاب العام، لكن ذلك الخطاب الإسلامي لم يكن إسلام الأزهر أو الإسلام الشعبي. فالطبقة الوسطى الجديدة اعتبرت كلا الشكليين للإسلام أحد أسباب التخلف الاجتماعي للبلاد، من ناحية بسبب الجمود الأرثوذكسي للمذاهب الإسلامية الرسمية، ومن ناحية أخرى بسبب الاعتقاد في الخرافات اللاعقلانية للإسلام الشعبي، لقد كان الأفندية يريدون تحديث الإسلام وأسلمة الحداثة حتى يجعلوها مقاربة لنموذجهم الفكري والثقافي الخاص.

كان حسن البنا نموذجاً لطبقة الأفندية هذه. قضى طفولته في قرية المحمودية التي تقع في دلتا النيل وعلى أحد فروعه (فرع رشيد) وكان والده يعمل ساعاتي، وفي أوقات فراغه يعمل كإمام مسجد وعالم

خارج الهيئة الدينية الرسمية، فيما بعد انتقلت الأسرة إلى القاهرة كي يتمكن حسن، وكان الابن الأكبر بين خمسة أطفال، من مواصلة دراسته في كلية المعلمين الجديدة «دار العلوم»، ومنها انتقل إلى شغل وظيفته الأولى كمدرس في الإسماعيلية، وعندما أنشأ البنا هناك جماعة الإخوان كان لم يزل في الثالثة والعشرين من عمره. وعندما انتقل عام ١٩٣٢م إلى القاهرة أصبحت جامعة فؤاد ذات الطبيعة العلمانية (جامعة القاهرة الآن) وليس الأزهر أو المعاهد الدينية مركز التجنيد الرئيسي للجماعة.

النهضة الحديثة أو البحث عن النهضة الإسلامية:

انعكست موجة صعود طبقة الأفندية في إيمان البنا بالتقدم، فقد دعا المسلمين إلى فهم القرآن بوصفه علامات هادية على طريق الفعل لم يكن البنا يدعو إلى الرجوع إلى إسلام ماضي، وإنما كان يدعو أتباعه إلى فهم القرآن بالتعمق في معانيه ومعايشتها فعلياً في حياتهم الاجتماعية، ف «الفهم» و«العمل» مصطلحان يترددان بصفة دائمة في رسائله، لقد كان يدعو إلى إحياء روح الإسلام وعزم الصحابة، والنظر أثناء ذلك إلى الأمام للمستقبل بنفس التفاؤل الذي نظرت به الطبقة البرجوازية الأوروبية (Das europäische Bürgertum) إبان صعودها.

ينتشر مصطلح «النهضة الجديدة» أو «النهضة الحديثة»، التي ينبغي أن تشمل كافة جوانب الحياة، في كل كتابات حسن البنا ومن هنا يتحدث بصورة متبادلة عن «التقدم» و«الرقى» و«العمران» و«بناء المستقبل» و«تكوين الأمة». والتطلع، على سبيل المثال، إلى نظام تعليمي «لرجل المستقبل» الذي سيحمل «النهضة الحديثة» على كتفيه^(١).

وتنجز قضية التقدم في مراحل متتابعة متعاقبة: فالأهم التي تتطلع، كما يرى البنا، إلى نهضة حديثة، لا بد وأن تجتاز مرحلة انتقالية تبنى فيها حياتها المستقبلية على أساس متين يضمن للجيل الناشئ الرفاهة والهناء، وفي سياق عملية التقدم يتكامل المجتمع والعلم، فقد أكد علماء الاجتماع أن حقائق اليوم كانت أحلاماً بالأمس، كذلك فإن أحلام اليوم هي حقائق الغد، فمحور تقدم الإنسانية وتدرجها مدارج الكمال هي حقائق أساسية، وقد أبرز البنا تفاؤله بالمستقبل مدركاً وملاحظاً أن الكثير من الاكتشافات والاختراعات العلمية المعروفة اليوم كانت في العصور المبكرة غير ممكنة التصور حتى لخيرة العلماء آنذاك^(١)، ومن خلال تبنيه لمفهوم التاريخ الخطى الصاعد، وكذلك من خلال انتقائه لمصطلحاته، يريد البنا أن يجد لمعانيه ومصطلحاته مكاناً في الخطاب الحدائني النهضوي القائم على التنوير.

لكن، إذا كان قانون حركة التاريخ يعد عند البنا قانوناً عاماً وكونياً، إلا أنه أكد على ضرورة أن تعتمد نهضة الشعوب الإسلامية على نظام القيم الموحى به في القرآن، وعلى وصل روحانية الدين مع

(١) حسن النبا، إلى أي شيء ندعو الناس، ص ٤٧ و ٤٩. وانظر أيضاً: «هل نحن قوم عمليون»، في: حسن النبا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن النبا»، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٦٨.

(٢) حسن النبا، «إلى أي شيء ندعو الناس»، ص ٥٣.

التطبيق العملي، إذ على هذه الشعوب أن تهتدي في نهضتها بالقيم الإسلامية الأساسية مثل العدل والأخوة، كما ينبغي عليها محاربة الفساد الأخلاقي وعدم السماح بخرق الحدود التي سنّها القرآن^(١).

أريد هنا أن أشير سريعاً إلى ثلاثة أمثلة تبين كيف كان البنا يريد أن يطبق روح الإسلام على الحقل السياسي والاجتماعي. لكن قبل ذلك لي ملاحظة منهجية: فبعض المؤلفين اتهموا البنا بأنه، مختلفاً في ذلك عن غيره من المفكرين الإسلاميين، لم يقدم نموذجاً سياسياً اجتماعياً شاملاً، وهنا يقع هؤلاء، فيما أرى، في سوء فهم لوظيفة أيديولوجية الحركات الاجتماعية. فيكتب راشكا، الذي أشرت إليه من قبل، عن وظيفة أيديولوجية الحركات الاجتماعية: «إنها مثل خريطة للاهتداء بها في عالم شديد التعقيد، فالتبسيط والتركيز على نقاط معينة تدفع الجوهرى إلى مركز الاهتمام، فأيديولوجية حركة ما تبرز تناقضات معينة بوصفها أسباب لعدم الرضى، وتخطط صورة للواقع خالية من التناقضات، وترى الحركة بوصفها القوة الوحيدة لتجنب هذه التناقضات».

كذلك توجد أسباب أخرى تفرض على خطاب أي حركة اجتماعية أن يكون مفتوحاً: لا بد وأن يحدث الخطاب نوعاً من الاندماج والتكيف داخل الحركة، وأن يبنى جسراً للتواصل مع حلفاء محتملين، وأن توجد لديه القدرة على تفهم واستيعاب الحركة التاريخية.

لقد أكد حسن البنا على آلية الإجماع الاجتماعي، وكان يفضل أن تترك الأسئلة المتخصصة للمختصين، وسعى إلى إحياء مبادئ الإسلام، لكنه كان يؤمن في ذات الوقت بمبدأ **الاختلاف** ويدعمه علناً، وقد أشار في رسالة «دعوتنا» إلى «اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص في أعماق المعاني..، وإلى اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة»، ولأن الدين يدرك من خلال الفهم الذي يختلف حسب كل ذلك، فلا بد وأن تطبق مبادئ الإسلام بطرق مختلفة. وهذا هو المدخل للقول بالشمولية الكونية للقرآن، أي القول بأنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

المثال الأول: النظام السياسي:

لا بد وأن يعتمد النظام السياسي في رأى البنا على ثلاثة مبادئ رئيسية: الحفاظ على وحدة الأمة، مسئولية الحاكم أمام الأمة واحترام إرادتها، وهنا يتمتع مبدأ الحفاظ على وحدة الأمة بأولوية مطلقة حتى أمام الالتزام بأحكام السلوك الإسلامية. ويتضح هذا من خلال ذكره للحديث: «ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها.. فليس منى ولست منه»^(٢)، فهذا الإصرار على مبدأ الوحدة له خلفيته: فالترابط والوحدة ضد الاحتلال البريطاني كان شرطاً لنجاح الحركة الوطنية.

رفض البنا النظام الحزبي المصري رفضاً قطعياً، بيد أن أسباب ذلك كانت برامجية وليست أيديولوجية دينية: «هي (أي الأحزاب) سيئة هذا الوطن الكبرى، وهى أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن، وأنها ليست أحزاباً حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلدان

(١) السابق ص ٥١.

(٢) حسن البنا، نظام الحكم، فى: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٢١.

الدنيا، فهي ليست أكثر من سلسلة انشاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها»^(١)، وفي مقابل هذا فإن البنا يفضل نظاماً للانتخابات الفردية المباشرة كبديل عن النظام الحزبي.

ولا تتحقق وحدة الأمة، في رأى البنا، عن طريق إجراءات جبرية من قبل السلطة، وإنما عن طريق إجماع اجتماعي يتم تشكله من خلال عمليات دستورية تشريعية تتمثل في نظام الشورى، فالحاكم مسئول أمام الجماعة ومن حقها أن تحاسبه وأن تعزله إذا لزم الأمر، ويحدد البنا مبدأه الثالث، أي احترام إرادة الأمة، بوصفه شكلاً للعقد الاجتماعي بالمعنى الحديث. وإنه يتضمن من واجبات الحاكم أن يستشير الأمة ويأخذ بمشورتها عند ممارسته للحكم، وفي هذا السياق يقترب البنا من المفهوم البرجوازي (bürgerlich) «سيادة الشعب» وأن كان يتبناه تحت مسمى «سلطة الأمة».

المثال الثاني: مفهوم القومية عند البنا:

ليس بالضرورة أن تتحقق وحدة الأمة، التي يدعو إليها البنا، في دولة إسلامية موحدة، ففي فترة الأربعينيات وبصفة خاصة مع تنامي مشاركة الإخوان المسلمين في الحركة الوطنية، تصبح القومية المصرية بوضوح متنامي وحدة تميز اجتماعي للهوية. وفي رسالته «دعوتنا في طور جديد» سبق البنا نموذج دوائر الانتماء المتحدة المركز التي طورها فيما بعد جمال عبد الناصر، والتي تندمج فيها الهويات المتنوعة، حتى وإن لم تتطابق الدوائر عند البنا وناصر، فهي عند البنا دائرة القومية المصرية، ودائرة الأمة العربية/الإسلامية، ودائرة الشرق.

وتأتى مصر في مركز الدوائر الأخرى. يقول البنا في إحدى رسائله: «المصرية لها في دعوتنا مكانها وحقها في الكفاح والنضال.. أننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون في سبيل خيره، وسنظل كذلك.. معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربي العام، وأنها حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام»^(١).

وتأتى بعد ذلك الدائرة العربية لتعتلى الدائرة المصرية. غير أن الوقت، كما يرى البنا، لم يكن قد نضج بعد لطرح السؤال عن الشكل الممكن للكيان السياسي المنشود للأمم العربية. فمن حق كل شعب من الشعوب العربية أن يختار بنفسه الشكل المأمول للحكم. لكن لا بد بداية وقبل كل ذلك من تحقق شرطين هما: حق تقرير المصير وسيادة الشعوب، قبل أن يدور أي حوار حول البنى السياسية الأشمل، وفي هذا يرى البنا أن تحالفاً بين الدول العربية، وهو ما تحقق فيما بعد في شكل رابطة الدول الإسلامية، يعد شكلاً مناسباً للتعاون، ومثل هذا التحالف سيكون عامل استقرار في نظام السلام العالمي المنشود بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

ويعتمد البنا على نظام القيم الذي نص عليه ميثاق الأطلسي، حيث طالب بتطبيقه على العالم العربي - الإسلامي أيضاً. وهذا يعنى طلاقاً بائناً بين البنا وبين الثنائيتين الشهيرتين: الثنائية الجغرافية السياسية

(١) السابق ص ٣٢٦.

(٢) حسن البنا، دعوتنا في طور جديد، في: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ص ٢٢٣-٢٢٤ و ص ٢٢٩.

الإسلامية التقليدية المبنية على (دار الحرب/ دار الإسلام)، والثنائية الأخرى التي تقسم النظام القيمي إلى ما هو إسلامي وما ليس إسلامياً. فالقيم الإسلامية لدى البنا تلتقي مع النظم القيمية الأخرى، ويمكن تحقيقها واقعياً في النظام الدولي القائم. وبهذا المعنى يكتب البنا في خطاب يوجهه إلى لجنة تكوين الجامعة العربية: «إننا ننادى بضرورة الاستفادة من التراث القرآني في الحياة العملية، الذي هو للمسلمين دين والذي يعطى الأمة العربية والعالم أمناً وسلاماً»^(١).

المثال الثالث: النظام الاقتصادي الاجتماعي:

يعتمد النموذج الاقتصادي لحسن البنا على الجمع بين العداء للاستعمار الاقتصادي، وهو ما أدى به فيما بعد إلى المطالبة تأمين الممتلكات الأجنبية، وبين البحث عن طريق ثالث بين الرأسمالية والاشتراكية وذلك على أساس اقتصاد أخلاقي إسلامي، هذا إذا ما أردنا استخدام مصطلح تومبسون (Thompson).

تعتبر طروحات البنا الاقتصادية الاجتماعية عن مصلحة البرجوازية الصغيرة والطبقة الوسطى، وهما الأساس الاجتماعي للإخوان المسلمين، وذلك بتشجيعها على تخطي التفاوتات الطبقيّة الحادة بين الفقر والغنى من خلال الحد من الملكيات الكبيرة، وتشجيع الملكيات الصغيرة، وكذلك الحد من الاستهلاك الترفي للطبقات العليا وفي ذات الاتجاه يأتي تشجيع البنا على الاستخدام الإنتاجي لرأس المال، والتركيز على ضرورة الالتزام بأخلاقيات عمل إسلامية تقوم على التقوى. وأساس هذا النظام الاقتصادي عند البنا هو «المال الصالح» الذي يجب استثماره في الإنتاج واستخدامه لأهداف خيرة تقية. ويضيف إلى هذا النظام الاقتصادي نظام ضمان اجتماعي شامل لكل المواطنين، مشتقاً إياه من نظام الزكاة، لكنه يرى في الوقت نفسه ضرورة إكمال نظام الزكاة التقليدي بنظام الضرائب التصاعديّة الحديث^(١).

هل كان البنا أصولياً ؟

تعتبر كثير من الأدبيات حسن البنا أباً للأصولية الإسلامية، لذا فإنني أريد أن أطرح هنا هذه التسمية للتساؤل.

رأينا من خلال الأمثلة الثلاثة المذكورة آنفاً أن البنا لم يكن يقف معترضاً طريق الحداثة، ولم يكن يستنبط نموذج الاجتماع من المرجعيات النصية الدينية مباشرة، وبهذا المعنى أعتقد أنه لم يكن أصولياً.

يشير أستاذ علم اجتماع الدين مارتن ريزبرودت (Martin Riesebrodt) إلى الفرق بين التفكير الأصولي بوصفه شكل من الالتزام النصي بالقرآن (أو الإنجيل مثلاً)، وبين ما يسميه رجوعاً يوتوبياً. فالفكر الأصولي وفقاً لريزبرودت «يرى أن أسباب أزمة المجتمع تتمثل في الانحراف عن مبادئ النظام أبدية الصلاحية، إلهية المصدر، والتي يتم نقلها نصياً وحرافياً، وسبق وأن تحققت في مجتمع مثالي: هو

(١) نشر خطابه إلى لجنة تكوين الجامعة العربية في: جمال البنا، مسؤولية فشل الدولة الإسلامية في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٤٧.

(٢) قارن بالتصورات الاقتصادية للبنا في رسالته: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي - النظام الإسلامي، في: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ص ٣٣٥-٣٥٢.

ما يسمى بالعصر الذهبي للجماعة الأولى سواء كانت مسيحية أو إسلامية أو غير ذلك»⁽¹⁾، وتخطى الأزمة الحاضرة يكون ممكناً فقط بالعودة إلى القانون الإلهي. هذه هي الأصولية بالنسبة لريزبرودت.

إلى جانب ذلك وجدت حركات ومدارس وتيارات فكرية يوتوبية، وهذه تعلن شرعيتها أيضاً اعتماداً على القانون الإلهي أو الوحي أو جماعة أولى مثالية، لكن هذا النظام المثالي يتحول إلى يوتوبيا في إطار تجاوز تقدمي للأزمة، فليست الحروف والنص وإنما روح الماضي هي التي يمكن تحويلها إلى واقع في ظل شروط جديدة. ونعتقد أن البنا ينضوي بوضوح تحت التعريف الثاني.

في طروحاته في مجالي السياسة الاقتصادية والسياسة الاجتماعية، على وجه الخصوص، نجد البنا يشير باستمرار إلى روح الإسلام، فهو يدعو إلى نظام أخلاقي يقوم على الحق والعدل والأخوة، مشتقاً تلك القيم من الإسلام كما يتصوره، وفي تلك الحالات الخاصة التي يوجد بشأنها نص قطعي واضح الأحكام، يطالب البنا بالالتزام بها، والطريق إلى هذا الالتزام يكون برجوع الفرد إلى دينه والتطهر الروحي، إن البنا يمثل الانتقال من التقليدي إلى الحداثي، بوصفه انتقالاً تاريخياً، وبوصفه انتقالاً أيديولوجياً أيضاً: فهو يدخل إلى مفاهيم الحداثة من خلال مصطلحات تقليدية، ويملاً في نفس الوقت المفاهيم التقليدية بمضامين حديثة، ويستبدل على نحو تدريجي جزء من المفاهيم التقليدية بمفاهيم حديثة، أما نقده للنماذج الاجتماعية الغربية فإنه يبدأ عندما يتعلق الأمر بالأحكام الأخلاقية وبالوحي الإلهي حول الدولة والمجتمع.

* * *

(1) Martin Riesebradt, *Fundamentalismus als patriachalische Protestbewegung: Amerikanische Protestanten und iranische Schiiten im Vergleich*, Tübingen 1990, p.19f

[٤]

قالوا عن حسن البناء*

في مصر

الرئيس محمد نجيب:

«من الناس من يعيش لنفسه، لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها فإذا مات لم يأبه به أحد، ولم يحس بحرارة فقدته مواطن، ومن الناس من يعيش لأمته واهباً لها حياته حاصراً فيها آماله، مضحياً في سبيلها بكل عزيزٍ غالٍ، وهؤلاء إذا ماتوا خلت منهم العيون وامتألت بذكرهم القلوب، والإمام الشهيد حسن البناء، أحد أولئك الذين لا يدرك البلى ذكراهم، ولا يرقى النسيان إلى منازلهم لأنه رحمه الله لم يعيش في نفسه بل عاش في الناس ولم يعمل لصوالحه الخاصة، بل عمل للصالح العام».

الرئيس جمال عبد الناصر في احتفال مجلس الثورة بذكرى استشهاد الإمام:

«إنني أذكر هذه السنين والآمال التي كنا نعمل من أجل تحقيقها، أذكرها وأرى بينكم من يستطيع أن يذكر معي هذا التاريخ وهذه الأيام، ويذكر في نفس الوقت الآمال العظام التي كنا نتوخاها أحلاماً بعيدة، نعم أذكر في هذا الوقت، وفي هذا المكان، كيف كان حسن البناء يلتقي مع الجميع ليعمل الجميع في سبيل المبادئ العالية، والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا»، ثم قال في نهاية كلمته «وأشهد الله أنني أعمل – إن كنت أعمل – لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد في سبيلها».

الشيخ محمود أبو العيون سكرتير الأزهر:

«جعل الإخوان المسلمون دارهم مدرسة يعلمون الناس حقيقة الإسلام بعد أن غفل الناس عن حقيقة أنفسهم، وأن شباب الإخوان يمثلون أبطال الإسلام المغاوير، فهم يحملون شارة (الإخلاص.. والتضحية.. والجهاد.. والإيمان الحق)».

الشيخ محمد مصطفى المراغي:

«إن الأستاذ البناء رجل مسلم غيور على دينه، يفهم الوسط الذي يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية، ويفقه أسرار الإسلام وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم، وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي، على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة».

(*) المرجع: كتاب «من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة» للأستاذ جمال البناء، دار الفكر الإسلامي، الجزء الخامس، ص ٣٣٧.

الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية في الأربعينيات:

«الشيخ حسن البنا أنزله الله منازل الأبرار، من أعظم الشخصيات الإسلامية في هذا العصر، بل هو الزعيم الإسلامي الذي جاهد في الله حق الجهاد، واتخذ لدعوة الحق منهجاً صالحاً وسبيلاً واضحاً استمدته من القرآن والسنة النبوية ومن روح التشريع الإسلامي، وقام بتنفيذه بحكمةٍ وسدادٍ وصبرٍ وعزمٍ، حتى انتشرت الدعوة الإسلامية في أفق مصر وغيرها من بلاد الإسلام، واستظل برايتها خلق كثير».

السيد علي ماهر رئيس الوزراء:

«عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٣٥م، حين زارني الفقيه الكريم مع بعض أصدقائه بمناسبة انتقاله بجماعته من الإسماعيلية إلى القاهرة، متحدثاً في بعض الشؤون العامة، وكان حديثه يشرح صدري وأسلوبه يشهد بموفور الثقافة الإسلامية والبصر بشئون الأمم العربية، وبراعة المنطق وقوة الحجة، وكان إلى ذلك شديد الإيمان بأنه يؤدي رسالة إنسانية سامية، دعائمها الإخاء والمحبة والسلام بين سكان البلاد جميعاً، وفي مارس سنة ١٩٣٩م بارحت لندن بالطائرة، إثر مؤتمر فلسطين، ووصلت القاهرة في مستهل الهزيع الأخير من ليلة لا أنساها رأيت فيها جموع الإخوان تملأ فضاء محطة العاصمة، وتموج بهم أرسفتها، وسمعت نداءهم «الله أكبر والله الحمد» يدوي عالياً، فيأخذ طريقه إلى القلوب، ويملأ النفوس إيماناً بالله، وتجرداً، للمثل العليا»

السيد اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين:

«استطاع عليه الرحمة أن يوقد جذوة الفكرة الإسلامية في صدور الآلاف من الشباب، فأقبلوا على الدين وعكفوا على القرآن وتعلقوا بأسباب الثقافة الإسلامية، وكان لهم في ميدانها جهود وجولات استطاع أن يرد غربة الإسلام بين هؤلاء الجاهلين به إلى معرفة وأنس وبذل في سبيل ذلك من علمه وجهاده ووقته ونفسه وأعصابه وراحته ما لا تستطيعه إلا العصبية المجتمعة من أقوياء الرجال».

فؤاد شيرين باشا:

«كان الشيخ رحمه الله أمة وحده، وقد جمع من الخلال والفضائل ما لا يمكن حصره في مقال ينشر بإحدى المجالات، لهذا اقتصر في الكتابة عنه من ناحية واحدة هي "التواضع"، لقد كان الشيخ جم التواضع، فلم يذكر في يوم من الأيام شيئاً عن نفسه، ولم يفخر بعلمه، ولم يكن يشعر أنه يتزعم هيئة لها خطرها في البلاد العربية كلها، ولكنه ترك الناس يحكمون على علمه الواسع ومثله العليا التي كان يضربها.

كان إذا قام يخطب الناس وقف وقفة رجل خاشع متواضع، وتحدث إليهم في صوت هادئ متزن، ولم يكن ليرفع عقيرته أو يحتد في خطابه مهما كانت جدية الموضوع الذي يتناوله، ولهذا كان كلامه العذب يصل إلى القلوب قبل أن يصل إلى الآذان.

استمعت له كثيراً أيام كان يغشى بلاد مديرية القليوبية للاجتماع برجاله والتحدث إليهم، فكنت أجد أكبر لذة في الاستماع إليه، والاستفادة من عمله وحكمه ومواعظه التي كانت تتدفق كالماء العذب يروي نفوساً عطاشاً، بدأ مرة إحدى خطبه بشيبي القناطر بمحاضرة لم أسمع خيراً منها في علاقة الحاكم بالمحكومين، وما يجب أن يكون عليه كل منهم، فوددت لو أن هذه المحاضرة سجلت لتذاع في أنحاء البلاد، فينتفع بها الكل، لما اشتملت عليه من نصائح لو اتبعت لأدت إلى خير البلاد وإسعادها.

كنت معه يوماً في جمع بينها ولما حانت صلاة المغرب أبى وهو أفاقه القوم ديناً إلا أن أومه والجمع، تواضعاً ولو كان في قلبه ذرة من كبر أو أثر منة تمسك بالرئاسة لما فعل، وإني لعلي يقين من أن تواضع الشيخ وتلطفه في حديثه مع كل مستمع له من أكبر الأسباب التي ألفت محبته في قلوب الناس، ولو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله.

رحم الله شيخنا وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين و عما قام به من عمل صالح للناس أجمعين».

الدكتور نور الدين طراف:

«رحم الله الشيخ حسن البنا وأسكنه واسع جناته، فلقد كان واحداً من هؤلاء الأفاضل الذين حبتهم العناية الإلهية بالقدرة على اكتساب قلوب الناس واكتساب ثقتهم، وسلحتهم بمضاء الإيمان، يذلل لهم الصعوبات، ويمضون به في سبيلهم لتحقيق رسالتهم في الحياة.

عرفت المغفور له الشيخ حسن البنا في مطلع عام ١٩٤٧م وتوثقت بيني وبينه مودة كنت أحرص عليها وأعتز بها، وكان أقوى ما يحبيني فيه ما كان يتصف به من رحابة الأفق وسعة التفكير، واعتزازه الشامل بما في الإسلام من مبادئ سبقت أحدث ما تطلبه وتريده النظم الديمقراطية الحديثة.

لقد كان خطيباً مفوهاً، ومحدثاً حلو الحديث، سريع العارضة، قوي الحجة، عميق الدراسة الدينية، ملماً بكل ما في الدين الإسلامي من نواح تثير اعتزاز وفخر المسلمين، وكان كتلة من النشاط الذي لا يهدأ أو يسكن أو يستقر، فهو في عمل متصل، وكان يملك تلك الخاصة النادرة خاصة القدرة على التنظيم، واختيار الشخص المناسب للمكان المناسب، وكانت ذاكرته القوية تعي أسماء كل أنصاره ومريديه على كثرتهم وضخامة عددهم.

لقد اغتال القدر الشيخ حسن البنا، وأنهى حياته بهذه الصورة المفجعة، التي انتهت به والأمة في أوج ارتقابها لمجهوده، وفي أقصى تطلعا إليه وإلى جماعته الضخمة، ولا يعزينا اليوم عنه إلا أن نرى الروح التي كان يصدر عنها، والدوافع الوطنية التي كانت تحركه، تسير وتنتشر وتأخذ مكانها بين المصريين».

الدكتور محمد طه بدوي أستاذ القانون العام:

«لقد كان الإمام الشهيد شمساً وغيثاً وأملاً للجامعة بل للجامعات المصرية، فأنشأ مدرسته المثالية، وعلم ألوفاً من إخوانه الفلسفة والمبادئ الإسلامية، فغزوا بعلمهم وأفكارهم وثورتهم كليات الجامعة،

وإذا بنا نشهد جيلاً آخر هو جيل المجاهدين في سبيل الفكرة الإسلامية والوطن الإسلامي ولم يعد يجرؤ أستاذ أن يتهجم بفلسفته على تراث الإسلام الغالي، ولم يستطع جامعي أن يلوح للبشرية بنظام خير من النظام الإسلامي الذي وجد من تلامذة الإمام الشهيد».

الأستاذ كامل الشناوي:

«لقد كان حسن البنا هو الزعيم الوحيد الذي آمن بالفكرة التي جاهد من أجلها، ولقد كان حسن البنا هو القائد الوحيد الذي تلمحه في صفوف الجنود».

الأستاذ محمد التابعي:

«دائم الابتسام، فاره القامة، رحب الهيكل، يبدو قوياً كشجرة السنديان، في صوته عمق وعرض وطول، وللسان سحر إذا تكلم يتكلم فيه بالألحان والأحاديث وأمجاد الجهاد الإسلامي».

الأستاذ علي الغياتي:

«إذا صح ما قاله المغفور له الملك عبد الله الهاشمي من أن الإخوان المسلمين هم معجزة القرآن في هذا الزمان، فمما لا شك فيه أن مؤسس جماعتهم وراعي نهضتهم ومرشدهم العام المرحوم الأستاذ حسن البنا هو رب هذه المعجزة، فمن علمه وهديه، ونشاطه وروحه وإيمانه وإسلامه، استمدت هذه الجماعة ما سمت به من عظيم الصفات، وما قامت به من جليل الأعمال».

الأستاذ إحسان عبد القدوس:

«إن البنا فتح باب الاجتهاد وأعاد إليه رونقه وصفاءه بعد أن ران عليه غبار الجمود، وأشار إلى تضحية الإخوان في سبيل الدعوة، وأن شخصية حسن البنا قد ملئت قلوب جميع المصريين بحبه على اختلاف دينهم، فكان رحمه الله ودوداً باشاً يحب كل من يلقاه ولم يفرق بين مسلم ومسيحي، لذلك فقد كان المسيحيون يحبونه، ففي كلمة للزعيم الوطني المسيحي مكرم عبيد باشا، قال: وما من شك أن فضيلة الشيخ حسن البنا هو حي لدينا جميعاً في ذكراه، بل كيف لا يحيا ويخلد في حياته رجل استوحى في الدين هدي ربه، ففي ذكره حياة له ولكم، ومن ذا الذي يقول بهذا هو مكرم عبيد صديقه المسيحي الذي عرف أخاه المسلم الكريم الصدق والصدقة معاً».

الأستاذ مصطفى أمين:

«كان يؤمن بفكرته بطريقة عجيبة، ويرى أن المستقبل لها، وقد انعكس ذلك على سلوكه، فكان له قدرة فائقة على إقناع الغير بذلك، أعجبنى كذلك في حسن البنا أن إيمانه بفكرته لم يكن عاطفياً فقط بل كان محسوب الخطوات مدروساً ولم يكن متعجلاً رغم حماسه الشديد لما يؤمن به».

* * *

في العالم العربي

إذا تطرقنا لآراء السياسيين ورجال الفكر والإصلاح في العالم العربي والإسلامي لنرى كيف كانت شخصية البنا على المستوى العالمي، فقد تحدث الدكتور مصطفى السباعي من سوريا عن حسن البناء، فتناول دعوته في مصر والعالم العربي والإسلامي، وأنه أبرز شخصيات القرن الرابع عشر الهجري، ودوره بارز في تاريخ الشرق.

مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني:

«لقد كان للشهيد الشيخ حسن البناء وأتباعه ومريديه في نصرة فلسطين والدفاع عنها جهود مشكورة وأعمال مبرورة كلها مآثر ومفاخر سجلها لهم تاريخ الجهاد الإسلامي بحروف من نور، وقد بذلوا على ثرى فلسطين مع إخوانهم المجاهدين من أبناء البلاد العربية والإسلامية دماء ذكية ومهجاً غالية، واستشهد منهم عصابة كريمة كانت في الرعيل الأول من المجاهدين الذين نفروا خفاً وثقلاً لنجدة فلسطين..» وقال مفتي فلسطين الأكبر: «لقد اشتعل رأسي شيباً، وإنّ تحت كل شعرة لتجارب مريرة قاسية عميقة، فما انتهت بي هذه التجارب بعد طول المطاف إلا إلى النقطة التي ابتداء منها الأستاذ حسن البناء جهاده الصادق».

الأمير عبد الكريم الخطابي:

«لقد كنا نسمع عن المرحوم الأستاذ حسن البناء وحركته الإسلامية الفتية ونحن في المنفى، ولما لجأنا إلى مصر العزيزة، وتقابلنا مع الأستاذ المرشد عرفنا فيه الشخصية الإسلامية والأخوة الإسلامية، وازداد فينا الأمل»، ويضيف: «إن الأستاذ البنا وليٌّ من أولياء الله الصادقين، ولقد حاول إنقاذي منذ عشر سنوات أو أكثر من منفاي السحيق، وأعد العدة لذلك ورسم له الخطة، وجهاز السفن ولكن الظروف قضت بالتربص إلى فرصة أخرى، وحين تسمح الظروف بنشر ما لدينا من أنباء يعرف الناس حقيقة هذا الولي الكبير».

الرئيس علي عزت بيجوفتش الرئيس الأسبق لبوسنة والهرسك:

«لولا الإخوان لصاعت البوسنة والهرسك».

السيد علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المراكشي:

«أعتقد أن الدعوة كانت تستفيد كثيراً من حياة البنا لو لم يوافه الأجل المحتوم، ولكن العشرين سنة التي قضاها دائماً ليل نهار على بذر بذور فكرته وتطعيمها والعناية بها يجعلها في مأمن من أن تُطوح بها أيدي الزمان العاتية».

الأستاذ فضيل الورتلاتي الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال المراكشي:

«عرفت الملة الإسلامية من رجال النهضة والإصلاح، كانوا من الأفضاء، وقد كان لهؤلاء أثر محسوس في بعث المسلمين من خمولهم الذي طالت عليه عهود وأزمنة، والذي يتنافى وروح الإسلام

اليقظة الوثابة، ولكن شخصية الإمام المرشد رحمة الله عليه كانت أقوى ما عرف المسلمون في عصرهم هذا من رجال الدعوة إلى سبيل الله، بل إن الإمام المرشد فاق غيره من كبار الدعاة المسلمين بأن اتخذ لدعوته الكبرى وجهة ونظاماً أصبحنا معهما قوة فعالة في سبيل الإسلام والمسلمين».

الأستاذ محمد هارون المجدي سكرتير السفارة الأفغانية:

«كان الإمام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه وأرضاه صورة طيبة لخيرة أصحاب قائدنا الأعظم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ملكت مبادئ الإسلام المثالية قلبه وفكره في كل لحظة من لحظات حياته، وكان لا يعيش لنفسه، بل يعيش لهذه الأمة الإسلامية التي توالى عليها المحن».

السيد علي البهلوان السكرتير العام المساعد للحزب الحر الدستوري التونسي:

«اقترن في نظر التونسيين بحركة التجديد والتطهير التي تجسمت في الإخوان المسلمين وأصبح اسمه رمزاً لفكرة حية ومبدأ سام طالما تردد بين التونسيين من غير أن يجد من يسهر على تطبيقه حتى أبرزه المرشد العظيم».

الزعيم الجزائري الشاذلي المكي:

«وفي نظري أنه إذا كان المصلحون الذين تقدموا حسن البنا مثل: عمر بن عبد العزيز، والغزالي، وابن القيم، وابن تيمية، والأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وعبد الحميد بن باديس، وغيرهم، قد نادوا بالإصلاح وعملوا له، وحددوا معالمه وفقاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»، فإن حسن البنا قد وضع لهذا الإصلاح بصمة لم يسبق لها، لا لمعالم التجديد والإصلاح فحسب، وإنما أيضاً الأسس والأركان، ومن ثم كان من أكبر المجددين المصلحين لهذه الأمة».

وقال الشيخ محمد الغزالي:

«كنت وما زلت تلميذاً لحسن البنا، أنكر دروسه وأترسم خطاه، وأفيد من تجاربه، وأنا مستبشر بدعائه لي ورضائه عني، ونظرتي إلى ذلك الإمام الشهيد أنه من قمم الفقه الإسلامي، ومن بناء أمتنا الفقيرة إلى الرجال، بل هو - بلا ريب - مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وأشهد بأن له بعد الله الفضل الأول في توجيهي وتنقيفي، كان لدى حسن البنا ثروة طائلة من علم النفس وفن التربية وقواعد الاجتماع، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير وقيم الأفراد، وميزان المواهب، وهذه بعض الوسائل التي تعين على الدعوة وليست كلها».

وقال فضيلة الشيخ الباقوري:

«الإمام الشهيد لم يمت بهذا المعنى لأنه لم يعيش لأسرته الخاصة، ولم يعيش مع جماعة محدودة من أصدقائه حتى يكون من الممكن أن ينسدل عليه ستار النسيان بسلو أسرته عنه واطّراح أصدقائه لذكراه، وإنما كان يعيش - رحمه الله - في نفوس الألوف المؤلفة في مصر وفي خارج مصر، لقد صنع حسن

البناء جيلاً من الناس على مثال نفسه الكبيرة، وعلمه الغزير، وإرادته الصارمة، وأسلوبه في التفكير إذا فكر، وفي التعبير إذا عبر، بل في طريقة تلاوته للقرآن إذا تلاه قاعدًا يتأمل أو قائمًا يصلي، ولقد صنع حسن البناء كذلك جيلاً من الناس أقبل على الإسلام يدرسه دراسة المستبصر، ويفهمه فهم المتأمل ويعمل به عمل المؤمن».

* * *

لقد أردنا بإيراد هذه الأقوال أن نصح الانطباع الخاطئ الذي أراده مؤلف المسلسل عن شخصية ظفرت بتقدير من هم أعظم بمراحل من الذين حاولوا النزول بها والادعاء عليها، أو على أقل تقدير أن يعلموا أنه إذا كان هناك صوت ناقد، فهناك أصوات مادحة ومقدرة.

* * *

الفصل التاسع

كيف تحل مشكلة الإخوان المسلمين

لا جدال أن وجود الإخوان – بالصورة القائمة – وضع النظام في مأزق، فمن الواضح أنها بحكم إيمانها وتفكيرها – ترفض رفضاً تاماً النظام القائم الذي هوى بمنزلة مصر، وخرب مواردها وسمح بل وشجع طرق النهب والسلب وكافة صور الفساد حتى أصبحت الحياة عذاباً، وأصبح كل المصريين يفكرون في ترك وطنهم الذي استحوذ عليه النظام إلى دولة أخرى، وتقبل الشباب أن يموتوا في قواربهم المطاطية التي أرادوا بها بلوغ الشواطئ الأوروبية، لأن الموت في البحر أفضل من الحياة في مصر.

وقد صور أزمة الموقف الأستاذ عبد العظيم حماد في كلمة نشرتها جريدة «الأهرام» (يوم ٢٠/٩/٢٠١٠م، ص ١٠) تحت عنوان «الجميع ضد الإخوان» قال فيها فبعد أن استعرض مضمون المسلسل وكال مديح لمؤلفه، قال «إن المسلسل كان أول من (أنزلوا من ذلك الأفق الأسطوري المقدس) مؤسسة الجماعة ومرشدها الأول الإمام حسن البنا الذي شاهدناه بشراً كالبشر من أمثاله من أصحاب الأفكار والأدوار التاريخية، وليس إماماً معصوماً من الخطأ لا يعتريه الضعف ولا تشوبه الشوائب، وهو كلام لا يكون عليه غبار لو كان صحيحاً، ولكن الحقيقة أن الإخوان لم يعتقدوا أن مرشدهم إماماً معصوماً من الخطأ لا يعتريه الضعف ولا تشوبه الشوائب، ولا كان حسن البنا نفسه الذي يرفض أن يقبلوا يده يرضى بهذا، وإنما هو تدجيل المسلسل عندما أراد تشويه التاريخ وليظهر وقائع لم تحدث بالفعل، لأنها من فعل مؤلفها ورغبته في التزييف، ويريد المؤلف الإفادة من «الزخم النفسي والفكري» الذي صنعه الجزء الأول في البحث عن حل ديمقراطي سلمي لمعضلة مصر وبقية الدول العربية مع جماعة الإخوان وعموم تيارات الإسلام السياسي. والمؤلف واهم، لأن المسلسل لم يحدث زخماً إلا في نفوس المهيين لعداوة الإخوان، أما باقي الشعب فهو يعرف الإخوان من أعمالهم، ويحكمون على المرشد من واقع إيمانه ومواهبه وإخلاصه».

ولكن تظل الحقيقة هي مشكلة وجود الإخوان وتيارات الإسلام السياسي.

يقول الكاتب: «في الحالة المصرية تحديداً يبدو الظرف مثالاً لتجربة قد تصل بنا إلى هذا التوافق التاريخي، فنحن مقبلون على انتخابات برلمانية، بالغة الأهمية، لأنها تسبق انتخابات الرئاسة من ناحية، ولأنها تأتي بعد انتخابات حقق فيها الإخوان انتصارات غير مسبوقة والذي نقترحه ببساطة هو حصار الجماعة بأقوى الضغوط السلمية الديمقراطية المشروعة قانوناً لاجبارها علي مراجعة تاريخها، وفصل العمل السياسي الذي هو نسبي ومتغير بطبيعته عن القيم الثابتة أو المطلقة، مع الاعتراف بحقها الذي لا نزاع عليه في استلهاهم تلك القيم كمرجعية للأداء السياسي والبشري القابل للرفض والمعارضة، دون أن يُعد ذلك اعتراضاً علي شرع الله وقيم الإسلام.»

ويمضي الكاتب في شرح فكرته فيقول: « ولتحقيق ذلك يجب علي الحزب الوطني ألا يجد غضاضة في عقد صفقة مع سائر الأحزاب الشرعية المؤمنة بالديمقراطية ونسبية السياسة ومدنية الدولة لخوض انتخابات حرة تأتي ببرلمان توافقي تقل فيه أو تنعدم فرص الإخوان للفوز ما لم يلتزموا بالشروط التي اتفق عليها الجميع، وهي كما ذكرنا احترام الديمقراطية، ونسبية السياسة ومدنية الدولة، ورغم ما تثيره كلمة صفقة من حساسية لدى البعض، فإنه لا عيب في مبدأ الصفقات السياسية من حيث الأصل، بل أنها في كثير من الأحيان تكون عملاً محموداً، إذ أن مبدأ الصفقات هو الأساس في تشكيل ما يعرف باسم الجبهات وطنية كانت أم شعبية، ولكن يشترط في الصفقة لكي تكون غير معيبة أن تكون علنية ومعروفة المبادئ والأغراض، وربما محددة المدة .

وقد جربت مصر هذا النوع من الصفقات في مراحل مهمة من تاريخها، أبرزها الائتلاف الكبير بين الوفد بقيادة سعد زغلول نفسه والأحرار الدستوريين بقيادة عدلي يكن بعد سقوط حكومة زيور باشا، والائتلاف بين الحزبين أيضاً في أولي حكومات النحاس باشا سنة ١٩٢٨م بعد وفاة سعد زغلول، وفي تلك التجارب كلها كان يتفق بين حزب الأغلبية التقليدي وشركائه الآخرين بعد مفاوضات شاقة بالطبع على إغلاق دوائر بعينها لأحزاب الأقليات حتي تمثل في البرلمان، دون مزاحمة أو ضغط من حزب الأغلبية ولم تكن النتائج سيئة، بل كانت علي العكس بالغة الايجابية لولا أن أحزاب الأقلية بالتواطؤ مع القصر الملكي كانت هي التي تنقلب على هذا التوافق أو التآلف، لتنفرد بالحكم بتأييد القصر، ومن ثم تعود الحياة السياسية إلى التآزم من جديد».

إذا طبقنا ما أراده الكاتب فإن هذا لن يضع الإخوان في حصار ولكنه سيضع النظام القائم الفاسد شكلاً موضوعاً والذي استحكم فيه الفساد بحيث لا يرجى له صلاح، في الحصار أولاً، وكلام المؤلف لا يستقيم لأنه يعرض صيغة متعارضة، فلولا الفساد لما وجد النظام نفسه في وجه معارضة الإخوان القوية والتي تستمد جزء من قوتها من فساده، وهو لا يستطيع الإصلاح لأن قاداته هم في صميم الممارسين للفساد والمستفيدين منه، ومن ناحية أخرى فلا «يمكن حصار الجماعة بأقوى الضغوط السلمية الديمقراطية المشروعة قانوناً» ؟ لأنها لا بد وأن تتنافى مع نظام ديمقراطي تتوفر فيه المشروعية والقانون، خاصة بعد أن سلم الجماعة بأن تتخذ من القيم الديمية كمرجعية للأداء السياسي، وهذا هو ما يطالب به الإخوان وما يرفضه النظام، ولهذا عجز الكاتب عن أن يعينها ونصح الحكومة من بأن تعقد صفقات مع الأحزاب.

فضلاً عن هذا كله، فإن الشعب لا يعطي الأحزاب التي يريد الكاتب أن يجري النظام معها صفقة أي أهمية، مما لا يكون له أثر في الرأي العام للشعب.

والحقيقة أن مقال الكاتب يعرض أزمة النظام واستحالة حلها، ولهذا تصور أن الصفقات مع الأحزاب ستعزل الشعب، في حين أن هذه الأحزاب لا شعبية لها على الإطلاق، ولا يزيد التحالف معها إلا خبالاً.

وكنا قد عرضنا لهذه المشكلة «المدلهمة» وعرضنا رأياً لا يقتصر على حل المشكلة، بل هو يحقق للبلاد بالفعل أملها في الإصلاح الاجتماعي، ويجعل الجماعة لا تتعرض للنشاط السياسي إلا في أضيق حدود «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ونشرناه في صحيفة «المصري اليوم» تحت عنوان « هذه المشكلة المدلهمة.. لا يمكن أن يحلها إلا الرئيس وحده.. فهل يعملها؟، وها هي ذي:

هذه المشكلة المدلهمة لا يمكن أن يحلها إلا الرئيس وحده ٠٠ ونفسه فهل يعملها ؟

أصبح الواقع المصري مرتهاً بمشكلة الإخوان المسلمين.. فالنظام يصير على أنها «محظورة».. ومادامت محظورة فعليها أن لا تتحرك، وأن تكون موجودة كغير موجودة، وأي فرد منها يتحرك يلقي القبض عليه بتهمة الاشتراك في تنظيم محظور، أي المطلوب هو تحييد، أو شل هيئة كبيرة يعود تاريخها إلى ما قبل انقلاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م، وينضم إليها مئات الألوف من صميم أبناء مصر، ويقوم إيمانها على الإسلام، وهو أقوى مقومات المجتمع المصري، بل ويا للعجب لها ٨٨ نائباً في مجلس الشعب.

إن الحكومة لكي تحيد وتشل الهيئة الكبيرة خصصت عشرات الألوف من الأمن المركزي بأفراده وضباطه وعرباته وسجونته، والمهمة الوحيدة لهم هو ضمان عدم تحرك الهيئة، أقل حركة، والقبض فوراً على من يتحرك والزج به في السجون تمهيداً لعرضه أمام محاكم عسكرية أو أمن دولة.

ومعنى هذا أن الدولة تخصص مجموعة تصل إلى عشرات الألوف من العاملين في الدولة لتعطيل مجموعة تصل إلى مئات الألوف من صميم الشعب بحيث تكون النتيجة تعطيل مجموعتين كبيرتين لأن عمل كل واحدة تعطيل الأخرى.

إن هذا الموقف العبثي لا يقتصر على تعطيل طاقات مئات الألوف من الشعب، إن إصرار الحكومة على اعتبار الإخوان هيئة محظورة يؤدي إلى تعميق وضع اللاشريعة لها، وبالتالي فمن المحتمل أن يدفعها ذلك نحو ما يمكن أن يؤدي إليه انعدام الشرعية من سرية، ومخاطرات وانحرافات، كما أن لجوء الحكومة إلى العنف سيؤدي إلى رد فعل له طبيعة العنف نفسه، وقد كان الظهور الأول لهذا البلاء في سجون عبد الناصر، وكرد فعل للتعذيب، واليوم تكرر الحكومة الخطأ نفسه، فكأنها تريد ميلاداً جديداً للعنف.

وكل واحد يتابع الهجمات المتتالية للأمن المركزي وسجن المئات من الأعضاء ومصادرة الأموال، وتقديم المتهمين لمحاكم عسكرية وأمن دولة تحكم عليهم بالسجن عشرات السنين، كل هذا والهيئة لا تحرك ساكناً، لابد وأن يعجب لمدى حلم الهيئة وعزوفها عن المقابلة بالمثل، ولكن إلى متى ؟ وقد قيل «اتقوا غضب الحليم».

من هذا كله يتضح أن الأسلوب الذي تتبعه الحكومة مع الإخوان أسلوب لا يمكن أن يشلها أو يوقفها، على العكس أنه يشدد عزمها على الثبات، فلا يمكن مقاومة إيمان ديني بأسلوب عنف.

على كل حال، هناك من التطورات ما يوجب إعادة النظر، فنحن على شفا تغيير، والتغيير آت.. آت، لأن كل شيء له نهاية، ونظام الحكم استوفى مدته وزيادة، وهو يعيش في وقت افتراضي يوشك أن ينتهي أيضاً.

فهل هذه السياسة في مصلحة النظام، أو أنها تجعل النظام يحفر قبره بنفسه ويسرع بنهايته، لأن هذه السياسة من العداوة والخصومة، واستخدام الأمن والسجن لابد وأن تعمق العداوة له لدي الإخوان بحيث يعملون بكل قوة في صف التغيير.

وإذا كان هناك قوة يمكن أن تحقق التغيير وتجعله واقعاً، فهذه الهيئة هي الإخوان «فقط» وليس الأحزاب مجتمعة، هي التي يمكن أن تحققه.

فهل الحزب الوطني في حاجة لمن يقول له إن الموقف الذي يقفه من الإخوان ليس من مصلحته، وأن مصلحته هي أن يكسب تأييد الإخوان.

الحق أنني لا أقول هذا لمصلحة النظام، ولكن لأنني أخشى أن اندفاع الإخوان في تفعيل التغيير سيورطهم في أعماق وغمرات العمل السياسي، وسيكون هذا على حساب نقاء وطبيعة الدعوة كدعوة هداية.

وأنا مؤمن تمام الإيمان أنه ما أن تدخل السياسة من الباب حتى تخرج العقيدة من الشباك.

الحل الوحيد الذي يحقق مصلحة النظام ومصلحة الإخوان، هو أن يتولى الرئيس بنفسه.. ووحده.. حل المشكلة، لأن هذا ما يعجز عنه مستشاروه.

الحل الوحيد أن يقابل رئيس الجمهورية مرشد الإخوان.

وعندما يفعل هذا، فلن يكون الأول.

فإن النحاس باشا وهو رئيس الوزارة قابل حسن البنا، وتوليا معاً تصفية موقف حساس معقد.

والملك فاروق قابل الهضيبي المرشد الثاني لإخوان، وكان ينتظر لهذه المقابلة آثار بعيدة المدى، لولا قيام حركة الجيش.

إن لقاءات القمة لا تقتصر على السياسات الخارجية، ولكن يمكن أيضاً أن تحدث عندما تحدثم الخلافات الداخلية.

وبالطبع فلن يكون لقاء مبارك وبديع لقاء معانقات وطببات، ولكن تقديم تنازلات لكسب مصالح.

تتعهد الحكومة بإعادة كل حقوق الإخوان المغتصبة سنة ١٩٥٤م بما في ذلك دورهم وشركاتهم وصحفهم، وتدفع تعويضات عن هذا كله، وقد تكون كبيرة، ولكنها لن تبلغ ما تخسره الحكومة في صفقات دولية وضع شروطها مسئولون يقفون ما بين العمالة أو الغباء.

ويتعهد الإخوان بأن يغسلوا أيديهم عن العمل السياسي - الحزبي بما في ذلك المشاركة في انتخابات، وأن يقتصرُوا على هداية النفوس وإصلاح الأوضاع، وأن يعبئُوا أنفسهم للقيام بإصلاح اجتماعي شامل ينقذ القرية المصرية من واقعها المزري.

وبذلك يتخلص النظام من كابوس، وأي كابوس، كابوس مشاركة الإخوان في عملية التغيير مشاركة تكفل لها النجاح.

سيكون على الإخوان أن يوضحوا موقفهم أنه ليس خيانة، أو استخاء، ولكن العودة إلى الأصول، وقد قدم الإخوان من التضحيات ما لم تقدمه أي هيئة أخرى، وقد انحرفت بهم الأحداث، أو فرض عليهم الانحراف، واليوم هم يحررون أنفسهم يعودون إلى فكر المرشد المؤسس ويدعون فكراً آخر تسلل إليهم بفعل مناخ العنف، أنهم - كما قال حسن البنا - وطنيون وليسوا حزبيين فدورهم هو هداية النفوس والقلوب، ومقاومة الجهل والفقر والمرض ومختلف أسباب التخلف.

* * *